

بجته التأليف والترجمة والنشر

كُتَابُ

الامتناع والموانسة

بإتلاف

أن حيان النوحيد

وهو مجموع من كتاب في موانسة
بعض الناس في بعض الأمور

الجزء الثاني

مؤلفه مصطفى وسري عريضة

أحمد أمين و أحمد الزين

مأهله

مؤلفه التأليف والترجمة والنشر

١٩١٢

تنبيهات

(١) يلاحظ أن حجم هذا الجزء يخالف بعض المخالفة حجم الجزء الأول ، وقد اضطررنا إلى ذلك ندرة الورق ففصلنا خروج الكتاب مع هذا الاختلاف على إرجائه إلى أن يتعمق الجراآن في الحجم .

(٢) لم ندر نشر مهارس الموضوعات في هذا الجزء وساقه اعتماداً على أننا سننشر مهراً عاماً للموضوعات كلها في آخر الكتاب .

(٣) كان اعتمادنا في الطبع على النسخة الكاملة الوحيدة المشار إليها في الحواشي بحرف ١ وهناك قطع قليلة غير مربعة الصفحات ولا كاملة الأجزاء ، تبلغ حصى الكتاب تقريباً ، ومن ثم حملناها نسخة إضافية ، وقد نجد فيها بعض الزيادات فنصحه بين مربعين من غير تنبيه عليه . فليلاحظ ذلك .

أحمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أيها الشيخ — أطالَ اللهُ يَدَكَ في الخيرات ، ورادَ في هَمِّكَ رَغْبَةً في
أصطناعِ المَكْرَمات ، وأَجْرَكَ على أَحْسَنِ العادات في تقديمِ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ
الْبُيُوتات — قد فرغتُ في الجزء الأول على مَا رَسَمْتُ في الفِهامِ به ، وَشَرَفْتَنِي
بِالْخَوْضِ فيه ، وَسَرَدْتُ في حَواسِيهِ أَعْيَانَ الْأَحَادِثِ الَّتِي خَدَمْتُ بِهَا مَحَلَسَ
الْوَرِيرِ ، وَلَمْ آلْ خُفْدًا في رِوَانِهَا وَنُفُوسِهَا^(١) وَلَمْ^(٢) أُحْتَجَّ إِلَى تَعْمِيقِ شَيْءٍ مِنْهَا ،
بَلْ رَتَرَحْتُ كَثِيرًا مِنْهَا بِصِغَرِ اللَّفْظِ ، مَعَ نَسْرِحِ الْغَامِصِ وَصِلَةِ الْمَحْدُوفِ
وإِتِمَامِ الْمُنْفُوسِ ، وَحَمَلْنَاهُ إِلَيْكَ عَلَى يَدِ (فَاتِقٍ) الْغَلَامِ ، وَأَنَا حَرِصٌ عَلَى أَنْ
أُتِمَّعَ بِالْجُزْءِ الثَّانِي ، وَهُوَ يُبَلِّغُ إِلَيْكَ فِي الْأَشْوَاعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) وَأَنَا أَسْأَلُكَ نَابِيَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّوَكُّدِ ، كَمَا سَأَلْتُكَ أَوَّلًا عَلَى طَرِيقِ الْإِفْتِرَاحِ ،
أَنْ يَكُونَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ مَنُوبَةً عَنْ غُيُوبِ الْحَاسِدِينَ الْعَيَّابِينَ ، بَعِيدَةً عَنْ نِزَاجِ
أُتْدَى الْمُسِيدِ الْمُنَاسِبِينَ : فَلَسْ كُلُّ قَائِلٍ سَلَامٌ ، وَلَا كُلُّ سَامِعٍ نُسُفٌ ،
وَلَا كُلُّ مُنَوِّسٍ مُنْصَحٌ ، وَلَا كُلُّ قَادِمٍ مُفْسَحٌ لَهُ فِي الْمَحَلَسِ عِنْدَ الْقُدُومِ .

وَالثَّلَاةُ مَصَاعِفُهُ مِنْ حِجِّهِ الشَّطْرَاءِ فِي الْعِصَاعَةِ ، وَلِلْحَسَدِ نَوْرَانٌ فِي هَوَسِ
هَذِهِ الْجَمَاعَةِ : وَفَلَّ مِنْ يَحْمَدُ خُفْدَهُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى رَأْسِ أَوْ وَرِيرٍ ، إِلَّا جَدَّ فِي
إِعْبَادِهِ مِنْ مَرَامِهِ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ؛ وَهَذَا لِأَنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَحَالَ عَنِ الْمَعْهُودِ ،

(١) هذه الكلمة مطبوعة في (١) .

(٢) في (١) ولو لم أحس ، وقوله : « لو » زيادة من الناسخ .

وجما عن القيام بوظائف الديانات وعادات أهل المروءات ؛ لآمورٍ شَرَحَهَا بَطُولُ ؛
وقد كان الناس ينقلُّون في بسيط^(١) الشمس ؛ (أعنى الدِّين) فَعَرُبَتْ عَنْهُمْ ،
فعاشوا بنور القمر ، (أعنى المروءة) فأفل دُوبهم ، فَبَقُوا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ،
(أعنى الجهل وعلّة الحياء) فلا حَرَمَ أَعْمَلَ الدَّاء ، وَأَتَّكَلَ الدَّوَاء ، وَغَلَبَتْ
الْحَيَرَةُ ، وَفَقِدَ الْمُرْتَدِّ ، وَفَلَّ الْمُسْتَرْتَدِّ ؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَان .
وَأُزْجِعَ إِلَى مَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ سَح ما تَقَدَّمَ فِي الْجَرْءِ الْأَوَّلِ .

الليلة السابعة عشرة

(١) فلما عُذْتُ إِلَى الْمَحَلِّسِ قَالَ : مَا حَفِظْتُ فِي مَعَالٍ وَمَعَالٍ . فَقَدْ اسْتَنْتَهَا ؟ وَفَرَعْتُ
إِلَى أَنْ غَبَيْدَ الْكَاتِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقْنَعٌ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَى مِسْكَوْنِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ
مِهَا مَطْلَعٌ ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى دُورِ الْأَدَبِ وَتَوَارِ الْعِلْمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَدْحِ
فِي طَلَبِهِ . فَقُلْتُ :

قَالَ سَيِّخُنَا أَبُو سَعِيدٍ الشَّيرَازِيُّ الْإِمَامُ — نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ — : الْمَصَادِرُ
كُلُّهَا عَلَى تَفْعَالٍ يَفْتَحُ النَّاءُ ، وَإِنَّمَا تَجِيءُ بِمَعَالٍ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلَيْسَ بِالْكَثِيرِ .
قَالَ : وَدَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مِهَا سِتَّةَ عَشَرَ اسْمًا لَا يَوْجَدُ غَيْرُهَا . قَالَ : هَاتِيهَا .
قُلْتُ : مِهَا النَّبِيَاءُ وَالتَّلَقَّاءُ ، وَمَرَّةٌ تَهْوَاهُ مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَبِرَّالْكَ^(٢) ، وَتَعِشَارُ^(٣)
وَتَرَبَاعٌ ، وَهِيَ مَوَاصِعٌ : وَبِمَسَاحٍ لِلدَّابَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ؛ وَالتَّمْسَاحِ الرَّجُلُ الْكَذَّابُ أَيْضًا .

(١) كذا ورد هذا اللفظ في كلا الأصلين ولعل المراد بسيط الشمس سوءها المسقط .
(٢) في كلتا السحتين « وتبرال » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن ياقوت .
وتبرك : ماء لبي العبر وقيل موضع بخداء تعشار .
(٣) في كلتا السحتين « وتعشاء » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ياقوت . وتعشار
موضع بالدهاء .

وتجفاف وتمثال ويمرأد^(١) بيت الحمام ، وتلفاق ، وهو ثوبان بُلْفَقَان . ويلقام : سريعُ اللِّقْم .

ونقال : أنت الناقةُ على تَضْرَابِهَا ، أى على الوُفْت الذى ضَرَبَهَا الفَحْلُ فيه ، وتَضْرَاب كثيرُ الصَّرَب [وتَقْصَار]^(٢) ، وهى المِخْنَقَةُ ؛ وبِئْبَال ، وهو القصير .

قال : هدا حَسَنٌ ، فما تقولُ فى تَذْكَار ؟ فإنَّ الحوض فى هذا المثالِ إما كان من أَجْلِ هذا الحَرْف ، فإنَّ أبحارنا كانوا فى مجلس الشَّراب ، فأَحْتَمَوْا فيه ؟ فقلتُ : هدا معْتَدِر ، وهو مفتوح .

ثم قال : اِجْمَعْ لى حُرُوفًا نَظَائِرَ لهذا من اللغة ، وانسَرِّحْ^(٣) ما نَدَرَ منها ، وعَرِّضَ الشَّلْثَ لكثير من الناس فيها .

قلتُ : السمع والطاعة مع الشَّرَفِ بِالْخِدْمَةِ .

وفال أبعاً : حدَّثنى عن شىء هو أهُمُّ من هذا لى وأحطَرُّ على بالى ، إبنى (٢) لا أزال أسمع من ريد بن رفاعه مولاً ومذهباً لا عهد لى [به]^(٤) وكنايةً عما لا أَحَقُّهُ ، وإسارةً إلى ما لا تتوضح شىء منه ، يذكُرُ الحروف ويذكُرُ النُّقْط ، ويَزْعُمُ أن الباء لم تُنْقَطْ من تحت واحدةٍ إلا بسبب ، والتاء لم تُنْقَطْ من فوق اثنتين إلا لعلة ، والألف لم تُمرَّ إلا لغرض . وأشباه هذا ؛ وأشهد^(٥) منه فى عَرَضِ ذلك دَعْوَى تتعاضد بها ويتنفع^(٦) بذكرها ؛ فما حدثته ؟ وما شأنه ؟

(١) فى كتب اللغة أن المراد هو بيت صغير فى بيت الحمام ليضيه .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى كلتا السحتين ، وقد أثبتناها عن كتب اللغة .

(٣) فى « ب » : « ويوخ » .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (١) .

(٥) « وأشهر » فى كلتا السحتين .

(٦) ينفع : يفترح بما ليس فيه . وفى كلتا السحتين « يتنفع » .

وما دُخِلَهُ؟ وما خَبَرُهُ؟ فقد بلغني أنك تغشاه وتجلس إليه، وتُكثِرُ عنده، وتُورِّقُ له، ولكَ معه نوادرٌ مصحَّكة، و نوادرٌ معجبة. ومن طالت عِشْرَتُهُ لإنسانٍ صَدَقَتْ خَبْرَتُهُ به، وأكشَفَ أمرُهُ له، وأمكنَ إطلاعه على مسكنٍ رأيهِ وحافِي مَذْهَبِهِ وعوَصِي طَرِيقَتِهِ.

فقلتُ: أَشبهُ الوررَ، هو الذي نَعَرِفُهُ قَتْلِي مَدْبَغًا وحدثنا بالنزوية والأخبار والأسخدام، وله ملك الأخوة^(١) القدمة والمسنة المعروفة.

قال: دَعُ هذا وصِفْه لي. قلتُ: هناك دَكاةٌ غالبٌ، ودينٌ وقادٌ، ونقطةٌ حاضرة، وسواخٌ مناصرة^(٢)، ومتسعٌ في فنونِ النَّظْمِ والنثرِ، مع الكفاية البارة في الحساب والبلاغة، وحفظُ أيام الناس، وسماعُ لَمَقَّالَاتٍ، وسعْيٌ في الآراء والديانات، وتصرفٌ في كلِّ فنٍّ: إمَّا بالسُدُو^(٣) الموهِم، وإمَّا بالتفسير المهِم، وإمَّا بالشَّاهِي المُفْهِم. فقال: فعلى هذا ما مذهبه؟ قلتُ: لا نسب إلى شيء، ولا نَعْرِفُ رَهْطَهُ، أجيساه بكلِّ شيء، وعِنايَه^(٤) في كلِّ باب. ولأُحْثِلَافَ ما سدو من سَطَّةِ رِئايته، وسطوته بلسه^(٥). وقد أقام بالمعصرة زمانًا طويلاً، وصادفَ بها جماعه جامعة لأصناف العلم وأواضع الصناعة؛ منهم أبو سليمان محمد بن معشر البهستِي^(٦)، ونَعْرِفُ بالْمَعْدِسِيَّ. وأبو الحسن علي بن

(١) في «ب» الآصرة. والآصرة ما عطفك على إنسان من ود أو رحد أو نحوهما.

(٢) مناصرة. أي نصر بعضها بعضا.

(٣) ناسدو، أي أحد العلم وتلميذ.

(٤) في كلتا النسختين «وعنايه».

(٥) في (أ) «سلطانه».

(٦) في كلتا النسختين «ابن معشر البهستى»، وهو بحرف واليهى نسبة إلى بهستى

من قرى الري.

هارون الزنجاني^(١)، وأبو أحمد المهرجاني^(٢) والعوفي وغيرهم، فصحبهم وخدمهم؛ وكانت هذه العصابة قد تآلفت^(٣) بالعشرة، وتصامت بالصدافة، وأجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرَّبوا به [الطريق] إلى العوز برضوان الله والمصير^(٤) إلى جنَّته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دُنِّست بالجهالات، واحتلَّطت بالصلالات؛ ولا سبيلَ إلى غَسْلِها وتطهيرها إلا بالفلسفة، [وذلك] لأنها حاويةٌ للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية. ورعوا أنه متى أنظمت الفلسفة اليونانية والشرعة العربية فقد حصل الكمال؛ وصنّفوا خمسين رسالةً في جميع أجزاء الفلسفة: علميَّها وعمليَّها، وأفردوا لها مهرِسناً وسمَّوها رسائلَ إخوان الصفاء وحلّان الوفاء، وكنتموا أسماءهم، وبشّوها في الورامين، ولقّبوها للناس، وأدّعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ وطلبَ رضوانه ليحلّصوا الناس من الآراء الفاسدة التي بصرَ النفوس، والعقائد الحسنة التي بصرَ أصحابها، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها؛ وحشّوا هذه الرسائل بالكلم الدنيّة والأمثال الشرعيّة والحروف^(٥) المُحتَمَلة والطُرُق الموهمة.

فقال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلتُ: قد رأيتُ جملةً منها، وهي مبثوثة من كلِّ من سمّا بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنيات وبلقيقات

(١) في (١) الرخاني.

(٢) المهرجاني: نسبة إلى مهرجان من قرى أسفرايين أو مهرجان قدق، وهو كورة،

وفي كتابنا السحّين «المهرجاني».

(٣) في (١): «تآلفت».

(٤) كذا في «ب»، والدي في (١) «والفور» مكان قوله: «والمصير» وهو

خطأ من الناسخ.

(٥) الحروف: الكلمات.

وتلزيقات ؛ وقد غرق الصوابُ فيها لعلبة الخطأ عليها ؛

(٣) وحملتُ عدَّةً منها إلى شيخنا أبى سليمان المنطقى السجستانى (محمد بن بهرام) ^(١) وعرضتها عليه ونظر فيها أياما واختبرها طويلا ؛ ثم ردَّها على وقال :
تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ،
ونسجوا فهلكوا ، ومشطوا ففعلوا ^(٢) ؛ ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا
يُستطاع ؛ ظنوا أنهم يمكنهم أن يدثوا الفلسفة — التى هى علمُ النجوم والأفلاك
والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التى هى معرفة النغم والإيقاعات
والنقرات والأوزان ، والمنطق الذى هو اعتبارُ الأقوال بالإضافات والكميات
والكيفيات — فى الشريعة ، وأن يصموا ^(٣) الشريعةَ للفلسفة .

وهذا مرامٌ دونه حد ^(٤) : وقد تومرَّ على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحدًا
أنبياء ، وأحصرَ أسبابًا ، وأعظمَ أقدارًا ، وأرفعَ أخطارًا ، وأوسعَ فوضى ، وأوثقَ
عمرًا ، فلم يسمَّ لهم ما أرادوه ، ولا تلغوا منه ما أمَّلوه ؛ وحصلوا على لوثاتٍ مبيحة ،
ولطخاتٍ فاححة ، وألقابٍ موحِنة ، وعوامبٍ مخزية ، وأورارٍ مُثقلة .

فقال له البخارى أبو العباس : ولم ذلك أيها السائح ؟

قال : إنَّ الشريعةَ مأخوذةٌ عن الله — عزَّ وجلَّ — بواسطة السَّميرِ سنه وبين
الخلق من طريقِ الوَحْيِ ، وبابِ المناجاة ، وشهادةِ الآيات ، وظهورِ المعجرات ،
على ما يوجبُه العقلُ تارةً ، ويعجزُه تارةً ، لمصالحَ عامَّةٍ مُتفنة ، ومراشدَ نامَّةٍ

(١) فى كلتا السحتين : « ابن إبراهيم » .

(٢) فى (أ) : « تملقوا » وفى (ب) : « فعلقوا » ؛ وهو نصحيح . وفعلقوا ، أى حملوا
الشعرَ شديدَ العودة . يقال : شعرٌ مقلقل ، إذا كان كذلك .

(٣) فى (ب) : « يطبقوا » .

(٤) دونه حد ، أى دفع ومع .

مُبَيَّنَةٌ ؛ وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلى البحثِ عنه ، والقَوْصِ فيه ؛ ولا بدَّ من التَّسليمِ للدَّاعِي إليه ، والمنبَهِ عليه ؛ وهناك يَسْقُطُ (لِمَ) وَيَبْطُلُ (كَيْفَ) ، وَيَزُولُ (هَلَّا) وَيَذْهَبُ (لَوْ) و (لَيْتَ) في الرِّيحِ ، لأنَّ هذه الموادَّ عنها مُحْشُومَةٌ ، وأَعْتَرَضَاتُ الْمُعْتَرِضِينَ عَلَيْهَا مُرْدُودَةٌ ، وَأُرْتِيَابُ الْمُرْتَابِينَ فِيهَا ضَارٌّ ، وَسَكُونُ السَّاكِنِينَ إِلَيْهَا نَافِعٌ ؛ وَجُمِلَتْهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْخَيْرِ ، وَتَفْصِيلُهَا مُوَصِّلٌ بِهَا عَلَى حُسْنِ التَّقَبُّلِ ، وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ مُتَعَلِّقِ بَظَاهِرٍ مَكْشُوفٍ ، وَتَحْتَجُّ بِتَأْوِيلٍ مَعْرُوفٍ ؛ وَنَاصِرٍ بِاللُّغَةِ الشَّائِعَةِ ، وَحَامٍ بِالْجَدَلِ الْمُبِينِ ، وَذَابٍ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَضَارِبٍ لِلثَّلِ السَّائِرِ ، وَرَاجِعٍ إِلَى الْبَرْهَانِ الْوَاضِحِ ، وَمُتَفَقِّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَمُسْتَنِدٍّ إِلَى الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ الْمَشْهُورَيْنِ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَّةِ ، وَرَاجِعٍ إِلَى اتِّفَاقِ الْأُمَّةِ .

وَأَسَاسُهَا عَلَى الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى ، وَمُنْتَهَاها إِلَى الْعِبَادَةِ وَطَلَبِ الزُّلْفَى .
لَبَسَ فِيهَا حَدِيثُ الْمُنَجِّمِ فِي تَأْثِيرَاتِ الْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِ الْأَمْلاكِ وَمَقَادِيرِ الْأَحْرَامِ وَمَطَالِعِ الطَّوَالِعِ وَمَغَارِبِ الْغَوَارِبِ .

وَلَا حَدِيثُ تَسَاوُفِهَا وَبَيَاسِهَا ، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنَحْسِهَا وَسَعْدِهَا ، وَظُهُورِهَا وَاسْتِشْرَارِهَا ، وَرُجُوعِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا ، وَتَرْبِيعِهَا وَتَثْلِيثِهَا ، وَتَسْدِيسِهَا وَمُقَارَتِهَا .

وَلَا حَدِيثُ صَاحِبِ الطَّبِيعَةِ النَّازِلِ فِي آثَارِهَا ، وَأَشْكَالِ الْأُسْطَقْسَّاتِ ، بِثَبُوتِهَا وَافْتِرَاقِهَا ، وَتَصَرُّفِهَا فِي الْأَقَالِيمِ وَالْمَعَادِنِ وَالْأَبْدَانِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَرَارَةِ وَالْبَرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ ؛ وَمَا الْفَاعِلُ وَمَا الْمُنْفَعِلُ مِنْهَا ؛ وَكَيْفَ تَمَازُجُهَا وَتَزَاوُجُهَا ، وَكَيْفَ نَفَاسُهَا وَتَسَايُرُهَا ؛ وَإِلَى أَيْنَ تَسْرِي قُوَاهَا ، وَعَلَى أَى شَيْءٍ يَقِفُ مُنْتَهَاها .

وَلَا فِيهَا حَدِيثُ الْمُهَنْدِسِ الْبَاحِثِ عَنْ مَقَادِيرِ الْأَشْيَاءِ وَنُقَطِهَا وَخُطُوطِهَا وَسُطُوحِهَا وَأَجْسَامِهَا وَأَضْلَاعِهَا وَزَوَايَاهَا وَمَقَاطِعِهَا ، وَمَا الْكُرَّةُ ؟ وَمَا الدَّائِرَةُ ؟ وَمَا الْمُسْتَقِيمُ ؟ وَمَا الْمُنْحَنَى ؟

ولا فيها حديثُ المنطقيِّ الباحثِ عن مراتب الأقوال ، ومَناسِبِ الأسماء والحروف والأفعال ؛ وكيف أرتباطُ بعضها ببعض على موضوع رجل من يونان حتى يَصَحَّ بزعمه الصدق ، وُبُنْبَذَ الكَذِب .

وصاحبُ المنطق يرى أَنَّ الطَّيِّبَ والمنجِّمَ والمهندِسَ وكل من فاءَ بلفظٍ وأمَّ غرضاً فقراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال : فعلى هذا كيف يسوِّغ لإخوان الصفاء أن ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوةً تَجْمَعُ حقائقَ الفلسفة في طريق الشرعة ؟

على أن وراء هذه الطوائف جماعة أصحَّاهم ما أخذ من هذه الأغراض ، كصاحب العريضة وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدَّعي السَّحَرِ وصاحب الكيمياء ومستعمل الوهم . قال : ولو كانت هذه جائزةً وممكنةً لكان الله تعالى ربَّه عليها ، وكان صاحبُ الشرعة مُقَوِّمَ شريعته بها ، ويكتملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي يجدها في غيرها ، أو يحضُّ المتفلسفين على إصاحبها [بها] ويتقدم إليهم بإتمامها ، وفرض عليهم القيام بكل ما يُدَبِّ به عنها حسب طاقتهم فيها ، ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وَكَّله إلى غيره من حلفائه والقائمين بدنه ؛ بل سبى عن الخوض في هذه الأشیاء ، وكرَّه إلى الناس دِكْرَها ، وتوعَّدَهم عليها ، وقال : من أتى عِرَاقاً أو طارفاً ^(١) أو حارباً ^(٢) أو كاهناً أو منجِّماً يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ، ومن حارب الله حُرِبَ ، ومن غلبه غلب ، حتى قال :

« لو أَنَّ الله حَبَسَ عن الناس القطرَ سبعَ سنينَ ثم أرسله لأصبحت طائفةٌ

به كافرين » .

(١) الطارق : الذي يطرق الحصى مستعبداً لإياه عن العيب .

(٢) الحاربي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيالات الوحه يتكهن . ومنه قولهم : على

الحاربي وقت ، أي على الحير ؛ والحاربي أيضاً : الذي يزجر الطير .

ويقولون : مُطَرْنَا بِنَوْءِ الْمَجْدَحِ ، فهذا كما ترى ، وَالْمَجْدَحُ : الدِّبْرَانُ .
ثم قال : ولقد اختلفت الأُمةُ ضُروباً من الأختلاف في الأصول والفروع ،
وتنازَعوا فيها مُتَوَنِّهاً من التنازع في الواضح والمُشْكَل من الأحكام ، والحلالِ
والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعِيَان والخبر ، والعادة والأُصْطِلَاح ؛ فما فزعوا
في شيء من ذلك إلى منجَمٍ ولا طِبِّبٍ ولا منطقيٍّ ولا مُهَنْدِسٍ ولا مُوسِيقِيٍّ
ولا صاحب عَزِيمَةٍ وشُعْبَذَةٍ وَسِحْرٍ وَكِيْمِيَاءَ ، لأن الله تعالى تَمَّ الدين بِنبيهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يُخَوِّجْهُ بعد البَيَانِ الوارد بِالْوَحْيِ إلى بَيَانِ
مَوْصُوعٍ بِالرَّأْيِ .

قال : وكما لم نجد في هذه الأُمة من تَفَرَّع إلى أصحاب الفلسفة في شيء من
دِينِهَا ، وكذلك أمة عَسَى عَلَيْهِ السَّلَام وهي النصارى ، وكذلك المحوس .
قال : ومما يَزِيدُكَ وَضُوحاً وَيُرِيكَ عَجَباً أَنَّ الأُمةَ اختلفت في آرائِهَا
ومذاهبِهَا ومقالاتِهَا فصارت أَصْنَافاً فِيهَا وَمِرْقَافاً ؛ كَالْمُرْجِئَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالشَّيْعَةِ
وَالشَّنِّيَّةِ وَالْحَوَارِجِ ، فما فزعت طائفة من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا
حَقَّقَتْ مَقَالَاتِهَا بِشَوَاهِدِهِمْ وشهادتهم ، ولا أَشْتَغَلَتْ بِطَرِيقَتِهِمْ ، ولا وَجَدَتْ عِنْدَهُمْ
مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا بِكِتَابِ رَبِّهَا وَأَثَرِ نَبِيِّهَا .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام منذ أَيَّامِ
الصِّدْرِ الْأَوَّلِ إلى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يَجِدْهُمْ تَظَاهَرُوا بِالْفَلَّاسِفَةِ فَأَسْتَنْصَرُوهُمْ ، وَلَا قَالُوا
لَهُمْ : أَعَيْنُونَا بِمَا عِنْدَكُمْ ؛ وَاشْهَدُوا لَنَا أَوْ عَلَيْنَا بِمَا قِبَلَكُمْ .

قال : فَأَيْنَ الدِّينُ مِنَ الفَلْسَفَةِ ؟ وَأَيْنَ الشَّيْءُ الْمَأْخُوذُ بِالْوَحْيِ النَّازِلُ ، من
الشَّيْءِ الْمَأْخُوذِ بِالرَّأْيِ الزَّائِلِ ؟

بِإِذْنِ أَدْلُوا بِالْعَقْلِ فَالْعَقْلُ مَوْهَبَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لِكُلِّ عَبْدٍ ، وَلَكِنْ بِقَدْرِ

ما يُدرك به ما يَعْلوه ، كما لا يَخفى به عليه ما يَتْلوه ، وليس كذلك الوحي ، فإنه على نوره المنتشر ، وبيانه الميسر .

قال : وبالجمله ، النبيُّ فوقَ الفيلسوف ، والفيلسوفُ دون النبي ؛ وعلى الفيلسوف أن يتبع النبي ، وليس على النبي أن يتبع الفيلسوف ، لأن النبي مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقلُ سُكتفى به لم تكن للوحي فائدة ولا غناء ، على أن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيه ؛ فلو كنا نَسْتغنى عن الوحي بالعقل كيف كنا نَسْع ، وليس العقل بأشرف لواحد منا ، وإما هو لجميع الناس ، فإن قال قائل بالعبث والجهل : كلُّ عاقلٍ مَوْكُولٌ إلى مَدْرِ عَقْلِهِ ، وليس عليه أن يَسْتَفيد الزيادة مِنْ غَيْرِهِ ، لأنه مَكْنِيٌّ به ، وغيرُ مُطَالِبٍ بما راد عليه .

قيل له : كفالك تماريا في هذا الرأي أنه لس لك فيه موافق ، ولا عليه مطابق : ولو أَسْتَقَلَّ إنسانٌ واحدٌ بعقله في جميع حالاته في دسه ودياه لاستقل أيضاً بقوته في جميع حاجاته في دسه ودياه ، ولَكان وَحْدَهُ نبي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحدٍ من وعه وجنسه : وهذا قولٌ مرذول ورأى نَحْذول .

قال البخاري : وقد أحتلَّت أبطأ درجات النبوة بالوحي ، وإذا ساع هذا الاختلاف في الوحي ولم تكن ذلك ثاملاً له ، ساع أصاً في العقل ولم يكن مؤثراً فيه .

قال : يا هذا ، اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يُخْرِجْهُمْ عن الثقة والطمانينة بمن أصطعاهم بالوحي ، وحصَّهم بالمناجاة ، وأجتباهم للرسالة ، وأكملهم بما ألبسهم من شعار النبوة ؛ وهذه الثقة والطمانينة مفقودتان في الناظرين بالعقول المختلفة ،

لأنهم على بُعدٍ من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل والنزير اليسير ؛ وعوارُ هذا الكلام ظاهر ، وخطَلُ هذا المتكلم يَبِين .

قال الوزير : أما سمعَ شيئاً من هذا المقدسى ؟ قلتُ : بلى قد ألقيتُ إليه هذا وما أشبهه بالزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير ، في أوقات كثيرة بحضرةِ حمزة الوراق في الوراقين ، فسكت ، وما رآني أهلاً للجواب ؛ لكن الحريري غلام ابن طرارة هَيَّجَه يوماً في الوراقين بمثل هذا الكلام ، فاندفع فقال : الشريعة طِبُّ المَرْضَى ، والفلسفة طِبُّ الأصحاء ، والأنبياء يُطَبِّونَ للمَرْضَى حتى لا يَتَزَايِدَ مَرَضُهُمْ ، وحتى يزولَ المرضُ بالعافية فقط . فأما العلاسفة فإنهم يَحْفَظُونَ الصِّحَّةَ على أصحابها حتى لا يَفْتَرِيَهُمْ مَرَضٌ أَضَلُّ ، فبين مدبِّرِ المرضِ ومدبِّرِ الصحيح مَرَقٌ ظاهر وأمرٌ مَكشُوفٌ ، لأن غايةَ مدبِّرِ المرضِ أن تَنْتَقِلَ به إلى الصحة ، هذا إذا كان الدواء ناجعاً ، والطَّبْعُ قابلاً ، والطبيب ناصحاً . وغايةُ مدبِّرِ الصحيح أن يحفظَ الصحة ، وإذا حَفِظَ الصحة فقد أَفَادَهُ كَسْبُ المصائِلِ ، ووَغَّاهُ لها ، وَعَرَّضَهُ لافتنائها ؛ وصاحبُ هذه الحال فائزٌ بالسعادة العُظْمَى ، ومتبَوِّئُ الدرجة العُلْيَا ؛ وقد صار مسنحاً للحياة الإلهيَّة ؛ والحياةُ الإلهيَّةُ من الخلود والدَّشُومَةِ والسرمدية .

فإن كَسَبَ من بَرَأ من المرضِ طِبُّ صاحبِهِ المصائِلَ أَبْصاً ؛ فليست ^(١) تلك المصائِلُ من جنسِ هذه المصائِلِ ، لأنَّ إحداهما تقليدية ، والأخرى برهانيَّة ؛ وهذه مظنونة ، وهذه مستيقنة ^(٢) ، وهذه رُوحانيَّة ، وهذه جسميَّة ، وهذه دَهْرِيَّة ، وهذه زَمَانِيَّة .

(١) في ب « قلت » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « مستقنه » ؛ وهو تحريف .

وقال أيضاً : إنما جَمَعْنَا بين الفلسفة والشرِعة لأن الفلسفة مَعْتَرِفةٌ بالشرِعة ، وإن كانت الشرِعةُ جاحدةً لها ؛ وإنما جَمَعْنَا أيضاً بينهما لأن الشرِعةَ عامة ، والفلسفةَ خاصّةً ، والعامةُ قِوامُها بالخاصّةِ ، كما أن الخاصّةَ تَمَامُها بالعامةِ ؛ وهما متطابقتان إحداهما على الأخرى ، لأنها كالظَّهارة التي لا بدّ لها من البِطانة ، وكالبِطانة التي لا بدّ لها من الظَّهارة .

فقال له الحريريّ : أمّا قولُكَ طِبُّ المَرَضَى وطبُّ الأَحمَاءِ وما نَسَقْتَ عليه كلامَكَ ممَثَلٌ لا يعبرُ به غيرُكَ^(١) ومن كان في مُشْكل ، لأنَّ الطَّبيبَ عندنا الحاذقَ في طِبِّهِ هو الذي يَجْمَعُ بين الأمرين ، أعني أنّه يُبرِئُ المَرَضَ من مَرَضِهِ ، ويَحْمِطُ الصَّحِيحَ على صحته ؛ فأما أن يكون هاهنا طبيباً يعالج أحدهما الصحيح ، والآخرُ يعالج المَرَضَ ، فهذا ما لم نَعُدْهُ نحن ولا أنت ؛ وهو شيءٌ خارجٌ عن العادة ، فمثلكَ مردودٌ عليك ، وتسيعُكَ فاصحٌ لك ، وكلُّ أحدٍ يَعْلَمُ أن النديراً في حفظ الصحة ودفعِ المرض — وإن كان بينهما فرقٌ — واحد ، والطبُّ يجمعهما ، والطبيب الواحدُ يقومُ بهما وبشرائطهما .

وأما قولُكَ في الفصل الثاني : إنَّ إحدى الفصيلتين تقليدية ، والأخرى برهانية ، فكلامٌ مدحول ، لأنك غلطتَ على نفسك ؛ ألا تعلم أن البرهانية هي الواردة بالوحي ، النازمة للرُّشد ، الداعيةُ إلى الخير ، الواعدةُ بحسن المآب ؛ وأنَّ التقليدية هي المأخوذة من المقدِّمة والنتيجة ، والدعوى التي يُرْجَعُ فيها إلى من لس بحجّة ، وإنما هو رجلٌ قال شيئاً موافقَهُ آخرٌ وخالفَهُ آخرٌ ، فلا الموافقُ له يَرْجِعُ إلى الوَحْيِ ، ولا المخالفُ له يَسْتَنِدُ إلى حَقٍّ ؛ والعَجَبُ أنك جعلتَ الشرِعةَ من باب الظنِّ ، وهي بالوَحْيِ ، وجعلتَ الفلسفةَ من باب اليقين ، وهي من الرأى .

(١) في (١) « عليه » .

وأما قولك : هذه رُوحانية — تعني الفلسفة — وهذه جسميّة — تعني الشريعة — فزخرفة لا تستحقّ الجواب ، ولمثل هذا فليعمل المزخرفون ؛ على أنا لو قلنا : بل الشريعة هي الرُوحانية ، لأنها صَوْتُ الوحي ، والوحي من الله عزّ وجل ، والفلسفة هي الجسميّة ، لأنها برزت من جهة رجل بأعتبار الأجسام والأعراض ، وما هذا شأنه فهو بالجِسمِ أشبه ، وعن لُطفِ الرُّوحِ أبعد [لما أبعدنا] .

وأما قولك : الفلسفة خاصة والشرعة عامة ، فكلام سافط لا نورَ عليه ، لأنك تشير به إلى أن الشرعة تعتقدها قوم — وهم العامة — والفلسفة يَنْتَجِلُها قوم — وهم الخاصة — فلمَ جَمَعْتُم رِسَالَتَ إخوان الصفاء ودعوتهم الناسَ إلى الشرعة وهي لا تلزم إلا للعامة ، ولمَ تقولوا للناس : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَامَةِ فَلْيَتَحَلَّ بِالشَّرِيعَةِ ، فقد بَافَضْتُم ، لَأَسْكُم حَشَوْنُكُمْ مَقَالَتَكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَزْعُمُونَ بِهَا أَنَّ الْفَلَسَفَةَ مَدْلُولٌ عَلَيْهَا بِالشَّرِيعَةِ ، ثُمَّ الشَّرِيعَةُ مَدْلُولٌ عَلَيْهَا بِالْمَعْرِفَةِ ، ثُمَّ هَئَانَتْ نَذَكْرُ أَنْ هَذِهِ لِلْخَاصَّةِ ؛ وَلِئِكَ لِلْعَامَّةِ ؛ فَلِمَ جَمَعْتُمُ بَيْنَ مَفْتَرَقَيْنِ ، وَمَزَقْتُمُ بَيْنَ مَجْتَمِعَيْنِ ؛ هَذَا وَاللَّهُ الْجَهْلُ الْمُبِينُ ، وَالْخُرْقُ الْمَشِينُ .

وأما قولك : إنا^(١) جمعنا بين الفلسفة والشرعة^(٢) لأنّ الفلسفة معترفة بالشرعة ، وإن كانت الشرعة جاحدةً للفلسفة ، فهذه مناقضة أخرى^(٣) ، وإني أظنّ أنّ حَسَنَ كَلِيلٍ ، وَعَقْلَكَ عَلِيلٍ ، لِأَنَّكَ قَدْ أَوْضَحْتَ عُذْرَ أَصْحَابِ الشَّرِيعَةِ ، إِذْ جَعَدُوا الْفَلَسَفَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تَذْكُرُهَا ، وَلَا تَحْضُرُ عَلَى الدِّينُونَةِ^(٤)

(١) في (١) « إنا » وهو محريف .

(٢) ورد بعد قوله : الشرعة في (١) « وما » وهي زيادة من الناسخ لا معنى لها .

(٣) في (١) « للأخرى » وهذا من اللامان زيادة من الناسخ .

(٤) « الدونية » .

بها ؛ ومع ذلك فليس لهم علمٌ بأنّ الفلسفة قد حَثَّتْ على قبول الشريعة ، ونهت عن مخالفتها ، وسمتها بالناموس الحافظ لصلاح العالم^(١)

ثم قال الحريري : حدثني أيها الشيخ : على أيّ شريعةٍ دلّت الفلسفة ؟
أعلى اليهودية ، أم على النصرانية ، أم على المحوسية ، أم على الإسلام ، أم ماعليه الصائبون ؟ فإنّ ها هنا من يتفلسف وهو نصرانيّ كان زُرْعَة وابنِ الحمار وأمثالهما ، وها هنا من يتفلسف وهو يهودي ، كأبي الخير بن يعش ، وها هنا من يتفلسف وهو مسلم ، كأبي سليمان والتونجاني وغيرهما ، أفقول إن الفلسفة أباحت لكل طائفة من هذه الطوائف أن^(٢) تدين بذلك الدين الذي نُسأت عليه ؟
ودع هذا ليُخاطَبَ غيرُك ، فإليك من أهل الإسلام بالهَدْي والجِلَّة والمنشأ والورثة ؛ فما بالناس لا تَرى واحدا منكم يقوم بأركان الدين ، ويتقيد بالكتاب والسنة بُراعى معالمِ المربعة ووظائف النافذة ؟ وأين كان الصدر الأول من الفلسفة ؟ أعني الصحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولم خفيَ هذا الأمر العظيم — مع^(٣) ما فيه من العور والنعم — على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هذا وفيهم الفقهاء والزهاد والعبادُ وأصحابُ الورع والتقى ، والناظرون في الدقيق ودقيق الدقيق وكلُّ ما عاد بخير عاجل وثوابٍ آجل ، هيئات^(٤) لقد أسررتهم الحسنو في الارتقاء^(٥) وأستقيمت بلا دلو ولا رشاء ، ودَلَلْتُم على فُسُولَتِكُمْ وضعفِ مُنتِكُمْ

(١) ورد في (١) بعد قوله : « العالم » قوله : « قبله » ولا معنى لها ها .

(٢) في (١) « لمن تدين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « على مع ما فيه » ؛ وقوله : « على » زيادة من الناسخ .

(٤) في (١) « ها ها هيئات » ؛ وقوله : ها ها زيادة من الناسخ .

(٥) الارتقاء : أخذ الرغوة ، وهذا مثل يصرب لمن يطهر أمراً وهو يريد خلاصه ،

أو لمن يظهر طلب القليل وهو يريد الكثير ، وقد سئل الشعبي في رجل قبل أم امرأته فقال :
ميسر حسوا في ارتقاء ، وقد حرمت عليه امرأته .

أردتم أن تقيموا ما وضعه الله ، وتضعوا ما رفعه الله ، والله لا يُغَالَب ؛ بل هو مَالِبٌ على أمره ، فعَالٌ لما يريد .

قد حاول هذا الكيد خَلْقٌ في القديم والحديث ، فنكسوا على أعقابهم خائبين ، وكتبوا لوجوههم خاسرين ؛ منهم أبو زيد البلخي ؛ فإنه ادَّعى أنَّ لفلسفة مُقَاوَدَةَ^(١) للشريعة ، والشريعة مشاكلة للفلسفة ، وأن إحداها أُمُّ الأخرى ظنًّا ، وأظهرَ مَذْهَبَ الزَيْدِيَّةِ ، وأنقادَ لِأَمِيرِ خِرَاسَانَ الذي كتب له أن يعمل في نشر الفلسفة بشفاعَةِ الشريعة ، ويدعو الناسَ إليها بِاللُّطْفِ وَالشَّفَقَةِ الرَّغْبَةِ ، فسَنَّتِ اللهُ كَلِمَتَهُ ، وفَوَّضَ دِعَامَتَهُ ، وحالَ بينه وبين إرادته ، ووَكَّلَهُ لِي حَوَالِهِ وَمَوَاتِهِ ، فلم يَتَمَّ له من ذلك شيء .

وكذلك رَامَ^(٢) أبو تمام النيسابوري ، وحَدَمَ الطائفةَ المعروفةَ بِالشَّيعِيَّةِ لجأ إلى مطرّف بن محمد ورير مرداويج^(٣) الجبلي ليكونَ له به قوَّةٌ ، وَيَنْطِقَ سَا فِي نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ ، فما رادته إلا صِفْرًا فِي قَدْرِهِ ، وَمَهَانَةً فِي نَفْسِهِ ، تَوَارِيًا فِي بَيْتِهِ ؛ وَهَذَا بَعِيْنُهُ قَصْدَ الْعَامِرِيِّ فَمَا زَالَ مَطْرُودًا مِنْ صُقْعٍ إِلَى صُقْعٍ نَذَرُ دَمَهُ وَيُرْتَصَدُّ قَتْلُهُ ، فَرَّةً يَتَحَصَّنُ بِفِنَاءِ ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَمِرَّةً يَلْجَأُ إِلَى مَاحِبِ الْجَيْشِ بَنِيْسَابُورٍ ، وَمِرَّةً يَتَقَرَّبُ إِلَى الْعَامَّةِ بِكُتُبٍ يَصْنَفُهَا فِي نُصْرَةِ إِسْلَامٍ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يُتَّهَمُ وَيُقَرَّفُ بِالْإِلْحَادِ ؛ وَبِقِدَمِ الْعَالَمِ وَالْكَلَامِ فِي مَقْيُولِي وَالصُّورَةِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنْ ضُرُوبِ الْهَذْيَانِ الَّتِي

(١) مقاوذة للشريعة ، أى مساوقة لها ؛ ردد أنها تسير معها فى قود واحد . وفى ب :

مقارنة .

(٢) فى (١) « أم »

(٣) فى كلتا السختين : « ابن أحر ورير مرداج » ؛ وهو تحريف .

ما أنزل الله بها كتابه ، ولا دعا إليها رسوله ، ولا أفاضت فيها أمته .

ومع ذلك بُنِيَ صاحب كل بدعة : ويَجْدِسُ إليه كل منهم ؛ وبلقى كلامه إلى كل من ادعى باطلاً للظاهر وظاهراً للباطن .

وما عندي أن الأئمة الدين^(١) يأخذ عنهم وقتبس منهم ، كأرسطوطاليس وسقراط وأفلاطون ، زهط الكفر ذكروا في كتبهم حدث الظاهر والباطن ، وإنما هذا من نسج القداحين في الإسلام ، الساترين على أنفسهم ما هم فيه من التهم ؛ وهذا بغينه دبّره الهجريون^(٢) بالأمس ، وبهذا دندن^(٣) الناحون بقرّوين وتثوا الدعاة في أطراف الأرض ، وتذلوا الرعائب ومنثوا^(٤) السموس .

وقد سمعنا تولات هذه الطوائف لآيات القرآن في قوله عزّ وجلّ : (اِطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ دِي نَالَتِ سَعْبِ) وفي قوله تعالى : (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) وفي قوله تعالى : (عَلَيْنَا تِسْعَةُ عَشْرَ) وفي قوله تعالى : (سَرِيهِمْ أَنَا بَا فِي الْآفَاقِ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَمَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) إلى غير ذلك مما بطول وتطول^(٥) فدعونا^(٦) من التورية والحيدة والإيهام والكناية عن شيء لا يتصل [بالإرادة ، والإرادة شيء لا يتصل] بالصريح ، فالباس أنقد لأديانهم وأخرص على الطنر بغيرهم^(٧) من الصيارفة لدنايرهم ودراهمهم .

فلما أسهر المقدسيّ لما سمع وكاد ينمرى إهائه من العيظ والعجر وفلة الحيلة

(١) في كلتا السحتين : « الدين » ، وهو تحريف .

(٢) في كلتا السحتين « الناحون » .

(٣) يقال : دندن الباب : إذا صوت وطم . ودندن الرجل : إذا سعم ولم يفهم منه كلام .

(٤) في كلتا السحتين : « وقتلوا » .

(٥) يعول : من عال الشيء ، فلاناً إذا ثقل عليه وعليه وأهمه .

(٦) في كلتا السحتين : « قد دعونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) في (١) « نصيبهم » .

قال : الناس أعداء ما جهلوا ، ونشر الحكمة في غير أهلها يورث العداوة ويطرَحُ^(١) الشحنة ويقْدَحُ زَنْدَ الْفِتْنَةِ .

ثم كَرَّ الْحَرِيرِيُّ كَرَّ الْمَدِلِّ وَعَطَفَ عِطْفَةَ الْوَائِقِ بِالظْفَرِ ، فقال : يا أبا سُلَيْمَانَ ، مَنْ هَذَا الَّذِي يُقَرُّ مِنْكُمْ أَنَّ عَصَا مُوسَى انْقَلَبَتْ حَيَّةً ، وَأَنَّ الْبَحْرَ أَفْلَقَ ، وَأَنَّ يَدًا خَرَجَتْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَأَنَّ بَشَرًا خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، وَأَنَّ آخَرَ وَلَدَتْهُ أُمِّي مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ ، وَأَنَّ نَارًا مُؤَجَّجَةً طُرِحَ فِيهَا إِنْسَانٌ فَصَارَتْ لَهُ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَأَنَّ رَجُلًا مَاتَ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بُعِثَ فَنَظَرَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ عَلَى حَالِهِمَا لَمْ يَتَغَيَّرَا ، وَأَنَّ قَبْرًا تَفَقَّأَ عَنْ مَيِّتٍ حَيٍّ ، وَأَنَّ طِينًا دُبِّرَ^(٢) مُنْفَخٌ فِيهِ فِطَارٌ ، وَأَنَّ قُرْآنَ شَقٍّ ، وَأَنَّ جِذْعًا حَنٍّ ، وَأَنَّ ذَنْبًا تَكَلَّمَ ، وَأَنَّ مَاءَ نَبْعٍ مِنْ أَصَابِعِ مَرْوِيٍّ مِنْهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ ، وَأَنَّ جَمَاعَةً شَبِعَتْ مِنْ ثَرِيدَةٍ فِي قَدَرٍ جِسْمِ قِطَاةٍ ؟

وعلى هذا ، إِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ إِلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الشَّرَائِعِ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الْخَوَارِقُ وَالْبِدَائِعُ فَاعْتَرِمْوا أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ كَالثَبَتِ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَا مِرْيَةَ ، مِنْ غَيْرِ نَأْوِيلٍ وَلَا تَدْلِيلٍ ، وَلَا تَعْلِيلٍ وَلَا تَلْبِيسٍ ، وَأَعْطُونَا حَظَّكُمْ بِأَنَّ الطَّبَائِعَ تَفْعَلُ هَذَا كُلَّهُ ، وَالْمَوَادُّ تُؤَاتِي لَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْدِرُ عَلَيْهِ ؛ وَدَعُّوا التَّوَرِيَّةَ وَالْحِيلَةَ وَالْغِيلَةَ^(٣) وَالظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ ، فَإِنَّ الْفَلَسَفَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الشَّرِيعَةِ ، وَلَا الشَّرِيعَةُ مِنْ نَفْسِ الْفَلَسَفَةِ ، وَبَيْنَهُمَا يَرْحَى الرَّامِي وَيَهْمِي الْهَامِي ؛ عَلَى أَنَّا مَا وَجَدْنَا الدِّيَّانِينَ مِنَ الْمُتَأَلِّهِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَذْيَانِ يَذْكُرُونَ

(١) يطرَحُ الشَّحَاءُ ، أَيْ يُلْقِيهَا فِي الْقُلُوبِ .

(٢) دَبَّرَ ، أَيْ صَنَعَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ .

(٣) الْغِيلَةُ : الْحَدِيدَةُ .

أَنَّ أَصْحَابَ شَرَائِعِهِمْ قَدْ دَعَوْا إِلَى الْفَلَسَفَةِ وَأَمَرُوا بِطَلَبِهَا وَاقْتِبَاسِهَا مِنَ الْيُونَانِيِّينَ هَذَا مُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى إِلَى مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمْ نَحْضَرْ مَنْ يَعْزُو إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَدِيثَ . قَالَ الْوَزِيرُ : مَا عَجِبِي مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ أَبِي سُلَيْمَانَ فِي هَذَا الْأَسْتِحْقَارِ وَالتَّغَضُّبِ ، وَالْإِحْتِشَادِ وَالتَّعَصُّبِ ؛ وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْمُنَطِقِ ، وَهُوَ مِنْ غُلَمَانِ يَحْيَى بْنِ عَدِيٍّ النَّصْرَانِيِّ ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبَ يُونَانَ ، وَتَفْسِيرَ دَقَائِقِ كُتُبِهِمْ بِغَايَةِ الْبَيَانِ .

قُلْتُ : إِنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ : إِنْ الْفَلَسَفَةُ حَقٌّ لَكُنَّهَا لَسْتُ مِنَ الشَّرِيعَةِ فِي شَيْءٍ ، وَالشَّرِيعَةُ حَقٌّ لَكُنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فِي شَيْءٍ ، وَصَاحِبُ الشَّرِيعَةِ مَبْعُوثٌ ، وَصَاحِبُ الْفَلَسَفَةِ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُهُمَا مَخْصُوصٌ بِالْوَحْيِ ، وَالْآخَرُ مَخْصُوصٌ بِبَحْثِهِ ، وَالْأَوَّلُ مَكْفِيٌّ ، وَالتَّالِي كَادِحٌ ، وَهَذَا يَقُولُ : أُمِرْتُ وَغُلِمْتُ ، وَقِيلَ لِي ، وَمَا أَفُولُ شَيْئًا مِنْ تَأْتَاءِ نَفْسِي ؛ وَهَذَا يَقُولُ : رَأَيْتُ وَطَرْتُ وَاسْتَحْسَسْتُ وَاسْتَقْبَحْتُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : نَوَّرُ الْعَقْلَ أَهْتَدِي بِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : مَعِيَ نَوْرُ خَالِقِ الْخَلْقِ أَمْشِي بِحِيَاثِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَ الْمَلَكُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : قَالَ أَفْلَاطُونُ وَسُقْرَاطُ ؛ وَيُسْمَعُ مِنْ هَذَا ظَاهِرٌ بَزِيلٍ ، وَسَائِفٌ تَارِكٍ ، وَتَحْقِيقٌ سُنَّةٍ ، وَاتِّفَاقُ أُمَّةٍ ؛ وَيُسْمَعُ مِنَ الْآخِرِ الْهَيُولَى وَالشُّورَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْأُسْطُطُسُ وَالذَّاتِيَّ وَالْعَرَضِيَّ وَالْأَيُّسِيَّ وَاللَّيْسِيَّ ، وَمَا سَاكِلُ هَذَا مِمَّا لَا يُسْمَعُ مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا مَجُوسِيٍّ وَلَا مَانَوِيٍّ .

وَيَقُولُ أَيْضًا : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَلَسَفَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْرِضَ بِنَظَرِهِ عَنِ الدِّيَانَاتِ ، وَمَنْ اخْتَارَ النَّدِيثَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَرِّدَ ^(١) بَعْنَايَتِهِ عَنِ الْفَلَسَفَةِ

ويتحلى بهما مُفْتَرِقَيْنِ فِي مَكَانَيْنِ عَلَى حَالَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، وَيَكُونُ بِالذِّينِ مُتَقَرَّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، عَلَى مَا أَوْضَحَهُ لَهُ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَكُونُ بِالْحِكْمَةِ مُتَصَفِّحًا لِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْعَالَمِ الْجَامِعِ لِلزَّيْنَةِ الْبَاهِرَةِ لِكُلِّ عَيْنٍ ، الْمُحَيِّرَةِ لِكُلِّ عَقْلٍ ، وَلَا يَهْدِمُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ . أَعْنَى لَا يَجْحَدُ مَا أَلْقَى إِلَيْهِ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا ، وَلَا يَغْفُلُ عَمَّا اسْتَخَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ عَلَى مَا ظَهَرَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَشْتَمَلَ بِحِكْمَتِهِ ، وَاسْتَقَامَ بِمَشِئَتِهِ ، وَانْتَظَمَ بِإِرَادَتِهِ وَاسْتَمَّ بِعِلْمِهِ ؛ وَلَا يَقْتَرِضُ عَلَى مَا يَبْعُدُ فِي عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَبِدَائِعِ آيَاتِ النُّبُوَّةِ بِأَحْكَامِ الْفَلَسَفَةِ ، فَإِنَّ الْفَلَسَفَةَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْعَقْلِ الْمُقْصُورِ عَلَى الْغَايَةِ ، وَالذِّيَانَةِ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْوَحْيِ الْوَاردِ مِنَ الْعِلْمِ^(١) بِالْقُدْرَةِ .

قال : وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا صَعْبٌ ، وَلَكِنَّهُ جَمَاعُ الْكَلَامِ ، وَأَخْذُ الْمُسْتَطَاعِ ، وَعَايَةُ مَا عَرَضَ لَهُ الْإِنْسَانُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّطَائِفِ ، الْمُرَاحُ بِالْعِلَلِ وَبِضُرُوبِ التَّكَالِيفِ . قال : وَمَنْ فَضَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْخَلْقِ أَنَّهُ نَهَجَ لَهُمْ سَبِيلَيْنِ وَنَسَبَ لَهُمْ عِلْمَيْنِ ، وَأَبَانَ لَهُمْ بَحْدَيْنِ^(٢) لِيَصِلُوا إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ إِمَّا بِسُلُوكِهِمَا وَإِمَّا بِسُلُوكِ أَحَدِهِمَا .

فقال له البخاري : فَمَا دَلَّ اللَّهُ عَلَى الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ رَسَمَهُمَا فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ قال : دَلَّ وَتَبَيَّنَ ، وَالْكَذِبُ عَمٌّ ، أَمَا قَالَ : (وَمَا يَمُقُّهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) ؟ وَفِي مَحْوَى هَذَا وَمَا عَلَّمَهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ؟ فَقَدْ وَصَلَ الْعَقْلُ بِالْعِلْمِ ، كَمَا وَصَلَ الْعِلْمُ بِالْعَقْلِ ، لِأَنَّ كَمَالَ الْإِنْسَانِ بِهِمَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَافِلَ مَتَى عُرِّيَ مِنَ الْعِلْمِ قَلَّ انْتِفَاعُهُ بِعَقْلِهِ ؟ كَذَلِكَ الْعَالِمُ مَتَى حُلِّيَ مِنَ الْعَقْلِ بَطَلَّ انْتِفَاعُهُ بِعِلْمِهِ ، أَمَا قَالَ : (وَمَا يَتَذَكَّرُ

(١) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ : « الْعَقْل » .

(٢) يُشِيرُ بِالسَّبِيلَيْنِ وَالْعِلْمَيْنِ وَالْبَحْدَيْنِ إِلَى الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ .

إلا أولوا الألباب) ؟ أما قال : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) ؟ أما قال : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) ؟ أما ذمَّ قومًا حين قال : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) ؟ أمَّا قال : (أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) ! أما قال : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) ؟ أما قال : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ؟ وكتاب الله عز وجل مُحِيطٌ بهذا كله ، وإنما تقاد إلى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فيما لا يناله عقلك ، ولا يبلغه ذهنك ، ولا يغلو إليه مكرك ، فأمرك بأبوابه والتسليم له ، وإنما دخلت الآفة من قوم دهرين ملحين ركبوا مطية الجدل والجهل ، ومالوا إلى الشغب بالتعصب ، وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقبيحهم وتهجينهم ، وجهلوا أن وراء ذلك ما يفوت ذرعهم ، ويتخلف عن لحافه رأيهم ونظرهم ، ونعمى دون كنه ذلك بصرهم ؛ وهذه الطائفة معروفة ، منهم صالح بن عبد القدوس ، وابن أبي العوجاء ، ومطر بن أبي الغيث ، وابن الراوندي ، والحصري ، فإن هؤلاء طاحوا في أودية الضلالة ، واستجبروا إلى جهلهم أصحاب الخلاعة والمجانة .

فقال البخاري : فما الذي تركت بهذا الوصف للذين جمعوا بين الفلسفة والديانة ؛ ووصلوا هذه بهذه على طريق الظاهر والباطن ، والحق والجلي ، والبادي والمكتوم ؟ قال : تركت لهم الطويل العريض ، القوم زعموا أن الفلسفة موافقة للشريعة ، والشريعة موافقة للفلسفة ؛ ولا فرق بين قول القائل : قال النبي ، وقال الحكيم ، وأن أفلاطن ما وضع كتاب النواميس إلا لنعلم كيف نقول ؟ وبأى

شئ نبحث ، وما الذي نُقدِّم و نُؤخِّر ، وأن الثبوة فرعٌ من فروع الفلسفة ، وأن الفلسفة أصلُ علم العالم ، وأن النبيَّ محتاجٌ إلى تَتِمِّم ما يأتى به من جهة الحكيم ، والحكيم غنى عنه ؛ هذا وما أشبهه ؛ وأنَّ صاحبَ الدين له أن يُعيِّن ويورِّى ويُشير ويُكِنِّى حتى تَتِمَّ المصلحةُ ، وننتظم الكلمة ، ونتفق الجماعة ، ونُثبت الشُّنَّة ، ونحلَّو المعبِسة ، وحتى فال فائل منهم : « أوائل الشريعة أمورٌ مُبتدعة ، ووسائلها سُنَنٌ مُتَّبعة ، وأواخرها حُقُوقٌ مُنتزعة » وإنَّ هذا النَّعْت من مولى : « إنَّ الشريعةَ إلهية ، والفلسفة بشرية » ، أعنى أنَّ نلك بالوحى ، وهذه بالعقل ، وأنَّ نلك موثوقٌ بها ومُطمأنٌّ إليها ، وهذه مشكوكٌ فيها مضطربٌ عليها .

قال له البخارى : فلمَ لمَ ينهج صاحبُ الشريعة هذه الطريق ، وكان يزول هذا الحِصام ، وينتفى هذا الظن ، وتكسدُ هذه السُّوق ؟ فقال : إنَّ صاحبَ الشريعة مستغرقٌ بالبور الإلهيِّ ، فهو مخموس على ما يراه ويُبصرُه ، ويجدُه وينظرُه ، لأنَّه مأحود بما شهده بالعِنان وأدركه بالحِسن وباله بوديعة الصدر عن كل ما عداه ، فلهدا يدعو إلى أقناس كماله الذى حصل له ، ولا يستعد بدعوته إلا من وفق لإجاسه ، وأدع عن لطاعته ، واهتدى بكلمته ، والفلسفة كمال بشرى ، والدين كمال إلهيِّ ، والكمال الإلهيِّ غنى عن الكمال البشرى ، والكمال البشرى فقيرٌ إلى الكمال الإلهيِّ ، فهذا هدا ، وما أمر الله عزَّ وجلَّ بالأعتبار ، ولا حثَّ على التدبُّر ، ولا حرَّك القلوب إلى الاستنباط ، ولا حَبَّبَ إلى القلوب البحث في طلب المكنونات ، إلا ليكونَ عِبَادُه حُكَمَاءَ أَلِيَّاءَ أَثَقِيَاءَ أَذْكِيَاءَ ، ولا أَمَرَ بالنسليم ولا حَظَرَ الغُلُوَّ والإفراطَ فى التَّعَمُّقِ إلا ليكونَ عِبَادُه لاجئين إليه مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، مُعْتَصِمِينَ بِهِ ، خَائِفِينَ مِنْهُ ، رَاجِينَ لَهُ ، يَدْعُونَهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ،

وَيَعْبُدُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا ، فَبَيَّنَ مَا بَيْنَ حِرْصِهِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَخْفَى مَا أَخْفَى لَتَدُومَ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَبْقَعَ الْغِنَى عَنْهُ ، وَبِالْحَاجَةِ يَقَعُ الْخُضُوعُ وَالتَّجَرُّدُ ، وَبِالِاسْتِغْنَاءِ يَغْرِضُ التَّجَبُّرَ وَالتَّمَرُّدَ ؛ وَهَذِهِ أُمُورٌ جَارِيَةٌ بِالْعَادَةِ ، وَثَابِتَةٌ بِالسَّيْرِ الْجَائِزَةِ وَالْعَادِلَةِ ؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهَا وَرَفْعِهَا وَإِنْكَارِهَا وَجَحْدِهَا ، فَلِهَذَا لَزِمَ كُلٌّ مِنْ أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ شَيْئًا أَنْ يَتَمَمَّ نَقْصُهُ عَمَّا يَجِدُهُ عِنْدَ مَنْ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ بِوَحْيٍ مِنْ رَبِّهِ .

وَقَالَ أَيْضًا : مِمَّا يُؤَكِّدُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ أَتَتْ عَلَى مَقْضُولٍ كَثِيرٍ ، بِنُورِ الْوَحْيِ الْمُنِيرِ ، وَلَمْ تَأْتِ الْفَلَسَفَةُ عَلَى سِوَى مِنَ الْوَحْيِ لَا كَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ :

قَالَ : وَلَيْسَ لِيُونَانَ نَبِيٌّ يَعْرِفُ ، وَلَا رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ صَادِقٌ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْرَعُونَ إِلَى خُكَمَاةِهِمْ فِي وَضْعِ نَامُوسٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ حَيَاتِهِمْ وَنِظَامَ عَيْشِهِمْ وَمَنَافِعَ أَخْوَالِهِمْ فِي عَاجِلَتِهِمْ ، وَكَانَتْ مَلُوكُهُمْ نَحْبُ الْحِكْمَةِ وَبُؤْثَرِ أَهْلِيهَا ، وَتَقَدَّمَ مِنْ تَحَلَّى بِجَرَاءِ مِنْ أَجْزَائِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ النَامُوسُ يُفَعَّلُ بِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَبْلَاهُ الزَّمَانُ ، وَأَخْلَقَهُ اللَّبْسُ وَالنَّهَارُ ، عَادُوا فَوَضَعُوا نَامُوسًا آخَرَ حَدِيدًا بِرِبَادَةِ شَيْءٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوْ تَقْصَابَ ، عَلَى حَسَبِ الْأَحْوَالِ الْغَالِيَةِ عَلَى النَّاسِ . وَانْغَلُوبَةِ بَيْنِ النَّاسِ ، وَلِهَذَا لَا يُقَالُ : إِنَّ الْإِسْكَدَرِيَّ أَيَّامَ مُلْكِهِ حِينَ سَارَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَ يَذْكُرُ سِيَا يُقَالُ لَهُ : فُلَانٌ . أَوْ هَالُ : أَنَا نَبِيٌّ ، وَلَقَدْ وَاقَعَ دَارًا وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُلُوكِ عَلَى طَرِيقِ الْقَلْبَةِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ ، وَحِيَازَةِ الدِّيَارِ وَحَيَاةِ الْأَمْوَالِ وَالسَّيِّ وَالْغَارَةِ . وَلَوْ كَانَ لِلنَّبِيِّ دِكْرٌ وَلِلنَّبِيِّ حَدِيثٌ لَكَانَ ذَلِكَ مَشْهُورًا مَذْكُورًا ، وَمُؤَرَّخًا مَعْرُوفًا .

(٦) قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا كَلَامٌ عَجِيبٌ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ عَلَى هَذَا الشَّرْحِ وَالتَّفْصِيلِ ، قُلْتُ :

إنَّ شيخنا أبا سُلَيْمَانَ غَزِيرُ الْبَحْرِ ، واسع الصدر ، لا يُغْلَقُ عليه في الأمور الرُّوحَانِيَّةِ والأنبياء الإلهية والأسرار الغيبية ، وهو طويلُ الفكرة ، كثير الوحدة ، وقد أوتي مزاجاً حسن الاعتدال ، وخاطراً بعيدَ المنال ، ولساناً فسيح المجال ، وطريقته هذه التي أجتباها مكتنفةً بمعارضاتٍ واسعة ، وعليها مداخل لخصائمه ، وليس في كلِّ أحدٍ بتلخيصه لها ، لأنه قد أفرَزَ الشريعةَ من الفلسفة ، ثم حثَّ على انتحالها معاً ، وهذا شبيهٌ بالمناقضة . وقد رأيتُ صاحباً لمحمد بن زكرياء في هذه الأيام ورد من الرقي يقال له : أبو عانم الطيب يُشادُّه في هذا الموضع ويضايقه ، ويُلزمه القول بما بُنكره على الخصم ، وإذا أُذِنَتْ رَسِمَتْ كلامهما في ورقات . فقال الوربر : قد بان الغرضُ الذي رمى إليه ، وتقليبه بالجدل لا يزيده إلا إغلاقاً ، والقصدُ معروف ، والوقوفُ عليه كافٍ ، ومع هذا فليتَ حظنا منه كان يتوفر بالتلاقي والاجتماع ، لا بالرواية والسماع ، هاتِ فائدة الوداع ، فقد بلغت في المؤانسة غاية الإمتاع .

قلت : أكره أن أختمَ مثلَ هذه الفقر الشريفة بما يشبه الهزل وينافي الجدِّ ، (٧) فإن أُذِنَتْ رَوِبَتْ ما يكون أساساً ودِّعامة لما تقدَّم . قال : هاتِ ما أحببت ، فما عهدنا من روايتك إلا ما يشوِّفنا إلى رؤيتك .

قلت : قال ابن المقفع : عملُ الرَّجُلِ بما يَعْلَمُ أنه خطأ هَوًى ، والهوى آفةُ العفاف ، وتركه العمل بما يَعْلَمُ أنه صوابٌ تَهَاوُنٌ ، والتَّهَؤُنُ آفةُ الدِّين ، وإقدامه على ما لا يَعْلَمُ أصوابٌ هو أم خطأ لجأج ، واللَّجَاجُ آفةُ الرأى .

قال — حَرَسَ اللهُ نفسه — : ما أَكْثَرَ رَوْتَقَ هذا الكلام ! وما أَعْلَى رُتْبَتِهِ في كُنْهِ العقل ! اُكْتُبْهُ لَنَا ، بل أَجْمَعْ لِي جُزْءاً لطيفاً من هذه الفقر ، فإنَّها تُروِّحُ العقلَ في الفَيِّنة بعد الفَيِّنة ، فإنَّ نورَ العقلِ ليس يَشِعُّ في كلِّ

وقت ؛ بل يَشْعُ مرّةً وَيَبْرُقُ مرّةً ، فإذا شَعَّ عَمَّ نَفْعُهُ ، وإذا بَرَقَ خَصَّ نَفْعُهُ
وإذا خَفِيَ بَطَلَ نَفْعُهُ . قلت : أفعلُ . فقال : إن كان معك شيءٌ آخرٌ فاذْكُرْهُ ،
(٨) فَإِنَّ الْحَدِيثَ الْحَسَنَ لَا يُمَلِّ ، وما أَحْسَنَ ما قال خالدُ بْنُ صَفْوَانَ ، فإنه قيل
له : أَتَمَلُّ الْحَدِيثَ ؟ قال : إِنَّمَا يُمَلِّ الْعَتِيقُ . قال : صدق خالد : إِنَّ الْحَدِيثَ
لَا يُمَلِّ مِنَ الزَّمَانِ ^(١) إِلَّا مِمَّا يَلِيهِ ^(٢) ، وإلّا مَكِيفُ يُمَلِّ فِي أَوَّلِ رِمَانِهِ وَفَاتِحَةُ
أَوَانِهِ ، وَإِنَّمَا الْمَلَلُ يَعْزِضُ بِتَكَرُّرِ الزَّمَانِ وَضَجَرِ الْحِسِّ وَزِزَاعِ الطَّبْعِ إِلَى
الجديد ، ولهذا قيل : لكلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ .

(٩) حَكَيْتُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مَمْلَكَتَهُ عَكَفَ عَلَى الصَّبُوحِ
وَالْعَبُوقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَرِيرُهُ رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا : إِنَّ فِي إِدْمَانَ الْمَلِكِ صِرَرًا عَلَى
الرَّعِيَّةِ ، وَالْوَجْهَ تَخْمِيفُ ذَلِكَ وَالنَّظَرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ
بِالْفَارَسِيَّةِ بِمَا تَرَجَّمَتْهُ : يَا هَذَا ، إِذَا كَانَتْ سُنْدَانَا نَمِيَّةً ، وَسِيرُنَا عَادِلَةً ، وَالذُّنْيَا
بِاسْتِقَامِنَا عَامِرَةً ، وَعُمَلَانُنَا بِالْحَقِّ عَامِلَةً ، فَلِمَ نَمْنَعُ فَرَحَةً عَاجِلَةً ؟ .

قال : مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا ؟ قلت : أَبُو سَلِيمَانَ شَيْخُنَا ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ
رِضَاهُ عَنْ هَذَا الْمَلِكِ فِي هَذَا الْقَوْلِ ؟ فقلت : أَعْتَرَضُ فَقَالَ : أَحْطَأُ مِنْ وَجْوهٍ ،
أَحَدُهَا أَنَّ الْإِدْمَانَ إِفْرَاطٌ ، وَالْإِفْرَاطُ مَذْمُومٌ ؛ وَالْآخَرُ أَنَّهُ حَمَلٌ أَنَّ أَمْنَ السَّبِيلِ
وَعَدْلَ السَّيْرِ وَعِمَارَةَ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ مَتَى لَمْ يُوَكَّلْ بِهَا الطَّرْفُ السَّاهِرُ وَلَمْ
تُحَاطَ بِالْعَنَايَةِ النَّامَةِ ، وَلَمْ تُحَفَظْ بِالْأَهْتَامِ الْجَالِبِ لِدَوَامِ النِّظَامِ ، دَبَّ إِلَيْهَا النَّقْصُ
وَالنَّقْصُ بَابٌ لِلِاسْتِقَاضِ ، مُرْعَزِغٌ لِلدَّعَامَةِ ، وَالْآخَرُ أَنَّ الزَّمَانَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ

(١) مِنَ الزَّمَانِ ، أَيْ فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ .

(٢) فِي نَسْخَةٍ فَاتِحَتِهِ . وَفِي نَسْخَةٍ مَا تَحْتَهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَابِهِمَا ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ

الْآتِي سَدُّ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

يُنْذَلُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالتَّلَذُّذِ وَالتَّمَتُّعِ ، فَإِنْ فِي تَكْمِيلِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ
بِاِكْتِسَابِ الرَّشْدِ لَهَا وَإِبْعَادِ الْغَيِّ عَنْهَا مَا يَسْتَوْعِبُ أَضْعَافَ الْعَمْرِ ، فَكَيْفَ إِذَا
كَانَ الْعُمُرُ قَصِيرًا ، وَكَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ أَهْوَى كَبِيرًا ؟ ! وَالْآخِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ عَلَيْهِ أَنَّ
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ إِذَا وَقَفَتْ عَلَى اسْتِهْتَارِ الْمَلِكِ بِاللَّذَاتِ ، وَأَنَّهُمَا كِهَ فِي طَلَبِ
الشَّهَوَاتِ ، أَزْدَرَتْهُ وَأَسْتَهَانَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْ عَنْهُ بِأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَعَادَاتِ الْحَمِيرِ
وَاسْتِهَانَةُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِالنَّاظِرِ فِي أَمْرِهَا وَالْقِيَمِ بِشَأْنِهَا مَتَى تَكَرَّرَتْ عَلَى
الْقُلُوبِ تَطَرَّقَتْ إِلَى اللِّسَانِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْحَافِلِ ، وَالتَّفَتَّ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَهَذِهِ مَكْسَرَةٌ لِلْهَيْبَةِ ، وَقَلَّةٌ الْهَيْبَةُ رَافِعَةٌ لِلْحَشْمَةِ ، وَارْتِفَاعُ الْحَشْمَةِ بَاعِثٌ عَلَى
الْوَسْثَةِ ، وَالْوَسْثَةُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ مِنَ الْهَلَكَةِ ؛ وَمَا خِلَا الْمَلِكُ مِنْ طَامِعٍ رَاصِدٍ قَطُّ
وَلَبَسَ بِنَبِيٍّ لِلْمَلِكِ الْحَازِمِ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا مُنَازِعَ ، وَقَدْ بَنَجُمُ الصَّدِّ
وَالْمُنَارِعَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرَ حَجَلِ الْوَائِقِ ! وَمَا أَقَلَّ حَزْمِ الْوَائِقِ !
وَمَا أَقَلَّ تَقْظَةِ الْمَائِقِ ^(١) !

ثُمَّ قَالَ : وَعَلَى الصَّدِّ مَتَى كَانَ السَّائِسُ ذَا تَحَقُّطٍ وَبَحْثٍ ، وَتَبَتُّعٍ وَحَرَمٍ
وَإِكْلَابٍ عَلَى لَمْ أُلْشَعَتْ وَنَقْوِيمِ الْأَوْدِ وَسَدِّ الْأَخْلَالِ وَعُرْفِ الْجُهُولِ وَتَحَقُّقِ
الْمَعْلُومِ وَرَفْعِ الْمُنْكَرِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ ، احْتَرَسَتْ مِنْهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ ، وَأُسْتَشْعِرَتْ
الْهَيْبَةُ ، وَالتَّرَمَّتْ بَيْنَهَا النَّصْفَةُ ، وَكُفِّيتْ كَثِيرًا مِنْ مُعَانَاتِهَا وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ
لِلدَّوْلَةِ رَاصِدٌ لِلْغَرَةِ نَسْ مِنْ نُفُوزِ الْحِيلَةِ فِيهَا ، لِأَنَّ اللَّصَّ إِذَا رَأَى مَكَانًا حَصِينًا
وَعَمِدَ عَلَيْهِ حُرَّاسًا لَمْ يَحْدَثْ نَفْسَهُ بِالنَّعْرَضِ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ قَصْرًا فِيهِ ثُلْمَةٌ ،
وَبَابًا إِلَيْهِ طَرِيقٌ ، وَالْأَعْرَاضُ بِالْأَسْبَابِ ، وَإِذَا ضَعُفَ السَّبَبُ ضَعُفَ الْعَرَضُ ،
وَإِذَا انْقَطَعَ السَّبَبُ انْقَطَعَ الْعَرَضُ .

(١) المائق : الأحمق العرّ . وفي ثلثنا نسختين ~~وهو تحريف~~ . وهو تحريف .

فقال — أدام الله أيامه — : هذا كلامٌ كافٍ شافٍ . وقال بعد ذلك :
حدثني عما تسمعُ من العامة في حديثنا .

(١٠) قلتُ : سمعتُ (بياب الطاق) فوما يقولون : اجتمع الناس اليومَ على الشطِّ ،
فلما نزل الوزير ليركب المركبَ صاحوا وصجوا وذكروا غلاء القوت وعوزَ الطعام
وتعذّرَ الكسبِ وغلبةَ الفقرِ وتهتكتُ صاحبِ العيال ، وأنه أجابهم بجوابٍ
مرّ مع قُطوب الوجه وإظهارِ التبرمِ بالاستغاثة : بعدُ لم تأكلوا النخالة .
فقال : والله ما ملتُ هذا ، ولا حطَر لي على بال ، ولم أقابلَ عاتةً جاهلةً
ضعيفةً جائعةً بمثل هذه الكلمةِ الخشنة ، وهذا يقوله من طرح ^(١) الشرَّ وأحبَّ
الفسادَ وقصدَ التشنيعَ علىَ والإيحاشَ متى ، وهو هذا العدوُّ الكلب ، « عني
ابن يوسف » كفاي الله شرّه ، وشغلّه بنفسه ، وسكّن كيدَه على رأسه : والله
لأنظرنَ لها وللفقراءِ بمالٍ أُطلقه من الخِزانة ، وأرسمُ ببيعِ الخيرِ ثمانيةِ درهم ،
ويصلُ ذلك إلى الفقراءِ في كلِّ محالةٍ على ما يذكُرُ شيخُنا ، وبيعِ البامونِ على
السَّعرِ الذي بقوّم لهم ، وبستريه ألغى الواجد : فعل ذلك — أحسنَ الله جِراءه —
على ما عرمتُ وشاهدتُ ، وأبلغنه نشرَ الدّعاء له في الجوامعِ والجامعِ بطولِ
البقاء ودوامِ العلاءِ وكبتِ الأعداءِ وبصرِ الأولياءِ . ثم كُنتُ جِراء من المُقرِّ
على ما رسمَ من قَد . فلما أوصلتهُ إليه قال لي : إِوّا ، فقرأته عليه ، فقال :
صِلْ هذا أجرةً بجزءٍ آخرٍ من حديثِ النبيِّ — صلى الله عليه وسلم — والصحابةِ
وبجزءٍ من الشعرِ ، وبشيءٍ من معاني القرآن ، وبه مقدّمٌ على كلِّ شيءٍ بحسبِ
ما رجعَ الله من خطره ، وأحوجَ إلى فهمه ، ونَدَبَ إلى العملِ به ، وأثابَ على
التفكيرِ فيه والتعجُّبِ منه .

(١) « طرح الشر » أي ألقاه في القلوب ، وهذا تعبير قد سبق للمؤلف مثله في صفحة ١٧
سطر ٢ ، مرّداً به هذا المعنى .

وَعَظَّ^(١) رَجُلٌ مِنْ (جُهَيْنَةَ) (عمرو بن العاص) فِي قِصَّةِ الْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَمْرُو
 لَهُ : مَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا تَيْسَ جُهَيْنَةَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ ، وَلَا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ ،
 فَاسْكُتْ فَإِنَّ الظَّلْفَ لَا يَجْرِي مَعَ الْخَفِّ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ الْمَدُنَ تُبْنَى عَلَى الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَالْمُحْتَطَبِ
 وَالْحَصَانَةِ .

وقال الشاعر :

لَا حَ سُهَيْلٌ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ كَأَنَّهُ نَارٌ يَكْفُ الْقَابِسِ
 قَالَ رُبَيْعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ مَالِكٍ فِي عَمْرُو بْنِ الْإِطَنْبَةِ — حِينَ دَفَعَ أُخْتَهُ وَأَخَذَ
 أَحَاهُ وَكَانَ أَسِيرًا فِي قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ دَفَعَ أَحِيَهُ إِلَيْهِ صَدَاقَ أُخْتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي
 تَسْمِيهِ الْعَرَبُ الْمَسَاهَاةَ^(٢) — : فَقَدْ حَزَمِي الَّذِي هَدَيْتُ لَهُ ، وَعَرَمِي الَّذِي أُرْشَدْتُ
 إِلَيْهِ . وقال الشاعر :

وَسَاهَى بِهَا عَمْرُو وَرَاعَى إِفَالَهُ^(٣) فزُبْدٌ وَتَمَرٌ سَعْدَ دَاكٍ كَثِيرُ
 وَكَانَتْ دِبَّةُ الْعَرَبِيِّ مِائَةً وَسُقِي ، وَدِيَّةُ الْهَجِينِ حَمْسِينَ وَسَقًا ، وَدِيَّةُ الْمَوْلَى
 عَشْرَةُ أَوْسُقٍ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَجْعَلُ دِيَّةَ الْمُعِمْ الْمُخُولِ مِائَةً بَعِيرٍ ، وَدِيَّةَ الْمَوْلَى
 خَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَعِيرًا .

(١) بلوح لما أن هذه الفقر الآتية قد قرأها المؤلف على الوزير في ليلة أخرى غير
 الليلة السابعة عشرة السابقة وإن لم رد في الأصول ما يدل على ذلك ؛ وإذن فتكون هذه هي
 الليلة الثامنة عشرة ، واللييلة الآتية بعد هي الليلة التاسعة عشرة ، إذ لا يقل أن يطلب الوزير إلى
 المؤلف كتابة هذه الفقر في ليلة فكتبها ثم قرؤها في نفس الليلة أو لعله كتبها واكتفى بإرسالها
 إلى الوزير .

(٢) لعلهم سموا هذا الكاح بالمساهاة لما فيه من معنى المساهاة وهي المساحة وترك
 الاستقصاء في المعاشرة .

(٣) « الإفال » : صفار الإبل ، الواحد أهيل .

وقال جرير :

رَأَيْتُ بَنِي نَبْهَانَ أَذْنَابَ طَيِّءٍ وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وَصُدُورُ
تُرَى شَرَطَ^(١) الْمِعْزَى مُهَوَّرَ نَسَائِهِمْ وَفِي شَرَطِ الْمِعْزَى لَهُنَّ مُهَوَّرُ
وقال خالد بن جعفر بن كلاب^(٢) :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرْنِي (هَوَارِ) بَعْدَمَا أَعْتَقْتُهُمْ فَتَوَالَدُوا أَحْرَارًا
وَقَتَلْتُ رَبَّهُمْ زُهَيْرًا بَعْدَمَا جَدَعَ الْأَوْفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا
وَجَعَلْتُ مَهْرَ نَسَائِهِمْ وَدِيَاتِهِمْ عُقْلَ^(٣) الْمَلُوكِ هَجَائِمًا وَبِكَارَا
وقال حنبل بن صخر ، وكان عبدا :

وَمَا مَلَكَ رِقِّي ذَاتُ ذَلِكَ حَدَلَجٍ وَلَا سَاقَ مَالِي صُدُقَةٌ وَعُقُولُ^(٤)
وَلَكِنْ سَمَائِي كُلُّ أَيْبَضٍ حَضْرَمٍ^(٥) فَأَصَحْتُ أَذْرَى الْيَوْمِ كَيْفَ أَقُولُ
وقتل الكلبي عبد الله بن الجوشن الفطيماني قتله ابنه الجراح بن عبد الله
(رواد) ، وكانوا عرضوا عليه الدية ، فقال :

شَفَيْتُ بَرَوَادٍ غَلِيلاً وَجَدُّهُ عَلَى الْقَبْرِ مِنْهُ مُسْتَسْرٌ وَطَاهِرُ

(١) « شرط المعزى » : صغارها .

(٢) كان من حديث هذا الشعر أن هوار بن كات لا يرى رهير بن حذمة إلا ربا ، وكان
يعشرهم فإذا كانت سوق عكاظ أدها رهير بن حذمة وأنته هوارن بالإبادة ، فأنته عخور مرة
سعى فيه سمن ، فداقه فلم ير من ضعمه ، فدمعها نفوس كات في يده ، فسقطت على الأرض ،
فانكشفت ، فعضت قوسها ، وآلى حادس جعفر أن يقتله ، فلم يرل بعد لذلك عده حتى أمكنه
الفرصة فقتله . في حديث طويل ليس هنا موضع ذكره (انظره في بلوغ الأرب ج ١) .

(٣) العقل : جمع عقال . وهي الماسة القليلة الحسة . والمهائن من الابل :
اليمن الكرائم .

(٤) الحدج : المرأة المتكئة الدراعين والساقين . والصدقة : المهر . والعقول : الديات ،
واحدة عقل .

(٥) « الحضرم » : السد .

أَلَا لَيْتَ قَبْرًا بَيْنَ أُدْمَى^(١) وَمُطَرِّقٍ يُحَدِّثُهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ خَابِرُ
وَقَالُوا تَدِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَنَفْتَدِي فَقُلْتُ : كَرِيمٌ مَا تَدِيهِ الْأَبَاعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ دَثْرُهُ^(٢) وَتَغْبُرُ أَقْوَالُ وَتَبْقَى الْمَعَايِرُ
أُدْمَى وَمُطَرِّقُ غَدِيرَانِ^(٣) بَيْنَ فَدَكٍ وَبِلَادِ طِيٍّ .

سئلت أبنَةَ الْخُسِّ هَلْ يَلْقَحُ الْبَازِلُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ وَهُوَ رَازِمٌ ، أَى وَإِنْ كَانَ
لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَزَالِ . يُقَالُ : جَلَّ بَازِلٌ^(٤) وَنَاقَةٌ بَازِلٌ ،
وَيُقَالُ : ضَرَبَهُ فَبَرَكَعَهُ إِذَا أَبْرَكَهُ ، وَتَبَزَّكَعَ ، وَيُقَالُ : شِمَّ لِي هَذِهِ الْإِبِلَ ،
أَى أَنْظِرْ لِي خَبَرَهَا .

وَيُقَالُ لَوْلَدٍ كُلٌّ بِهَيْمَةٍ إِذَا سَاءَ غِذَاؤُهُ : جَجِنَ وَمُحْتَلٌّ وَجَدِعَ ، وَكُلُّ
مَا غُذِيَ بِغَيْرِ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ : عَجِيٌّ ، وَكَذَلِكَ الْجَجِينُ^(٥) وَالْوَغِيلُ وَالسَّغِيلُ كُلُّهُ
السَّيِّءُ الْغِذَاءِ .

سئل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ ، فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهَا ؟ مَعَهَا
حِذَاؤُهَا^(٦) وَسِقَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى يَأْتِيَهَا « رَبُّهَا » .

سئل — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ ، فَقَالَ : هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّئْبِ .
قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَالْلَقْطَةُ ؟ قَالَ : « تَعْرِفُهَا سَنَةً وَتَحْصِي وَكَاءَهَا وَوِعَاءَهَا » .

(١) أَدْمَى « هَمُّ الْهَمْرَةِ وَفَتْحُ الدَّالِ ، وَسَكَتُ الشَّعْرِ » .

(٢) « الْمَالُ الدَّثْرُ » : الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ وَ « تَغْبُرُ أَقْوَالُ » ، أَى تَبْقَى .

(٣) فِي اللِّسَانِ أَنَّ أَدْمَى : أَرَسَ بَطَاحِ الْبِمَامَةِ . وَذَكَرَ يَأْقُوبُ أَقْوَالَ كَثِيرَةً فِي تَعْيِينِ هَذَا
الْمَوْضِعِ مِنْهَا مَا يُوَافِقُ مَا وَرَدَ فِي اللِّسَانِ . وَمُطَرِّقُ : بِالْمِثَالَةِ أَيْضًا .

(٤) الْبَازِلُ : الَّذِي فَطَرَ نَابَهُ ، أَى انْتَشَقَ بِدُخُولِهِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ .

(٥) يَلَاحِظُ أَنَّ هَذِهِ السَّكَلَةَ مَدَّ ذَكَرْتُ فِيهَا سَبْقُ .

(٦) يُشِيرُ بِقَوْلِهِ « مَعَهَا حِذَاؤُهَا » إِلَى أَنَّهَا بَعِيدَةُ الْمَذْهَبِ قُوَّةً عَلَى الْمَشْيِ وَقَطْعِ الْأَرْضِ .
تَشْبِيهَا لَهَا بِالْمَسَافَرِ الَّذِي مَعَهُ حِذَاؤُهُ وَسِقَاؤُهُ .

وعِفَاصُهَا^(١) وَعَدَدَهَا ؛ فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ .

وقال أَبِي بَنْ كَعْبٍ : أَصَبْتُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « اِحْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا وَعَدَدَهَا فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَخْبِرْكَ بِعَدَدِهَا وَعِفَاصِهَا وَوِكَائِهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ وَإِلَّا فَعَرَّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا » .

قال علي بن الحسن : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بِقُفِّ النَّخْلَتَيْنِ^(٢) قال له الأنصار : يا رسول الله ، هل لك في السباق ؟ قال : نعم وهو يومئذ على النَّوَاضِحِ^(٣) — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في أُخْرِيَّاتِ النَّاسِ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الْعَصَاءِ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو في أَوَّلِ النَّاسِ — فقال : أين أسامة ؟ فتنادى الناس حتى بلغ أسامةَ الصَّوْتُ ، فَوَضَعَ السَّوْطَ فِي النَّاقَةِ فَأُصِلَتْ ، فلما دنت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ أَرَادُوا السَّمَاقَ فَأَرْبَحْ نَافِلَكَ حَتَّى تَرْعَوْا ، ثُمَّ عَلَّقَ الْحِطَامَ ثُمَّ سَابَقَهُمْ ؛ ففعلوا واستمتعوا ، فسمت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل أسامةٌ يَكْبُرُ ويقول : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يقول : سَبَقَ أُسَامَةُ ، فَمَا أَكْتَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَفَصِرْ يَا أُسَامَةُ ، فَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَيَاءٌ وَحَمِيظَةٌ .

قال : وليس لشيء من الحيوانِ سَنَامٌ إِلَّا الْعَيْرُ ، ولبعضِ الْبَخَائِي سَنَامَانِ ، ولبعضِ الْبَقَرِ شَيْءٌ صَغِيرٌ عَلَى مَوْضِعِ الْكَاهِلِ . والجمل يبول إلى خلفٍ ،

(١٢)

(١) العفاس : وعاء من حديد يضع فيه المسافر نفقته .

(٢) القف : ما ارتفع من الأرض . ولم نجد مضافاً إلى النخلتين فيما راجعناه من الكتب فلعل في هذا الاسم تحريفاً .

(٣) النواضح : الإبل التي يستقى عليها .

وكذلك الأسد . وقضيبُ الجمل من حصَبٍ ، وقضيبُ الإنسان من اللحمِ وغضروفٍ ، وقضيبُ الذئبِ والثعلبِ من عظمٍ ، وقضيبُ ذَكَرِ الأرنابِ من عظمٍ على صورة الثَّقبِ كأنَّه نصفُ أنبوبةٍ مشقوقة . وفي قلبِ الثَّورِ عَظْمٌ ، وربما وُجد في قلبِ الجملِ . والمرأةُ تَلِدُ من قَبْلِ ، والنَّاقةُ من خَلْفٍ . وزمانُ نَزْوِ الجِمالِ في (شباط) . والإناثُ من الإبلِ تَحْمِلُ اثني عشر شهراً وتَضَعُ واحداً وتَلْقَحُ إذا بلغت ثلاثَ سنين ، وكذلك الذَّكَرُ ، ثم تُقيم الأثني سَنَةً ثم يُنْزَى عليها .

ورعمَ صاحبُ المنطق أنَّ الجملَ لا يَبْرُو على أُمِّه ، وإن اضْطُرَّ كَرِهه .
قال : وقد كان رجلٌ في الدَّهْرِ السَّالِفِ سَتَرَ أَلَمَهُ بثوبٍ ثم أرسلَ بَكراً عليها ، فلما عرَفَ ذلك لم يُتِمِّ وقطع ، وحَقَّدَ على الجَمالِ نَقْلَهُ .

قال : وقد كان للملكِ فرَسٌ أُنْثى ، وكان لها أُمْلَاءٌ^(١) ، فأراد أن تَحْمِلَ من أَكْرَمِها ، فحَدَّ عنها وكَرِهَها ، فلما سَتَرَتْ وَنَبَّ فَرَكَبَها ، فلَمَّا رُفِعَ الثَّوبُ ورآها هربَ ومَرَّ حُضْراً^(٢) حتى ألقى نَفْسَهُ في بعضِ الأودِيَةِ فهلك ...^(٣)
هذا كلامُ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ .

قال حُدْمَةُ : كُنْ في المَتَنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ ، لا ظَهَرَ فَيُزَكَّبُ ، ولا لَبِنَ مُحَلَبٍ .

قال ديوجانس : إِنَّ الْمَرْأَةَ تُلَقِّنُ الشَّرَّ مِنَ الْمَرْأَةِ ، كما أَنَّ الْأَفْعَى تَأْخُذُ السَّمَّ^(١٣) مِنَ الْأَصْلَةِ .

(١) الأُمْلَاءُ : جمع فَاوٍ بكسر الفاء ، وهو المهر الذي لم يبلغ الفطام .

(٢) الحُضْرُ بِالضَّمِّ : سرعة العدو .

(٣) ورد في « ب » مكتوباً على هامشها عند موضع هذه القِطْعَةِ ما يفيد أنه قد سقط

من النسخة ثلاث ورقات .

وقال فيثاغورس : إنَّ كثيراً من الناس يرون ألعى الذى يعرضُ لعينِ
البدن فتأباه أنفسهم ، فأما عَمَى عينِ النفس فإنهم لا يرونه ولا تأباه أنفسهم ،
فلذلك لا يستحيون .

وقال أيضاً : كما أن الذى يسلك طريقاً لا يعرفه لا يدري إلى أى موضع
يؤدّيه ، كذلك الذى يسمع كلاماً لا يعرف الغرض فيه لا يرج منه
إلا التعب .

فيل لديوجانس : أيهما أولى ، طلبُ الغنى ، أم طلبُ الحكمة ؟ فقال :
للدنيا الغنى ، وللآخرة الحكمة .

وقيل له : متى تطيب الدنيا ؟ قال : إذا تفسف ملوكها وملك فلاسفتها .

(١٤) فقال الوزير — أسعده الله — عندى أن هذا الكلام مدخول ، لأن
ألفلسفة لا تصح إلا لمن رقص الدنيا ومرغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون
الملك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها والقيام عليها باحتلاب
مصلحتها ونفى معاسدها ، وله أولياء يحتاج إلى تديبرهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة
عليهم وموا كلتهم ومشارتهم ومذاراتهم والإشراف على سرهم وعلايتهم ،
والملك أنعب من الطبيب الذى يجمع معالجة كثيرة بصروب الأدوية المختلفة
والأغذية المنبانية : هذا والطبيب فقير إلى تقديم النظر في نفسه وبدنه ، ونفى
الأمراض والأغراض عن ظاهره وباطنه ، ومن كان هكذا ومن هو أكثر
منه وأشد حاجة وعلاقة كيف يستطيع أن يكون ملكاً وحكماً ؟ ! ولعل قائلًا
يظن هذا ممكناً ، ويكون الملك واعياً في الحكمة بالدعوى ، وفاعماً بالملك على
طريق الأولى ، وهذا إلى النيات الأمر وأحناله وأحتلاطه في الملك والفلسفة

[أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى إِحْكَامِ الْأَصْلِ وَإِثْبَاتِ الْفَرْعِ . قَالَ : وَلِهَذَا] لم نجد نحن في الإسلام من نظري أمر الأئمة على الزهد والتقى وإيثار البر وأهدى إلا عدداً قليلاً، وألجوسُ تزعمُ أن الشريعة مُعَرَّجَةٌ عن الملك ، أى الذى يأتى بها ليس له أن يُعَرَّجَ على الملك ، بل له أن يَكِلَ الملك إلى من يَقُومُ به على أحكام الدين ، ولهذا قال مَلِكُنَا الْفَاضِلُ : الدِّينَ وَالْمَلِكُ أَخَوَانِ ، فَالِدِينُ أَسُّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، فَمَا لَا أَسَّ لَهُ فَهُوَ مَهْدُومٌ ، وَمَا لَا حَارِسَ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ .

فقلت له : هذا باب إن توزع^(١) أقول فيه طال ، وإن رُمِيَ بالقصدِ جاز ، وللائمة كلامٌ كثيرٌ في الإمامة والخلافة وما يجرى مجرى النيابة عن صاحب الديانة على فنون مختلفة ، ومُجَلِّ مُتَعَدِّدَةٍ ، إِلَّا أَنَّ النَّازِرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، حَامِلًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، عَلَى طَرَائِقِهَا الْمَعْرُوفَةِ ، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ سِيَاسَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ ، وَالْمَلِكُ سِيَاسَةُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ مَتَى حَلَّتْ مِنَ السِّيَاسَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالسِّيَاسَةُ مَتَى عَرِيتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالْمَلِكُ مَبْعُوثٌ ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ مَبْعُوثٌ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ الْبَعَثَيْنِ أَخْفَى مِنَ الْآخَرِ ، وَالثَّانِي أَشْهُرُ مِنَ الْأَوَّلِ^(٢) . قَالَ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْتُ : إِنَّ الْمَلِكَ مَبْعُوثٌ أَيْضًا ؟ فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَا ثَبَتَتْ فِي أُذُنِي قَطُّ ، وَلَا خَطَرَتْ لِي عَلَى بَالٍ ؛ قُلْتُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) . فَعَجِبَ وَقَالَ : كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا قَطُّ .

ذِكْرُ لِلْإِسْكَندَرِ سِوَى أَحْوَالِ رُؤَسَاءِ مَذْهَبِهِ لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَحْتَازَ أَمْوَالَهُمْ (١٥) وَسَلَبَ أَحْوَالَهُمْ . فَقَالَ : يَجِبُ لِلآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِزَالَةُ أَلْدَمِّ عَنْهُمْ ، [وَمَحْوُ الْإِلَهِمْ ،

(١) فِي (١) «توزع» .

(٢) فِي كِلْتَا السَّخْنَيْنِ : «وَالأول أشهر من الثاني» .

وَأَسْتَغْفِرُ الْقُلُوبَ عَلَيْهِمْ ، وَنَشْرُ الْحَامِدِ عَنْهُمْ ۚ وَأَمْرَ بَرْدٍ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ ،
وَزَادَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ : قَدْ بَلَغَ مِنْ قَرَطٍ ذَفْقَةِ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ أَنْ
يُسَيِّثُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ لَتَكُونَ الْإِسَاءَةُ سَبَبًا لِلْإِحْسَانِ إِلَى أَوْلَادِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ
أَوْلَادَهُمْ كَأَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .

قلت : أيها الوزير ، إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِ فِي الْفِعْلِ الرَّشِيدِ وَالْقَوْلِ
السَّيِّدِ ، فَهَذَا الْمَنْصُورُ أَبُو جَعْفَرٍ صَاحِبُ الشَّهَامَةِ وَالصَّرَامَةِ أَخَذَ مِنْ وَجْهِهِ
الْعِرَاقِ أَمْوَالًا بِخَوَاتِيمِ أَصْحَابِهَا وَأَقْرَمَهُمْ ، وَجَعَلَهَا فِي خَزَائِنِهِ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ عَلَى تِلْكَ
الْخِرَاطِ وَالظَّرُوفِ أَسْمَاءَ أَهْلِهَا ، ثُمَّ وَصَّى الْمَهْدِيَّ بِرَدِّهَا عَلَى أَصْحَابِهَا بَعْدَ مَوْتِهِ ،
وَوَكَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ بِهَذَا أَنْ أُحَبِّبَكَ إِلَى النَّاسِ ، فَفَعَلَ
الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ ؟ فَانْتَشَرَ لَهُ أُلْصِيتُ وَكَثُرَ الدُّعَاءُ وَعَجَّتِ الْأَصْوَاتُ ، وَقَالَ النَّاسُ :
هَذَا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي وَرَدَ فِي الْأَثَرِ . فَقَالَ : هَذَا عَجَبٌ .

وَقَالَ سُقْرَاطُ : يَنْبَغِي لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْبَدَنَ هُوَ شَيْءٌ جُعِلَ نَافِعًا لِلنَّفْسِ مِثْلَ آلَةٍ
لِلصَّانِعِ أَنْ يَطْلُبَ كُلَّ مَا يَصِيرُ الْبَدَنُ بِهِ أَسْعَى وَأَوْفَقَ لِأَفْعَالِ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ فِيهِ ،
وَأَنْ يَهْزُبَ مِنْ كُلِّ مَا يُخَسِّرُ الْبَدَنَ غَيْرَ نَافِعٍ وَلَا مُوَافِقَ لِاسْتِعْمَالِ النَّفْسِ لَهُ .
قَالَ أُمِيرُوسُ : لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُؤَثِّرَ عِلْمَ شَيْءٍ إِذَا عُمِّرْتَ بِهِ غَصِبْتَ ،
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا كُنْتَ أَتَ الْقَادِفِ لِنَفْسِكَ .

وَقَالَ دِيوجَانِسُ : مِنَ الْقَبِيحِ أَنْ تَتَحَرَّى فِي أَغْذِيَةِ الْبَدَنِ مَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا
يَكُونُ ضَارًّا ، وَلَا تَتَحَرَّى فِي غِذَاءِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ لِثَلَاثٍ يَكُونُ ضَارًّا
وَقَالَ أَيْضًا : مِنَ الْقَبِيحِ أَنْ يَكُونَ الْمَلَّاحُ لَا يُطْلِقُ سَفِينَتَهُ فِي كُلِّ رِيحٍ ،
وَنَحْنُ نَطْلِقُ أَنْفُسَنَا فِي غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا أَحْتِبَارٍ .

ذكر لنا أبو سليمان أن فيلسوفاً وَرَدَ مَدِينَةً فِيهَا فِيلَسُوفٌ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَدَنِيُّ
كَأْسًا مَلَأَى ، يُشِيرُ بِهَا إِلَى أَنَّ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُ وَاقِعٌ عِنْدَهُ ، فَطَرَحَ الْقَادِمُ فِي الْكَأْسِ
إِبْرَةً ، يُعَلِّمُهُ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ تَنْفُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ .

وَقَالَ فِيلَسُوفٌ يُونَانِيٌّ : التَّقَلُّبُ فِي الْأُمُصَارِ ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْحَاجَمِ (١) ،
وَالْتَصَرُّفُ فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَأَسْتِمَاعُ فَنُونِ الْأَقْوَالِ ، مِمَّا يَزِيدُ الْإِنْسَانَ بَصِيرَةً
وَحِكْمَةً وَتَجَرِبَةً وَبِقِظَةً وَمَعْرِفَةً وَعِلْمًا .

قَالَ الْوَزِيرُ : مَا الْبَصِيرَةُ ؟ قُلْتُ : لَحَظُ النَّفْسِ الْأُمُورَ . قَالَ : فَمَا الْحِكْمَةُ ؟
قُلْتُ : مُبْلُوغُ الْقَاصِيَةِ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْظِ . قَالَ : فَمَا التَّجَرِبَةُ ؟ قُلْتُ : كَمَالُ النَّفْسِ بِلِحَازِ
مَالِهَا . قَالَ : هَذَا حَسَنٌ .

قَالَ أُنْكَسَاغُورَسُ : كَمَا أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا أُمْتَلَأَ بِمَا يَسْعُهُ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ تُجْعَلُ فِيهِ
رِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ فَاضٍ وَانْصَبَّ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرُ ؛ كَذَلِكَ
الذَّهْنُ مَا أَمَكْنَهُ أَنْ نَصْبِطَهُ فَإِنَّهُ يَصْبِطُهُ ، وَإِنْ طُلِبَ [مِنْهُ] ضَبْطُ شَيْءٍ آخَرَ
أَكْثَرَ مِنْ وَسْعِهِ تَحْيِيرٌ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُصِيعُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا كَانَ الذَّهْنُ ضَابِطًا لَهُ ،
وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ ، وَإِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِذْ ظَنُّوا وَقَالُوا : إِنَّ الْإِنْسَانَ
يَسْتَطِيعُ حِفْظَ جَمِيعِ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْقِيَامَ بِهَا وَالْإِبْقَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مَقْدُورًا
عَلَيْهِ [لَوُجِدَ ، وَ] لَوُجِدَ لَعُرِفَ ، وَلَوْ عُرِفَ لَذُكِرَ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا وَقَلْبُ
الْإِنْسَانِ مُضْغَةٌ ، وَفَوْتُهُ مَقْصُورَةٌ ، وَابْسَاطُهُ مُتَنَاهٍ ، وَاقْتِبَاسُهُ وَحْفْظُهُ وَتَصَوُّرُهُ
وَذِكْرُهُ مُحَدُودٌ ؟ وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُهَدِّيِّ الطَّبْرِيِّ قَالَ : قُلْتُ بِيغْدَادَ لِأَبِي
بِشْرٍ : لَوْ نَظَرْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَلْفَقِهِ مَعَ هَذِهِ الْبَرَاعَةِ الَّتِي لَكَ فِي الْكَلَامِ ، وَمَعَ هَذَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالتَّوَسُّطُ الْجَامِعُ » .

اللسان الذي تحيّر فيه كلُّ خصم . قال : أفعلُ ، قال . فكنتُ أقرأ عليه بالتهار مع المختلفة الكلام ، وكان يقرأ على بالليل شيئاً من ألفقه ، فلما كان بعد قليل أقصر عن ذلك ، فقلت له : ما السبب ؟ قال : والله ما أحفظ مسألة جليّة في ألفقه إلاّ وأنسى مسألة دقيقة في الكلام ، ولا حاجة لي في زيادة شيء يكون سبباً لنقصان شيء آخر مني .

وسأل رجل آخر أن يُقرضه مالا ، فوعده ثم غدر به ، فلامه الناس ، فقال : لأنّ يحمرّ وجهي مرّة أحبّ إليّ من أن يصفرّ مراراً كثيرة .
ووليّ أريوس ولاية فقال له أصدقاؤه : الآن يظهر فضلك . فقال : ليست الولاية تُظهر الرجل ، بل الرجل يُظهر الولاية .
وقال ديوجانس . الدنيا سوق المسافر ، فليس ينبغي للعاقل أن يشتري منها شيئاً فوق الكفاف .

وقيل لاسطفانس : من صديقك ؟ قال : الذي إذا صرّت إليه في حاجة وجدته أشدّ مسارعة إلى قضائها مني إلى طلبها .
وقال أملاطون : إن للنفس لذتين : لذّة لها مجرّدة عن الجسد ، ولذّة مشاركة للجسد ، فأما التي تنفرد بها النفس فهي العلم والحكمة ، وأما التي تشارك فيها البدن فالطعام والشراب وغير ذلك .

وقيل لسقراط : كيف ينبغي أن تكون الدنيا عندنا ؟ قال : لا تستقبلوها بتمنٍّ لها ، ولا تتبعوها بتأسّف عليها ؛ فلا ذلك مُجدٍ عليكم ، ولا هذا راجع إليكم .
وقال سقراط : القنيّة^(١) مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس [بحر] .

(١) في كلتا النسختين : « القينة » ؛ وهو تحريف ؛ والقنية : ما يقتنى

وقال بعض ندماء الإسكندر له : إن فلاناً يسيء الثناء عليك ، فقال : أنا أعلم أن فلاناً ليس بشيرير ، فينبغي أن يُنظر هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك ، فَبَحَثَ عن حاله فوجدَها رثّةً ، فأمر له بصلّة سنّية ، فبلغه بعد ذلك أنه يبسط لسانه بالثناء عليه في المحافل ؛ فقال : أُماترون أن الأمر إلينا أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌ . قيل لطيمانوس : لم صرّت تسيء القول في الناس ؟ قال : لأنه ليس يمكنني أن أسيء إليهم بالفعل . وكان مرّة في صحراء ، فقال له إنسان : ما أحسن هذه الصحراء ! قال : لو لم تحضُرْها أنت .

وقال عالوس : ما وجه الأهتمام بما إن لم يكن ^(١) أَجْزِئ مَوْنُهُ ، وإن كان فالمنفعة به وبمحصوره قليلة منقطعة .

وقال سُقراط : ينبغى إذا وَعَظْتَ ألا تتشكّل بشكل منتقمٍ من عدوّ ، ولكن بشكل من بُسِطَ أو يَكْوَى بعلاجه داء بصديق له ، وإذا وُعِظْتَ أيضاً بشيء فيه صلاحك ، فينبغى أن تتشكّل بشكل المريض للطبيب .

ركب مقاريوس في حاجة ، فرَبَزَ يَمُوسَ ومدّ نعلق به رجل يطالبه بمال اختدعه عنه وعليهما جماعة من الناس ، وهو يسأله تنجيم ذلك المال عليه نجومًا ليؤدّيه ، ويتصرّعُ أمدّ التصرّع . فقال منقاروس : ما طَلَبْتُكَ عند هذا الرجل ؟ فقال : أتاني نحدعني بالزهد والنسك عن مالي ، ووعدني أن يملأ بيتي ذهباً من صنعته ، فلم أزل في الأسترسال إلى ظاهره السليم حتى أقربني باطنه السقيم . فقال له مقاريوس : إنَّ كلَّ مَنْ بَدَّلَ شَيْئًا إِنَّمَا يَبْذُلُهُ عَلَى قَدَرٍ وَسُعِهِ ؛ وكان زيمُوسُ أَتَاكَ عَلَى حاله التي هو عليها ، ولم يكن ليتسع لأكثرَ من ذلك القول ؛ وأما عَمَلُ الذَّهَبِ فَبَيِّنٌ ظاهر ، لأنَّ فَقْرَهُ يَدُلُّ عَلَى تَجْزِهِ وَضَعْفِهِ عنه ، ومن أَمَلَ الغنى عند الفقير ^(١) يلاحظ أن قوله : «يكن» هنا تامة ، أي إن لم يوجد ؛ وكذلك قوله : «كان» الآتي .

فَنَافِيَهُ مَا يُسْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ أَنْ يَصِيرَ مِثْلَهُ ؛ وَآخِرُ مَا يُؤَمِّلُ عِنْدَ الْفَقِيرِ نَيْلُ الْفَقْرِ .
 فَقَدْ أَصَبْتَ مَا كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَجِدَهُ عِنْدَ زَيْمُوسَ ؛ وَهُوَ حَظٌّ إِنْ تَمَسَّكَتَ
 بِهِ لَمْ يَغْلُ بِمَا تَلَفَ مِنْ مَالِكَ ، وَلَئِنْ كَانَ وَعْدُكَ أَنْ يُفِيدَكَ مَالًا بَاطِلًا فَلَقَدْ
 أَفَادَكَ مَعْدِنًا حَقًّا ، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى نَفْعِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى زَيْمُوسَ وَقَالَ لَهُ :
 مَا أَبْعَدَ شَبَهَ مَعْدِنِكَ مِنَ الْمَعَادِنِ الطَّبِيعِيَّةِ ! إِنَّ الْمَعَادِنَ تَلْفِظُ الذَّهَبَ ، وَمَعْدِنُكَ
 هَذَا يَبْتَلَعُ الذَّهَبَ ؛ وَمَنْ جَاوَرَ مَعْدِنًا مِنْهَا أَغْنَاهُ ، وَمَنْ جَاوَرَ مَعْدِنَكَ أَفْقَرَهُ ؛
 وَالْمَعَادِنُ الطَّبِيعِيَّةُ تُثْمِرُ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ ، وَمَعْدِنُكَ يَقُولُ مِنْ غَيْرِ إِثْمَارٍ . فَقَالَ
 زَيْمُوسُ : أَيُّهَا الْمَاضِلُ ، لَنْ عِثْتَنِي فَلَسْتُ بِأَوَّلِ حَكِيمٍ لَقِيَ مِنَ النَّاسِ الْأَذَى .
 فَقَالَ لَهُ : أَجَلٌ ، وَلَا آخِرَ لَهُمْ وَلَا أَوْسَطِهِمْ ، لَكِنَّكَ مِنَ الْجَهَالِ الَّذِينَ لَقِيَ النَّاسُ
 مِنْهُمْ الْأَذَى .

(١٦) قَالَ — أَعْلَى اللَّهِ قَوْلُهُ — : فَهَلْ لِهَذَا الْأَمْرِ — أَعْنَى الْكِيمِيَاءِ — مَرْجُوعٌ ؟
 وَهَلْ لَهُ حَقِيقَةٌ ؟ وَمَا تَحْفَظُ عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ؟

مَكَانُ الْجَوَابِ ، أَمَّا يَحْيَى بْنُ عَدِيٍّ — وَهُوَ أَسْنَاذُ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ — مَكَانَ
 فِي إِصْبَعِهِ حَاتَمٌ مِنْ فِصَّةِ زَرْعٍ أَنْ فِصَّتَهُ عُمِلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَّهُ شَاهَدَ عَمَلَهَا
 عِيَانًا ، وَأَنَّهُ لَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ .

وَأَمَّا أَصْحَابُهُ كَأَنَّ رُزْعَةَ وَأَبْنَ الْخَمَّارِ ، فَذَكَرُوا أَنَّ ذَلِكَ تَمَّ عَلَيْهِ مِنْ
 فَعْلٍ لَمْ يَفُطِنْ لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ أَغْتَرَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَالِينَ الْخَدَّاعِينَ .
 وَأَمَّا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَحَصَلَتْ مِنْ جَوَابِهِ عَلَى أَنَّهُ مُمْكِنٌ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ
 إِمْكَانِهِ وَلَا دَلِيلَ حَقِيقَتِهِ .

وَأَمَّا أَبُو زَيْدِ الْبَلْخِيِّ — وَهُوَ سَيِّدُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ فِي أَنْوَاعِ الْحِكْمَةِ —

فذكرَ أَنَّهُ مُحَالٌ وَلَا أَصْلَ لَهُ ، وَأَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَوْجِبُ صِحَّةَ هَذَا الْأَمْرِ ،
وَأَنَّ صِحَّتَهُ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ، (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) .

وَأَمَّا مِسْكَوِيهِ — وَهِيَ هَوَيْنِ يَدِيكَ — فَيَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ وَصَحِيحٌ ،
وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمْنَعُ مِنْ إِعْطَائِهِ ، وَلَكِنَّ الصَّنَاعَةَ شَائِقَةٌ ، وَالطَّرِيقَ إِلَى إِبْصَارِ
الْمِقْدَارِ عَسِيرَةٌ ، وَجَمَعَ الْأَسْرَارَ صَعْبٌ وَبَعِيدٌ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَمَنِّعٍ ؛ فَقَدْ مَضَى
عُمُرُهُ فِي الْإِكْبَابِ عَلَى هَذَا بِالرَّيِّ أَيَّامَ كَانَ بِنَاحِيَةِ أَبِي الْفَضْلِ ^(١) وَأَبِي الْفَتْحِ
ابْنِهِ مَعَ رَجُلٍ يُعْرَفُ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، تَاهَدْتُهُ وَلَمْ أَحُدِ عَقْلَهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ
وَسْوَاسٍ وَكَذِبٍ وَسَقَطٍ ، وَكَانَ مَخْدُوعًا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، خَادِعًا فِي آخِرِ عُمُرِهِ .

وَأَبَيْنُ مَا سَمِعْتُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ فَوْقَ الصَّنَاعَةِ ، وَأَنَّ الصَّنَاعَةَ
دُونَ الطَّبِيعَةِ ، وَأَنَّ الصَّنَاعَةَ تَتَشَبَّهُ بِالطَّبِيعَةِ وَلَا تَكْمُلُ ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَتَشَبَّهُ بِالصَّنَاعَةِ
وَتَكْمُلُ ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ سَارِيَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ وَاصِلَةٌ إِلَيْهَا ، عَامِلَةٌ فِيهَا
بِقَدْرِ مَا لِلْأَشْيَاءِ مِنَ الْقَبُولِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَالْأَنْفَعَالِ وَالْمَوَاتَاتِ ، إِمَّا عَلَى التَّامِّ ،
وَإِمَّا عَلَى النِّقْصَانِ . وَقِيلَ : إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَسْلُكُ إِلَى إِبْرَازِ مَا فِي الْمَادَّةِ أَبْعَدَ
الطَّرِيقِ ، وَلَا تَتْرُكُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْمَعَادِنُ هِيَ الَّتِي تُعْطَى هَذِهِ
الْجَوَاهِرَ عَلَى قَدْرِ الْمُقَابِلَاتِ الْعُلَوِيَّةِ وَالْأَشْكَالِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْمَوَادِّ السُّفْلِيَّةِ وَالْكَائِنَاتِ
الْأَرْضِيَّةِ ، لَمْ يَجْزُ أَنْ تَكُونَ الصَّنَاعَةُ مُسَاوِيَةً لَهَا ، كَمَا لَمْ يَجْزُ أَنْ تَكُونَ
مُسْتَعْلِيَةً عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الصَّنَاعَةَ بَشَرِيَّةٌ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنَ الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ إِلَهِيَّةٌ ،
وَلَا سَبِيلَ لِقُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ أَنْ تَنَالَ قُوَّةَ إِلَهِيَّةٍ بِالمَسَاوَاةِ ؛ فَأَمَّا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّقْرِيبِ
وَالْتَّلَاسِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِالصَّنَاعَةِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي

(١) يريد أبا الفضل بن العميد .

الحقيقة ، لا ذهب ولا فضة ؛ وإذا كان ظهور القطن بالطبيعة وظهور الثوب بالصناعة فليس لهذه أن تعرض لهذه ، [ولا لهذه أن تعرض لهذه] ؛ والأمور موزونة^(١) ، والصناعات متناهية ؛ فإن ادعى في شيء من الصناعة ما يزيد عليها حتى تكون كأنها الطبيعة ، احتيج إلى برهان واضح ، وإلى عيان مصرح ، لأننا نعلم أنه ما من صناعة ولا علم ولا سياسة ولا نحلة ولا حال إلا وقد حمل عليها ، وزيد فيها وكذب من أجلها بما إذا طلبت صحته بالبرهان لم تجد ، أو بالعيان لم تقدر .

(١٧) فاما أصحاب الفسك ومن عرف بالعبادة والصلاح ؛ فقد ادعى لهم أن الصفر يصير لهم ذهباً ، وشيئاً آخر يصير فضة ، وأن الله عز وجل يزول لهم الجبل وينزل لهم القطر ، ويثبت لهم الأرض ، وغير ذلك مما هو كآليات للأنبياء الذين يأتون من قبل الله بالكتب والوصايا والأحكام والمواعظ والنصائح ، وربما يسمى كثير من الناس ما يظهر للزهاد والعباد من هذا الصرب كرامات ولا يسميها معجزات ، والحقائق لا تنقلب بالأسماء ، فإن المسمى بالكرامة هو المسمى بالمعجزة والآية .

والخوض في هذا الطرف قديم ، وفصله في الحق شاق ، والتنازع فيه قائم ، والظن يعمل عمله ، واليقين غير مظهر به ، ولا موصول إليه ؛ والطبيعة قد أولعت الناس بادعاء الفرائب ، وبعثتهم على نصرتها بالوفق والخرق ، والتسهيل واللجاج ، والمواتاة والمحك ، والله في طي هذا العالم العلوي أسرار وخفايا وغيوب ومكان لا قوة لأحد من البشر بالحس ولا بالعقل أن يحوم حولها ، أو يبلغ عمقها ، أو يدرك كنهها ، ومن تصرف عرف ، ومن عرف سلم ، والسلام .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين .

وحكى لنا أبو سليمان أنَّ أرسطوطاليس كتب إلى رجل لم يُشَفِّعْ^(١) في رَجُلٍ (١٨)
سأله الكلامَ له في حاجة : إن كنتَ أَرَدْتَ ولم تَقْدِرْ فمُعدور ، وإن كنتَ
قَدَرْتَ ولم تُرِدْ فسوف يحى . وقتٌ تريد ولا تَقْدِر .

وقال بعض الحكماء : لا تُرَفِّهوا السُّفلةَ فيعتادوا الكسلَ والراحة ، ولا
تَجِرُّوهم فيطلبوا السُّرفَ والشَّغَبَ ، ولا تأذنوا لأولادهم في تعلُّمِ الأدب فيكونوا
لرداءة أصولهم أَذْهَنَ^(٢) وأغوصَ ، وعلى التعلُّمِ أصبر ؛ ولا جرم فإنهم إذا سادُوا^(٣)
في آخر الأمر خربوا بُيُوتَ العِلْيَةِ أهل القصائل .

وقال فيلسوف : للنفس خمسُ قُوَى : الحسُّ والوهم والذهن والاختبار (١٩)
والفكر .

فأما الحسُّ فلحاقُ الأشياء بلا فحص ، ولا يُحتاج في ذلك اللِّحاق إلى شيء .
آخر ، إلا أن يكون ممنوعاً بمانع ، وذلك إذا وجد شيئاً أبيض حَكَمَ بأنه أبيض
بلا مِكر ولا مِياس .

وأما الوهم ، فإنه يقع على الأشياء بتوسط الحسِّ .
وأما الاختبار فيوافق الفكر ، كقولك : النفسُ لا تموت ، فهذا قولٌ اختباريٌّ
بعد الفكر ، فإن كان هذا هكذا فالاختبار ليس بقياس ، ولكنه أُنْقُ القياس .
وأما الذَّهن فإنه لا يهجم على أوائل الأشياء .

وقال آخر شبيهاً بهذا الكلام ، ولا بأس أن يكون مضموماً إليه ، ليكون
شمل الفائدة أكثر نظاماً وأقرب مَرَاماً .

(١) يشفعه : يقبل شفاعته

(٢) أَذْهَن ، أى أجود ذهماً ، وفي (١) « أدهى » ، وفي ب « أذهب » ، وهو
تصحيح في كليهما .

(٣) في كلتا النسختين : « صاروا » .

قال : ليس للحواس والحركات فعلٌ دون أن تبعثها القوة المميّزة ، فذلك لا يحسُّ السكران ولا النائم ، وكذلك أيضاً البهائم فإنها لا تصيح إلا بعد أن يفرض في فكرها شيء ، ولا تتحرك إلا بأنبعاث القوة المميّزة .

ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواح في ثلاثة أعضاء رئيسة : نفسية في الدماغ ، وحيوانية في القلب ، وطبيعية في الكبد .

وفي كل واحد منها قوةٌ مميّزةٌ بها يتم عمله ، فالتى في الدماغ هى العقل المميّز الحارس للبدن ، ومنه ينبعث الحسُّ والحركة ، [والتى] فى القلب تنبعث منها الحرارة الغريزية فى جميع البدن ؛ ورعوا أن تلك الحرارة هى الروح ؛ والتى فى الكبد هى موضع الهضم والنسج ، وهى التى تنصح الطعام وتغيره وتحيله دماً وتورّع فى كلِّ عَصْرٍ ما هو ملائمٌ له ، وبالجادة تجذب ، وبالحابسة تحبس ، وبالمهاضمة تهضم ، وبالدّامعة تدفع .

فأما الدماغ فينقسم ثلاثة أقسام : ينحجر بينها أغشية ، أحدها فى مقدّم الرأس موضع التخيل ، والثانى فى وسط الرأس موضع العقل والفكر والتمييز ، والثالث فى مؤخر الرأس موضع الحفظ والدّكر والقبول : فكلُّ واحد مما ذكرنا يخدم الآخر ، وإن ضَعُفَ أحدها ضَعُفَ لضعفه الآخر ، وباعتدالهنّ وسلامتهنّ فوامُ البدن والنفس .

ولكلِّ واحدٍ منها آلةٌ بها يستعين على خدمة الآخر .

قال : فكما أن الرّحى إذا نقصت شيئاً منها أو زدت أُمسِد الطحن ؛ إتما بزيادة أو نقصان ، كذلك سائرُ خدَمه وآلاته .

وقال : الدماغ مسكن العقل ، وخدمته الحسُّ والحركة ؛ والقلب مسكن

الحرارة الغريزية ، وخدمته العروق الضواريب ؛ والكبد مسكن النضج والهضم ، وخدمتها العروق غير الضواريب .

وقال : النار تحرق ، فإذا كانت موجودة فالدخان والرماد موجودان ، والدخان رماد لطيف ، والرماد دخان كثيف .

وقال أبو سليمان : ذكر بعضُ البَحَّاثين عن الإنسان أنه جامعٌ لكلِّ ما تفرَّقَ في جميع الحيوان ، ثم زاد عليها وفضَّل بثلاث خصالٍ : بالعقل والنظر في الأمور الناعمة والصَّارَة ، وبالمنطق لإبراز ما استفاد من العقل بوساطة النظر ، وبالأيدى لإقامة الصَّناعات وإِثْرَازِ الصُّورِ فيها مماثلةً لما في الطبيعة بقوة النفس . ولَمَّا أَنْظَمَ له هذا كله حَمَعَ الحِيلَ والطلبَ والهَرَبَ والمكايدَ والحذرَ ، وهذا نَدَلُ الشرعة والحِفة التي في الحيوان ، واتَّخَذَ بيده السلاح مكان الناب والمِخْلَبَ والقرنَ ، وأَتَّخَذَ الجُنَّ لتكونَ وِفاءً من الآفات ، والعقلُ يَنْبُوعُ العلمِ ، والطبيعة يَنْبُوعُ الصَّاعات ، والفِكرُ بينهما قَابِلٌ منهما ، مُؤَدِّيٌّ من بعض إلى بعض ، فصوابُ بَذِيهَةِ الفِكرِ من صِحَّةِ العقل ، وصوابُ رَوِيَّةِ الفِكرِ من صِحَّةِ الطَّبَاعِ .

(٢٠) وقال أبو العباس : النَّاسُ في العِلْمِ على ثلاثِ درجاتٍ ، فواحدٌ يُلْهَمُ فَيُعَلِّمُ فيصيرُ مَبْدَأً ، والآخرُ يَتَعَلَّمُ ولا يُلْهَمُ فهو بُوْدِيٌّ ماقد حَفِظَ ، والآخرُ يُجْمَعُ له بين أن يُلْهَمَ وأن نَعْلَمَ . فيكون بقليل ما يتعلَّمُ مُكْتَبَرًا بقوة ما يُلْهَمُ .

وقال : الإنسان بين طبيعته — وهي عليه — ونفسه — وهي له — منقسمٌ ؛ فإن اقْتَبَسَ من العقل قُوًى نُورَهُ ما هو له من النَّفْسِ ، وأَضَعَفَ ما هو عليه من الطبيعة ، فإن لم يكن يَقْتَبِسُ بَقِيَّ حيرانٍ أو مُهَوَّرًا .

وقال سُقراط : الكلام اللطيف ، ينبؤ عن الفهم الكثيف .
وحكى لنا أبو سليمان قال : قيل لفيلسوف : ما بال المريض إذا داواه الطبيب
ودخل عليه فرح به وقبل منه وكافأه على ذلك ، والجاهل لا يفعل ذلك بالعالم
إذا علمه ويبن له ؟ فقال : لأن المريض عالم بما عند الطبيب ، وليس الجاهل
كذلك ، لأنه لا يعلم ما عند العالم .

وقال ديوجانس لصاحبه : أما [نعل] أن الحمام إذا كان سمائياً كان أغلى
ثمناً ، وإذا كان أرضياً كان أقل ثمناً^(١) .

قال — أبقاه الله — هذا مثل فى غاية الحُسن والوضوح .

[وقال ديوجانس^(٢) : المأكول للبدن ، والموهوب للعماد ، والمحفوظ للعدو .

وقال فيلسوف : التهاون بالسير أساس للوقوع فى الكثير .

وقال أملاطون : مثل الحكيم كمثل النملة تجتمع فى الصيف للشتاء ، وهو
يجمع فى الدنيا للآخرة .

وقال فيلسوف : من يصف الحكمة بلسانه ولم يتحلل بها فى سره وحهره فهو
فى المثل كرجل رزق ثوباً فأخذ بطرفه فلم يلمسه .

وقال السيد المسيح : إن أسطعت أن تجعل كنزك حيث لاأكله الشوس ،
ولا تدركه اللصوص ، فأفعل . [

قال فيلسوف : إذا نارحك إنسان فلا تجبه ، فإن الكلمة الأولى أتت
وإجابتها فحلها ، وإن تركت إجابتها تترتها وقطعت نسلها ، وإن أحببها

(١) يلوح لنا أن فى هذه الفقرة نقصاً سقط من الناسخ فى كلتا النسخين .

(٢) آخر هذه الريادة التى نقلناها عن ب بعض كلمات مطبوعة لم استطع تمييزها ، فلم
ثبتها ، فانظرها فى هامش الورقة رقم ٢٠٤ من هذه النسخة .

أَلْقَحْتَهَا ؛ فَمِنْ مَنْ وَلَدَ يَنْمُو بَيْنَهُمَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

وقال فيلسوف : إِنَّ الْبَعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاعَتْ وَإِذَا شَبِعَتْ مَاتَتْ .

وقال ديوجانس : إِنْ تَكُنْ مِلْحًا يُضْلِحْ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ .

وقيل لـديوجانس : مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ حَيْثُ يَأْكُلُ عَبْدٌ لَهُ رَبٌّ .

وقال ديوجانس : كُنْ كَالْعُرْسِ تُرِيدُ الْبَيْتَ خَالِيًا .

قيل لـأرسطوطاليس : إِنْ فَلَانًا عَاقِلٌ . قَالَ : إِذَا لَا يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا .

وقيل لـقيثاغورس : مَا أَمْلَكَ فَلَانًا لِنَفْسِهِ ! قَالَ : إِذَا لَا تَصْرَعُهُ شَهْوَتُهُ ، وَلَا تَخْذَعُهُ لَذَنُهُ .

وقيل لـأسقليبيوس : فَلَانٌ لَهُ هَمَّةٌ . قَالَ إِذَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِدُونِ الْقَدَرِ .

وَمَدَحَ رَجُلٌ ثِيُودُورُوسَ عَلَى زُهْدِهِ فِي الْمَالِ قَالَ : وَمَا حَاجَتِي إِلَى شَيْءٍ الْبَخْتِ يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّوْمُ يَحْفَظُهُ ، وَالنَّفَقَةُ تُبَدِّدُهُ ، إِنْ قَلَّ غَلَبَكَ الْهَمُّ بِتَكْثِيرِهِ ، وَإِنْ كَثُرَ تَقَسَّمَكَ فِي حِفْظِهِ ، يَحْشُدُكَ مِنْ فَاتِهِ مَا عِنْدَكَ ، وَيَخْذَعُكَ عَنْهُ مَنْ يَطْمَعُ فِيهِ مِنْكَ .

وقال سُقْرَاطُ : مَا أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ عَالِمَةً بِكُلِّ مَا أُعِدَّ لَهَا ؛ قِيلَ :

وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ طَارَتْ فَرَحًا وَلَمْ يُفْتَنَغْ بِهَا .

وقال ديوجانس : الْقَلْبُ ذُو لَطَافَةٍ ، وَالْجِسْمُ ذُو كَثَافَةٍ ، وَالْكَثِيفُ

يَحْفَظُ الْلَطِيفَ كَضَوْءِ الْمَصْبَاحِ فِي الْقِنْدِيلِ .

وقال أملاطون : الْعِلْمُ مِصْبَاحُ النَّفْسِ ، يَنْفِي عَنْهَا ظُلْمَةَ الْجَهْلِ ، فَمَا أَمَكَّنَكَ

أَنْ تُضَيِّفَ إِلَى مِصْبَاحِكَ مِصْبَاحَ غَيْرِكَ فَأَفْعَلْ .

قال أبو سليمان : مَا أَحْسَنَ الْمَصْبَاحِ إِذَا كَانَ زَجَاجُهُ نَقِيًّا ، وَضَوْؤُهُ ذَكِيًّا ،

وَزَيْتُهُ قَوِيًّا ، وَذُبَالُهُ سَوِيًّا .

قيل لسقراط : ما أَحْسَنُ بالمرء أن يتعلَّمه في صِغَرِه ؟ قال : ما لا يَسَعُه أن يَجْهَلَه في كِبَرِه .

قال أبو سليمان : ومن هاهنا أَخَذَ مَنْ قال : يَحْسُنُ بالمرء التعلُّمُ ما حَسَنَتْ به الحياة .

قيل لهوميروس : ما أَصْبَرَكَ على عَيْبِ النَّاسِ لك ! قال : لَأَنَا أُسْتَوِينَا في الْعَيْبِ ، فَأَنَا عِنْدَهُمْ مِثْلُهُمْ عِنْدِي .

وقيل للإسكندر : أَى شَيْءٍ أَتَ به أَسْرُ ؟ قال : فُوتَنِي على مَكافَأَةٍ من أَحْسَنَ إِلَيَّ بأَحْسَنَ مِنْ إِحْسَانِهِ .

[وقال ديوجانس : إِنَّ إِقْبَالَكَ بالحديث على مَنْ لا يَفْهَمُ عَنْكَ بِمِزَلَةٍ مِنْ وَضَعِ الْمَائِدَةِ على مَقْبَرَةٍ] .

ورأى دِيُوجَانِسَ رجلاً يأكل ويتذَرَّعُ^(١) وَيُكْثِرُ ، فقال له : يا هَذَا ، لَيْسَتْ زِيَادَةُ الْقُوَّةِ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ ، وَرِمَا وَرَدَ على بَدَنِكَ مِنْ ذَلِكَ الصَّرُّ الْعَظِيمُ ، وَلَكِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْقُوَّةِ بِجُودَةٍ مَا يَقْبَلُ بِدَنُكَ مِنْهُ على الْمَلَامَةِ .

وقال ديوجانس : الدَّهْبُ وَالْفِصَّةُ فِي الدَّارِ بِمِزَلَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي الْعَالِ . قال أبو سليمان : هَذَا مَلِيحٌ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تَتَّبِقَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَإِنَّهُمَا يُكْسِفَانِ فَيَكُونَانِ سَبَباً لِفَسَادٍ كَثِيرٍ ، وَيَذُوبَانِ^(٢) وَيُحْمَيَانِ فَيَكُونَانِ ضَارِرَيْنِ . وقال أفلاطون : مَوْتُ الرُّؤَسَاءِ أَصْلَحُ مِنْ رَأْسَةِ السُّفَلَةِ .

وقال : إِذَا مَخَلَ الْمَلِكُ بِالْمَالِ كَثَرَ الْإِرْجَافُ بِهِ .

وقال سولون : الْعِلْمُ صَغِيرٌ فِي الْكَمِّيَّةِ ، كَبِيرٌ فِي الْكِيفِيَّةِ .

(١) يتذرع ، يكثر ويفرط . (٢) يذوبان ، أى الذهب والفضة .

وقال أبو سليمان : يعنى أن القليل منه إذا استعملته على وجهه كان له إناء ونفع فائض وَدَرٌّ سَائِحٌ ، وغاية محمودة ، وأثرٌ باقٍ . وهذه كلها كيفياتٌ من تلك الكمّية .

وقال أفلاطون : لا يَسُوسُ النفوسَ الكثيرةَ على الحقِّ والواجبِ من لا يُمْكِنُهُ أن يَسُوسَ نفسه الواحدة .

وقال سُقْرَاطُ : النَّفْسُ الْفَاضِلَةُ لَا تَطْفَى بِالْفَرَحِ ، وَلَا تَجْزَعُ مِنَ التَّرَحِّ ، لأنها تنظر في كلِّ شيءٍ كما هو ، لا تسليه ما هو له ولا تُضِيفُ إليه ما ليس منه ؛ والعَرَحُ بالشَّيءِ إما يكون بالنَّظَرِ في محاسِنِ الشَّيءِ دون مساوئه ، والتَّرَحُّ إنما يكون بالنظر في مساوئِ الشَّيءِ دون محاسِنه ؛ فإذا خَلَصَ النظرُ من شَوْبِ الغلطِ فيما يُنْظَرُ فيه انتفى الطُّغْيَانُ والجَزَعُ ، وَحَصَلَ النظامُ وربع^(١) .

قال ديوجانس : ينبغي للإنسان أن ينظر في المرأة ، فإن كان وجهه حسناً أَسْتَقْبَحَ أن يُضِيفَ إليه فعلاً قبيحاً ، وإن كان وجهه قبيحاً أُمْتَقَصَ أن يضيف قبيحاً إلى قبيح حتى يتضاعف القبح .

وقال إبقرات : منزلة لطافة القلب في الأبدان بمنزلة لطافة الناظر في الأجفان . وقال : للقلب آفتان : وهما الغمُّ والهمُّ ، فالغمُّ يعرض منه النومُ ، والهمُّ يعرض منه السَّهرُ ، وذلك أن الهمَّ فيه فكرٌ في الخوفِ مما سيكون ، فنه يغلبُ السَّهرُ ؛ والغمُّ لا فكرَ فيه ، لأنه إنما يحدث لما قد مضى وكان .

وقال أفلاطون : من يصحب السلطان فلا يجزع من قسوته ، كما لا يجزع الغواصُّ من ملوحة البحر .

قال أبو سليمان : هذا كلامٌ ضرُّه أكثرُ من نفعه ، وإنما نفعه صاحبه

بالمثال ، والمثالُ يَسْتَجِيبُ للحقِّ كما يَسْتَجِيبُ للباطل ، والمعوّل على ما ثبتت بالدليل ، لا على ما يُدَّعى بالتّشثيل ، وقد يجبُ أن يُجْتَنَبَ جانبُ السُّلطان بغاية لأستطاعة والإمكان ، إلا إذا كان الدهرُ سليماً من الآفات الغالبة . فقال له الأندلسي : وما صورةُ الزمان الخالي من الآفات ؟ فقال : أن يكون الدينُ طَريّاً^(١) ، الدولة مقبلة ، والحضْبُ عامّاً ، والعِلْمُ مطلوباً ، والحكمة مرغوباً فيها ، والأخلاق طاهرة ، والدعوة شاملة ، والقلوبُ سليمة ، والمعاملات متكافئة ، والسياسة مفروسة ، والبصائر متقاربة . فقال : هذا لو صحَّ لأرتفع الكونُ والفساد اللذان وهما سوسُ هذا المكان ، فقال : غلطت يا أبا عبد الله ، فإن الكونَ والفسادَ يكونان على حالهما ، ولكهما يقعان على معلومين للصورة الثابتة ، والسياسة العامة الغالبة ، كأنك لا تحس بالفرق بين زمان خِضْب الأرض وجَدِّها ؛ وكما أن للأرض خِضْباً وجَدّاً ؛ كذلك للأحوال والأديان وللدُّول صلاحٌ وفساد ، وإقبالٌ وإدبار ، وزيادةٌ ونقصان ؛ ولو كان ما خِلْتَهُ لازماً ، لكننا لا نَتَمَتَّى مَلِكاً عادلاً ، ولا سائساً فاضلاً ، ولا ناظراً ناظماً ، ولا مدبِّراً عالماً ؛ وكان هذا لا يُعرَف ولا يُعْهَد ، ويكون في عُرْضِ المُحال كَوْنُهُ ووِجْدَانُهُ ؛ وليس الأمر هكذا فقد عَهِدْنَا مِثْلَ أَبِي جَعْفَرٍ بِسُجِسْتان ، وكان والله بَصيراً خبيراً ، عالماً حكماً ، يَقِظاً حَذِراً ، يَخْلُقُ وَيُفْرِى ، وَيَرِيشُ وَيُبْرِى ، وَيَكْسُو وَيُعْرِى ، وَيُنَرِضُ وَيُبْرِى ، وهكذا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْأَمْسِ مَلِكِ الْعِراقِ فِي حَزَامَتِهِ وَصَرَامَتِهِ وَقِيَامِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، بِنَظَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ ؛ وكذلك قد عَهِدَ النَّاسُ قَبْلَنَا مِثْلَ هَذَا ، فَلِمَ يَقَعُ التَّعَجُّبُ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ مَدَارُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

وقال ديوجانس لصاحب له : أَطْلُبُ فِي حَيَاتِكَ هَذِهِ الْعِلْمَ وَالْمَالَ تَعْلِكَ بِهِمَا

(١) طريا : يريد غضباً تامراً .

الناس ، لأنك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفصلك ، والعامة تعظمك لمالك^(١) .

وقال أفلاطون : إن الله تعالى بقدر ما يُعطى من الحكمة يمنع الرزق ؛ قال أبو سليمان : لأن العلم والمال كضرتين قلما يجتمعان ويصطلحان ، ولأن حظ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسبعية ، وحظه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة ، وهذان الحظان كالمتعاندين والضدين . قال : فيجب على الحصيف والمميز أن يعلم بأن العالم أشرف في سنخه وعنصره ، وأوله وآخره ، وسفره وحضره ، وشهادته [ومغيبه^(٢)] من ذى المال ؛ فإذا وهب له العلم فلا تأس على [المال الذى يُجزئ منه اليسير ، ولا يُلهب نفسه على] فوته خسارة وأسفاً ؛ فالعلم مُدبرٌ ، والمال مُدبرٌ ؛ والعلم نفسى ، والمال جسدى ، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال ، وآفات صاحب المال كثيرة وسريعة ، لأنك لا ترى عالماً سرق علمه وترك فقيراً منه ؛ وقد رأيت جماعة سُرقت أموالهم ونُهبت وأخذت ، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم ؛ والعلم يزكو على الإفاق ، ويصحب صاحبه على الإنلاق ؛ ويهْدِي إلى القناعة ، ويُسبِلُ السَّترَ على الفاقة ؛ وما هكذا المال .

(١) عبارة « ب » فالخاصة تعظمك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين .

الليلة الثامنة عشرة^(١)

وقال مرة : تعالَ حَتَّى نَجْعَلَ لَيْلَتَنَا هذه مُجُونِيَّة ، ونأخذَ من الهَزْلِ بنصيب
 وافر ، فَإِنَّ الْجِدَّ قد كَدَّنَا ، ونالَ مِن قُوَانَا ، وملَأْنَا قَبْضًا وَكَرْبًا ، هَاتِ مَاعِثَدَكَ ،
 قلتُ : قالَ حَسَنُونَ المَجْنُونُ بالكوفةَ يوماً — وقد اجتمعَ إليه المُجَانُ يَصِفُ كُلُّ
 واحدٍ منهم لَذَاتِ الدُّنْيَا — فقال : أَمَّا أَنَا فَأَصِفُ مَا جَرَّ بَثُّهُ ؛ فقالوا : هَاتِ ؛ فقال
 الأَمْنُ والعَافِيَةُ ، وَصَفْعُ الصُّلْعِ الزُّرْقُ ، وَحَلَكُ الجَرَبِ ، وَأَكْلُ الرُّثْمَانِ فِي الصَّيْفِ
 وَالطَّلَاءِ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ ، وَإِتْيَانُ النِّسَاءِ الرُّغْنِ وَالصَّبِيَانِ الرُّعْرُ^(٢) ، وَالشُّو
 بِلا سَراويلَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ لَا تَحْتَشِمُهُ ، والعَرُوبَةُ عَلَى الثَّقِيلِ ، وَقَلَّةُ خِلَافِ
 مِنْ تَحْبُهُ [وَالْتَمَرُسُ]^(٣) بِالْحَقَقِ وَمُواخَاةُ ذَوِي الْوَفَاءِ ، وَتَرْكُ مَعَاشِرَةِ السَّفَلَةِ
 وقال الشاعر :

أَصْبَحْتُ مِنْ سُقْلِ الْأَنَامِ إِذِ بَعْتُ عِرْضِي بِالطَّعَامِ
 أَصْبَحْتُ صَفْعَانًا^(٤) لَتِي مَ النَّفْسِ مِنْ قَوْمٍ لَثَامِ
 فِي أَسْتِ أُمَّ رَبَّاتِ الْخِيَامِ مِ وَمَنْ يَحْنُ إِلَى الْخِيَامِ

(١) هذا المدح حسبما هو وارد في (١) وقد سبق لنا استظهار غير ذلك في الحاشية رقم
 من صفحة ٢٧ فانظرها . ويلاحظ أن المؤلف قد أتى في هذه الليلة ببعض من المحجون السا
 والنوادر المبتذلة ، ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحدفنا أكثرها واكتفينا بما لط
 ورق ولم ينب عنه الذوق . على أن المؤلف قد اعتذر عن ذلك في آخر الليلة من ٦٠ مئة
 إلى أقوال بعض الصحابة

(٢) الزعر : جمع أزمه ، وهو الذي لا شعر له .

(٣) في الأصل « والتمرى » ؛ وهو تحريف إذ لا يناسب معناه سياق ما يأتي به
 والتمرس بالحقن الاحتكاك بهم لاظهار ما عديم من الحفاقة تفكها بهم .

(٤) صفعانا ، أى يصفع من الناس لذاته وخسته .

نفسى تحنّ إلى الهلا م^(١) الموتُ من دون الهلامِ
 مِن لَحْمٍ جَذِي رَاضِعٍ رَخَصِ^(٢) المفاصلِ والعظامِ
 هَذَا لِأَوْلَادِ الْخَطَا يَا وَالتَّبَغَايَا وَالْحَرَامِ
 حَيُّ الْقُدُورِ الرَّاسِيَا تِ وَإِنْ صَيَّمْنَ عَنِ الْكَلَامِ
 وَقِصَاعَهُنَّ^(٣) إِذَا أَتَيْ تَنَكَّ طَافَاتٍ بِالسَّلَامِ
 لَهْفِي عَلَى سِكِّبَاجَةٍ^(٤) تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ السَّقَامِ
 يَا عَاذِلِي أَسْرَفْتِ فِي عَذَلِ الْخَلِيعِ الْمُسْتَهَامِ
 رَجُلٌ يَبْغُضُ إِذَا نَصَحَ تَ لَهُ عَلَى فَأْسِ اللَّجَامِ^(٥)
 دَعِ عَذْلَ مَنْ يَبْغُضِي الْعَذُو لَ وَلَا يُصَيِّخُ إِلَى الْعَلَامِ
 خَلَعَ الْعِذَارَ وَرَاحَ فِي ثُوبِ الْمَعَاصِي وَالْأَثَامِ
 شَيْخٌ يُصَلِّي قَاعِدًا وَيَنِيكَ عَشْرًا مِنْ قِيَامِ
 وَتَعَاْفُ نَيْكَ الْغَانِيَا تِ وَيَشْتَهِي نَيْكَ الْغَلَامِ
 وَتَرَاهُ يُرْعَدُ حِينَ يُذَكِّرُ عَنْدهُ شَهْرُ الصَّيَامِ
 خَوْفًا مِنَ الشَّهْرِ الْمَعْدِّ كَرُّ عَنْدهُ شَهْرُ الصَّيَامِ
 سَلِسُ الْقِيَادِ إِلَى التَّصَا بِي وَالْمَلَاهِي وَالْحَرَامِ
 مِنَ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ بَعْدَ مَوْتِي وَالنَّدَامِ
 مِنَ السَّمَّاحِ وَلِلرَّمَّا حِ لَدَى الْهَزَاهِزِ وَالْحُسَامِ

(١) الهلام : مرق السكباچ يبرد ويصتنى من الدهن .

(٢) رخص المفاصل : لينها .

(٣) جعل ما فى القصاع من التريد واللحم كأنه تحية وتسليم على من تقبل عليه .

(٤) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والحل ؛ وهو فارسي معرب .

(٥) فأس اللجام : الحديدة القائمة فى حنك الدابة .

مَنْ لِلَّوِاطِ وَلِلْحُلَا قِ^(١) وَلِلْمُلِمَّاتِ الْعِظَامِ
 كان محمد بن الحسن الجرجاني متقرا في كلامه ، فدخل الحمام يوماً ،
 فقال للقيم : أين الجليدة التي تسليخ بها الصويطة^(٢) من الإخقيق ؟ قال : مصفع
 القيم قفاه بجلدة النّورة وخرج هارباً ، فلما خرج من الحمام وجّه إلى صاحب
 الشرطة ، فأخذ القيم وحبسه ، فلما كان عشاء ذلك اليوم كتب إليه القيم
 رُقعة يقول فيها : قد أبرمّني المحبوسون بالمسئلة عن السبب الذي حبستُ له ،
 فأما خلّيتني وإما عرفتهم . فوجه من أطلقه ، وأصل الخبر بالفتح ، محدث
 المتوكل ، فقال : ينبغي أن يُغنى هذا القيم عن الخدمة في الحمام . وأمر له
 بمائتي دينار .

قال^(٣) : وكان بالبصرة محدثٌ يجمع ويَعشَق بعض المهابلة ، فلم يزل الحنثُ به
 حتى أوقعه ، قال : فلقيته من غدٍ فقلت له : كيف [كانت وقعة الجفرة^(٥)] عندكم
 البارحة ؟ فقال : لمّا تداّت [الأشخاص ، ورقّ الكلام ، والتفت الساق بالساق ،

(١) الحلاق : قله شيع الأثان والمرأة من إنيانها .
 (٢) الصويطة : الحماة في أصل الحوس . والإخقيق : الشق في الأرض . فلعله أراد الحليدة
 التي يزال بها الوسج من الحسد (محاراً) . وفي كلتا السحتين « الطوطة من الإخقيق » ؛ وهو
 تصحيف ؛ إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ فلعّل الصواب ما أثبتنا .

(٣) يلاحظ أنه قد سقط من الناصح اسم القاتل هنا إذ لم يسبق له ذكر .

(٤) أي يجمع بين المتعاشقين .

(٥) الجفرة : موضع بالبصرة كانت به وقعة سنة سبعين بين عبد الملك بن مروان ومصعب
 ابن الزبير ، وكان على جيش عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخليفة مصعب بن
 الربيع على البصرة عبد الله بن عبيد الله بن معمر التميمي ، ودامت هذه الوقعة أربعين يوماً ،
 وكان النصر فيها لأهل البصرة . وفي كلتا السحتين « الحفرانة » ؛ وهو تحريف . وفي الكلام
 تورية كما لا يخفى .

وَلَطَّخَ بَاطِنُهَا بِالْبُزَاقِ ، وَفَرَعَ الْبَيْضُ^(١) بِالذُّكُورِ ، وَجَعَلَتِ الرَّمَاحُ تَمُورَ^(٢) ؛
صَبَرَ الْكَرِيمُ فَلَمْ يَجْزَعْ ، وَسَلَّمْ طَائِعًا فَلَمْ يُخْدَعْ ؛ ثُمَّ انصَرَفَ الْقَوْمُ عَلَى سِلْمٍ ، بِأَفْضَلِ
غُنْمٍ ؛ وَشَفِيتِ الصُّدُورُ ، وَسَكَتَتْ حَرَارَةُ النُّفُوسِ ، وَمَاتَ كُلُّ وَجَدٍ ، وَأُصِيبَ
مَقْتُلُ كُلِّ هَاجِرٍ ، وَأَتَصَلَ الْحَبَلُ ، وَانْعَقَدَ الْوَصْلُ . قَالَ : فَلَوْ كَانَ أَعَدَّ هَذَا
الْكَلَامَ لِمَسْئَلَتِي قَبْلَ ذَلِكَ بَدَهْرٍ لَكَانَ قَدْ أَجَادَ .

وقال أبو فرعون الشاشي :

أَنَا أَبُو فِرْعَوْنَ فَأُغْرِفُ كُنِّيَتِي حَلَّ أَبُو عَمْرَةَ وَسَطَ حُجْرَتِي
وَحَلَّ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ بُرْمَتِي أَغْشَبَ تَنْوِيرِي وَقَلَّتْ حِنْطَتِي
وَحَالَفَ الْقَمْلُ زَمَانًا لِحَيَّتِي وَضَعَفَتْ مِنْ الْهَزَالِ ضَرْطَتِي
وَصَارَ نُبَّانِي^(٣) كَغَافٍ خُصِيَّتِي أَيْرُ حِمَارٍ فِي حِرٍّ أَمْ عِيشَتِي

[أَبُو عَمْرَةَ : صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمُخْتَارِ بْنِ عُبَيْدٍ ، كَانَ لَا يَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا
اجْتَنَحَهُمْ ، وَصَارَ مِثْلًا لِكُلِّ شُؤْمٍ وَشَرٍّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنَّ أَبَا عَمْرَةَ أَسْمُ
الْجُوعِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ] .

وَأُنْشَدَ بِشَرِّ بْنِ هَارُونَ فِي أَبِي طَاهِرٍ :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَأَتَ حُرٍّ مِنَ الْأَحْزَارِ مَنَزُوعُ الْقِلَادَةِ

(١) يشير إلى قول مهمل بن ربيعة :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع مالد كور

يريد الشاعر بالدُّكُورِ : السيوف ، وبالبيض : التي تلبس على الرأس في الحرب . وفي الكلام هنا
ورية لا تخفى على ذي فهم .

(٢) تمور ، أي تضطرب .

(٣) النِّبَّانُ : سراويل صغير يستر العورة المعلقة . وكغاف الشيء : مثله . يقول :

ن سراويله بمقدار خصيتيه ، يشير إلى فقره وقلة مقدرته على توسيع سراويله .

سَأَلْتُكَ بِالْإِلَهِ لِتُخَيِّرَنِي أَجْهَلَكَ مُسْتَفَادٌ أَمْ وَلَادَةٌ ؟
 فَإِنْ يَكُ فَيْكَ مَوْلُودًا فَعُذْرٌ وَإِنْ يَكُ حَادِثًا لَكَ بِأُسْتِفَادَةٍ
 فَوَاعِجِبًا يَزِيدُ النَّاسُ فَضْلًا وَأَنْتَ تَزِيدُ نَقْصًا بِالزِّيَادَةِ !
 حَكَى الشُّوَلِيُّ : حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ : كَانَ مَعَنَا مَخْنَثٌ يَلْقَبُ
 مِشْمِشَةً — وَكَانَ أُمِّيًّا — فَكَتَبَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ كِتَابًا ، فَقَالَ
 الْمَخْنَثُ : اُكْتُبْ إِلَيْهِ : مِشْمِشَةُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ؛ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ — وَمَا
 كَانَ فَعَلٌ — فَقَالَ : أَرِنِي ؛ فَقَالَ : هَذَا أَسْمُكَ ؛ فَقَالَ : هِيَاتِ ، اسْمِي فِي
 الْكِتَابِ شِبْهُ دَاخِلِ الْأُذُنِ ، فَعَجِبْنَا مِنْ جَوْدَةِ تَشْبِيهِهِ .

قَالَ نَضْلَةُ : مَرَرْتُ بِكُنَّاسَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْبَيْرِ وَالْآخَرُ عَلَى رَأْسِ الْبَيْرِ ، وَإِذَا
 ضَجَّةٌ ، فَقَالَ الَّذِي فِي الْبَيْرِ : مَا الْخَبْرُ ؟ فَقَالَ : قُبِضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ؟ فَقَالَ :
 مَنْ أَقْعَدُوا بَدْلَهُ ؟ قَالَ : ابْنُ الْقُرَاتِ ؛ قَالَ : مَا تَلَهُمُ اللَّهُ ، أَحْذُوا الْمُضْحَفَ وَوَضَعُوا
 بَدْلَهُ الطَّنْبُورَ .

[كَتَبَ أَبُو الْعِيْنَاءِ إِلَى ابْنِ مَكْرَمٍ : قَدْ أَصَبْتُ لَكَ غَلَامًا مِنْ بَنِي نَاعِظٍ ،
 ثُمَّ مِنْ بَنِي نَاشِرَةٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي نَهْدٍ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَتُنْتِنَا بِمَا تَعْدُوا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ .

وَقَدِمَ رَجُلٌ مَعَ أُمْرَأَةٍ إِلَى الْقَاضِي وَمَعَهَا طِفْلٌ ، فَقَالَتْ : هَذَا أَبْنَةُ ، فَقَالَ
 الرَّجُلُ : أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِيَّ مَا أَعْرِفُهُ ؛ فَقَالَ الْقَاضِي : اِتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ، فَهَذَا وَأُمُّهُ عَلَى مِرَاشِكَ ؛
 قَالَ الرَّجُلُ : مَا تَنَايَكُنَا إِلَّا فِي الْأَسْتِ ، فَمِنْ أَيْنَ لِي وَلَدٌ ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :

أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِي ؛ قُلْ لَهُ : مَا رَأَيْتَ ؟ يُعَرِّفُهُ ^(١) ؛ فَكَفَّ الرَّجُلُ ، وَأَخَذَ بِيَدِ وَلِيِّهِ وَانصَرَفَ ^(٢) .

قَالَ : وَسَمِعْتُ آخَرَ يَقُولُ لِشَاطِرٍ ^(٣) : أُسْكُتُ ، فَإِنَّ نَهْرًا جَرَى فِيهِ الْمَاءُ لَا يَدَّ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الْمَاءُ [تَكُونُ] قَدْ مَاتَتْ صَفَادِعُهُ .

وَمِنْ كَلَامِ الشُّطَّارِ : أَنَا الْبَغْلُ الْحَرُونُ ، وَالْجَمَلُ الْهَامِجُ ، أَنَا الْقَيْلُ الْمُفْتَلِمُ لَوْ كَلَّنِي عِدْوِي لَعَقَدْتُ شَعْرَ أَنْفِي إِلَى شَعْرِ أَسْتِهِ حَتَّى يَشُمَّ فُسَاءَهُ ، كَأَنَّهُ الْقُنْفُذَةُ .
وَقَالَ بَعْضُ الْقُصَّاصِ : فِي النَّبِيذِ شَيْءٌ مِنَ الْجَنَّةِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) وَالنَّبِيذُ يُذْهِبُ الْحَزْنَ .

قَالَ ^(٤) وَسَمِعْتُ مَا جَنَّةٌ تَقُولُ : ضُرَّ وَسُرَّ ، وَقُدَّ وَارْقُدَّ ، وَاطَّرَحَ وَاقْتَرَحَ .
قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ : دَعَا مَرْءَةً قَوْمًا وَأَمَرَ جَارِيَتَهُ أَنْ تَبْخُرَهُمْ ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي تَوْبٍ بَعْضُهُمْ فَوَجَدَتْ أَيْرَاهُ قَائِمًا ، فَجَعَلَتْ تَمْرُسُهُ وَتَلْعَبُ بِهِ وَأُطَالَتْ ؛ فَقَالَ مَوْلَاهَا : أَيُّ شَيْءٍ آخَرُ هَذَا الْعُودُ ؟ أَمَا أُحْتَرَقُ ؟ قَالَتْ : يَا مَوْلَايَ ، هُوَ عُقْدَةٌ .

قَالَ مَزِيدٌ : كَانَ الرَّجُلُ فِيهَا مَضَى إِذَا عَشِيقَ الْجَارِيَةِ رَاسَلَهَا سَنَةً ، ثُمَّ رَضِيَ أَنْ يَمُضِيَ الْعِلَاقَ الَّذِي تَمُضُّهُ ، ثُمَّ إِذَا تَلَاقِيَا تَحَدَّثَا وَتَنَاشَدَا الْأَشْعَارَ ، فَصَارَ الرَّجُلُ الْيَوْمَ إِذَا عَشِيقَ الْجَارِيَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ رِجْلَهَا كَأَنَّهُ أَشْهَدَ عَلَى نِكَاحِهَا أَبَا هُرَيْرَةَ .

(١) يعرفه ، أى يعرف ما رأى ، أى يذكر العلامات التى رآها فى هذا الموضع .
(٢) يلاحظ أن آخر هذه القصة وكثيراً من ألفاظها مطبوس الحروف فى نسخة (ب) ؛ وهى التى وردت فيها وحدها ، فلتراجع فى هامش ورقة ٢١٠ من هذه النسخة .
(٣) الشاطر ، هو من أعيا أهله خبثاً .
(٤) يلاحظ أنه لم يذكر هنا اسم القاتل ؛ فلعلة سقط من الناسخ إذ لم يبين

قال ابن سيرين : كانوا يَعشَقون من غير ريبة ، فكان لا يُسْتَنَكِرُ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَجِيءَ فَيَحْدِثَ أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَذْهَبَ . قال هشام : ولكنهم لا يَرْضَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالْمَوَاقِعَةِ .

قال الأصمعيّ : قلتُ لأعرابيّ : هل تعرفون العشقَ بالبادية ؟ قال : نعم ، أَيْكونُ أَحَدٌ لا يَعْرِفُهُ . قلتُ : فما هو عندهم ؟ قال : الْقُبْلَةُ وَالضَّمَّةُ وَالشَّمَّةُ ، قلتُ : ليس هو هكذا عندنا . قال : وكيف هو ؟ قلتُ : أن يتفخّذَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَيُبَاضِعَهَا . فقال : قد خَرَجَ إِلَى طَلَبِ الْوَلَدِ .

قال بِشْرُ بْنُ هَارُونَ :

إِنْ أَبَا مُوسَى لَهُ لِحْيَةٌ تَدْخُلُ فِي الْجُحْرِ بِلَا إِذْنٍ
وَصُورَةٌ فِي الْعَيْنِ مِثْلُ الْقَدَى وَنَعْمَةٌ كَالْوَقْرِ فِي الْأُذُنِ
كَمْ صَفَعَةٍ صَاحَتْ إِلَى صَافِعٍ بِالنَّعْلِ مِنْ أَخْذَعِهِ : خُذْنِي
وقال لنا أبو يوسف : قال جعظة : حضرتُ مجلساً فيه جماعةٌ من وُجُوهِ الْكِتَابِ ، وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ مُحْسِنَةٌ حَاضِرَةُ النَّادِرَةِ ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُهُمْ : بِحَيَاتِي عَلَيْكَ غَنَى لِي :

لَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي وَأَمْضِ عَنِّي مُصَاحِبًا بِسَلَامٍ
فَقَالَتْ : أَهْكَذَا كَانَ أَبُوكَ يَغْنِيكَ ؟ فَأَخْجَلَتْهُ .

اشْتَرَى مَدِينِيٌّ رُطْبًا ، فَأَخْرَجَ صَاحِبُ الرُّطْبِ كَيْلَجَةً صَغِيرَةً لِيَكِيلَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَدِينِيُّ : وَاللَّهِ لَوْ كَلَّتْ بِهَا حَسَنَاتِي مَا قَبِلْتُهَا .

سَأَلَ أَبُو عُمَارَةَ قَاضِي الْكُوفَةِ : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلُ ؟ قَالَ : مَا فِيهِمْ بَعْدَ الْكَبِيرِ أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

اجتمع جماعة عند جامع الصيّد ناني ، فقال أحدهم : ليس للمخمور أنفع من سلّحه ، فقال جامع : أخذتها والله من فمي .

قال رجل لرؤية : أتهمزُ الخُرأ ؟ قال : يا صبيّك يا ابن الحبيثة .

وقفَ أعْرابيٌّ على قوم يسألهم ، فقال لأحدهم : ما أسمك ؟ قال : مانع ؛

وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : مُحْرَز ؛ وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : حافظ ؛

قال : قبّحكم الله ، ما أظن الأفعال إلا من أسمائكم .

[من كلام العامة : « منارة الإسكندرية عندك خشخاشة فارغة » (١)]

قال جَحْظَة : قرأتُ على فصٍّ ماجنةٍ : ليلة عُرْسي ؛ ثقبوا بالأيثرِ كُسي .

وعلى فصٍّ ماجنةٍ أخرى ؛ السَّحْقُ أخفى والنَّيْكَ أشفى .

وقال جُحّا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرتُ إن رأيتُك أن آخذَ منك

ألفَ درهم . فقال : رأيتُ أصحاب النذور يُعطون لا يأخذون ، وأمرَ له بها (٢) .

قال السّريّ : رأيتُ المُخَنَّثَ الذي يعرف بالغريب (٣) ، وإنساناً من العامة قد

آذاه وطال ذلك ، فالتفت إليه وقال له : يا مشقوق ؛ نعلُك زائفة ، وقيصُك مقرُون

الحاجبين ، وإزارُك صَدَفٌ أزرق ، وأنت تتلاهي بأولاد الملوك والأمراء . قال

السّريّ : فحجل العائمي ومَرَّ ، فقلت له : فسّرْ لي هذا الغريب . فقال : إمضِ

إلى نعلب . فقلت : ليس هذا من عمله ؛ فسّرْهُ لي . قال : النعل الزائفة (٤) [التي

(١) موضع هذه القط في «ب» كلام مطموس لم نستطع قراءته . فليراجع في هامش

ورقة ٢١١ من النسخة المذكورة .

(٢) في «ب» بألف درهم .

(٣) بالغريب ، أي بالغريب من الألفاظ . هذا ما يظهر لنا من سياق القصة ، أو لعله لقبه .

(٤) لعل ذلك مأخوذ من زافت الحمامة تزوف إذا سحبت ذنبها على الأرض ونشرت

جناحيها . والذي في كلتا النسختين : العِل الرافه ؛ ولم نجد له معنى فيما راجعناه من الكتب ؛ فقلل الصواب ما أثبتنا .

تَجْرُفُ التَّرَابَ جَرَفًا ، والقَمِيصُ المَقْرُونُ ، هو الخَلَقَ [الذي في كَتِفَيْهِ رَقْعَتَانِ أَجْوَدُ مِنْهُ ، فهُمَا تُفْصِحَانِ بَيَانًا ، وَالْإِزَارُ صَدْفٌ أَزْرَقُ ، أَيْ مَحْرَقٌ مُفْتَتٌ . فَقُلْتُ : فَقَوْلُكَ : يَامَشْقُوقُ ؟ قَالَ : قَطِيعُ الظَّهْرِ .

قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : أَيْبُوزُ أَنْ يَصِلَ فِي الْبَيْعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُخْرَأَ فِيهَا . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الْقُبْلَةُ رَسُولُ الْجَمَاعِ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِلجَمَّازِ : كَيْفَ مَائِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، نَعْنِي الْبَرْمَكِيَّ . قَالَ : شَبْرٌ فِي شَبْرٍ ؛ وَصَحَفَتْهُ مِنْ فِشْرِ الْحَشْخَاشِ ، وَبَيْنَ الرَّغِيفِ وَالرَّغِيفِ مَضْرِبُ كُرَّةٍ ؛ وَبَيْنَ اللَّوْنِ وَاللَّوْنِ فِتْرَةٌ نَبِيٌّ . قَالَ : فَمَنْ يَحْضُرُهَا ؟ قَالَ : الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؛ فَضَحِكَ وَقَالَ : لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ .

قَالَ نَضْلَةُ : دَخَلْتُ سَاقِيَةً فِي الْكَرَّخِ فَتَوَضَّأْتُ ؛ فَلَمَّا حَرَجْتُ تَعَلَّقَ السَّقَاءُ بِي وَقَالَ : هَاتِ قِطْعَةً ؛ فَضَرَطْتُ ضَرْطَةً وَقُلْتُ : خَلِّ الْآنَ سَبِيلِي فَقَدْ نَقَصْتُ وَضُوءِي ؛ فَضَحِكَ وَخَلَّانِي .

وَعَدَ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهِ بَغْلًا ؛ فَطَالَ مَطْلُهُ ، فَأَخَذَ قَارُورَةً وَبَالَ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى الطَّبِيبِ وَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَاءِ ، هَلْ يُهْدَى إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي بَغْلًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْخَلَّالِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْيَعْقُوبِيِّ يَقُولُ : رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْمَرْبَدِ خَالِدًا الْكَاتِبَ وَهُوَ يَنَادِي : يَا مَعْشَرَ الظُّرَفَاءِ ، وَالْمُتَخَلِّقِينَ بِالْوَفَاءِ ؛ أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ ، وَالنَّادِرِ الْغَرِيبِ ، أَنْ شِغْرِي يُزْنِي بِهِ وَيُلَاطُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَنَا أَطْلُبُ دَرَاهِمًا فَلَا أُعْطَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وسمعتُ المالحِجَ المعروفَ بالغُرَابِ يقولُ : ويلَكَ أَيْشٌ في ذا ؟ لا تَحْتَطِطِ الحِنْطَةُ
بالشَّعِيرِ ، أو يُصْنَعُ الباذِئُجَانُ قرْعاً ، أو يتحوَّلُ الفُجْلُ إلى الباقِلَاءِ ، ويصيرُ
الحرْنوبُ إلى الأرَنْدَجِ ^(١) .

وسمعتُ دَجَاجَةَ الحَنْثِ يقولُ لآخرَ : إنما أنتَ بيتٌ بلا باب ، وقدمٌ بلا ساق ،
وأُغْمَى بلا عصا ، ونارٌ بلا حَطَبٍ ، ونهرٌ بلا مَعْبَرٍ ، وحائطٌ بلا سَقْفٍ .

وشتمَ آخرَ فقال : يارَأْسَ الأَفْعَى ، وياعَصَا المُكَارِي ، ويابُرُئْسَ الجائِلِيْقِ ^(٢) ،
يا كَوْدَنَ ^(٣) القَصَّارِ ، يا بَيْرَمَ ^(٤) النَجَّارِ : يا ناقوسَ النصارَى ؛ يا ذرورَ العَيْنِ ،
يا تَخْتَ ^(٥) الثيابِ ، يا طغْنَ الرُّمَحِ في الثَّرَسِ ؛ يا مفرقةَ القُدُورِ ، ومِكنَسَةَ
الدُّورِ ؛ لا تُبَالِي أينَ وُضِعْتَ ؟ ولا أَىَّ جُحْرٍ دَخَلْتَ ؟ ولا في أَىَّ خانٍ نَزَلْتَ ،
ولا في أَىَّ حَمَامٍ عَمِلْتَ ؛ إن لم تكنِ في الكُوَّةِ مِتْرَساً فَتَحِ اللُّصُوصُ البابَ ؛
يا رَحَى على رَحَى ؛ ووِعاءَ في وِعاءَ ، وِغِطاءَ على غِطاءَ ، وداءَ بلا دواءَ ؛ وعمى
على عمى ؛ وياجْهَدَ البلاءَ ؛ وياسْطَحّاً بلا ميزابٍ ، وياعوداً بلا مِضْرَابٍ ، ويافماً
بلا نابٍ ، وياسِكِّيناً بلا بِصَابٍ ، ويارَعْداً بلا سَحَابٍ ، وياكُوَّةً بلا بابٍ ؛
ويا قِيصاً بلا مِثْزَرَ ، وياجسِراً بلا نَهْرٍ ، وياقُرّاً على قُرٍّ ؛ وياشطّاً الصِّرَاةَ ^(٦)

(١) هذه الكلمة مهملة الحروف من القط في الأصل ؛ وقد أثبتناها على هذا الوجه لاتفاق
الحنوب والأرندج في اللون . والأرندج : الجلد الأسود ؛ وهو معرَّب .

(٢) الجائليق : من رؤساء النصارى ، معروف .

(٣) الكودن : البغل .

(٤) بيرم النجار : عتله .

(٥) تحت الثياب : ما نعان فيه .

(٦) الصرابة : نهر بالعراق .

ويا قَصْرًا بلا مِسْنَاهُ^(١) ويا وَرَقَ الكَمَاهِ^(٢) ، يا مَطْبَخًا^(٣) بلا أَفْوَاهِ^(٤) ؛ يا ذَنْبَ
الفار ، يا قِدْرًا بلا أَبْزَارٍ ، يا رَأْسَ الطُّومَارِ ، يا رَسُولًا بلا أَخْبَارٍ ؛ يا خَيْطَ
البَوَارِي^(٥) ، يا رَحَى في صَحَارِي ، يا طَاقَاتٍ بلا سَوَارِي .

دخل أبو نواس على عِنَانٍ جاريةٍ الناطِئِيَّ فقال لها :

لو رَأَى في البَيْتِ جُحْرًا لَنَزَا حَتَّى يَمْسُوتَا^(٦)
أو رَأَى في البَيْتِ ثَقْبًا لَتَحَوَّلَ^(٧) عَنْكَبُوتَا

فأجابته :

زَوَّجُوا هَذَا بِأَلْفٍ وَأُظِنُّ الْأَلْفَ قُوْتَا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ ، وَلَا يَأْتِي وَتُوْتِي

فقال — أدام الله دَوْلَتَهُ ، وَبَسَطَ لَدَيْهِ رِيعَمَتَهُ — قَدَّمَ هَذَا الْقَنَّ عَلَى غَيْرِهِ ،
وما ظَنَنْتُ أَنْ هَذَا يَطْرُدُ في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، وَرِيعَا عَيْبَ هَذَا النَّعْطُ كُلَّ الْعَيْبِ ،
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ، لِأَنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَى بَشَرٍ . وقد بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ
فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْخَوْضِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفَقْهِ وَالْمَسَائِلِ : ائْتَمَّصُوا ، وَمَا أَرَاهُ
أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا لَتَعْدِيلِ النَّفْسِ لثَلَاثَ يَلْحَقَهَا كَلَالُ الْحَدِّ ، وَلِتَقْنَنَسَ نَشَاطًا فِي
الْمُسْتَأْنَفِ ، وَلِتُسْتَعِدَّ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا فَتَسْمَعَ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) المساة : المراقبة ، من الساء بالمد ، وهو العلو والرفعة .

(٢) الكماه مخففة : الكمأة بالهمز .

(٣) في الأصل . « مصرحا » ؛ وهو تحريف .

(٤) الأفواه : التوابع .

(٥) البواري بتشديد الياء : صرف من الحصر تعمل من البردى معروفة بمصر إلى اليوم .

(٦) في كتاب أخبار أبي نواس لابن مطور : اجتمع أبو نواس مع عِنَانٍ فأقبل عليها وقال :

لو رَأَى في السقف سدعا لَنَزَا حَتَّى يَمْسُوتَا

(٧) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل . ولا يخفى أَنَّ تَسْكِينَ الْفِعْلِ لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ .

الليلة التاسعة عشرة

وَرَسَمَ بِمَجْمَعِ كَلِمَاتِ بَوَارِعِ ، قِصَارِ جَوَامِعِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ كُنْتُ
أَسْمَعُهَا مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَفِيهَا قَرَعٌ
لِلْحَسَنِ ، وَتَنْبِيهٌُ لِلْعَقْلِ ، وَإِمْتِنَاعٌ لِلرُّوحِ ، وَمَعُونَةٌ عَلَى اسْتِفَادَةِ الْيَقَظَةِ ، وَانْتِفَاعٌ
فِي الْمَقَامَاتِ الْخِطْلَةِ ، وَتَمَثُّلٌ لِلتَّجَارِبِ الْحَلَمَةِ ؛ وَامْتِنَالٌ لِلْأَحْوَالِ الْمُسْتَأْنَفَةِ .

من ذلك :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ » مِفْتَاحُ الْمَذَاهِبِ . الْبِرُّ يَسْتَعْبِدُ الْحُرَّ . الْقَنَاعَةُ عِزُّ الْمُعْسِرِ .
الْعَدَقَةُ كَنْزُ الْمُوسِرِ . مَا انْقَصَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا بِيَضْعَةٍ مِنْ نَفْسِكَ .
دِرْهَمٌ يَنْفَعُ حَيْرٌ مِنْ دِينَارٍ يَضُرُّ . مَنْ سَرَّهُ الْفَسَادُ ، سَاءَ الْمَعَادُ . الشَّقِيُّ مَنْ
جَمَعَ لَغْوَهُ فَصَنَّ عَلَى نَفْسِهِ بَخَيْرِهِ . زِدْ مِنْ طَوْلِ أَمَلِكَ فِي قِصْرِ عَمَلِكَ . لَا يَغُرُّ نَكَ
صِحَّةُ نَفْسِكَ ، وَسَلَامَةُ أَمْسِكَ ، فَمُدَّةُ الْعُمُرِ قَلِيلَةٌ ، وَصِحَّةُ النَّفْسِ مُسْتَحِيلَةٌ . مَنْ
لَمْ يَتَغَيَّرْ بِالْأَيَّامِ ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْعِلَامِ . مَنْ أَسْتَغْنَى بِاللَّهِ عَنِ النَّاسِ ، أَمِنَ مِنْ
عَوَارِضِ الْإِفْلَاسِ . مَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ ، نَسِيَ الْأَمْنِيَّةَ . الْبَخِيلُ حَارِسُ نِعْمَتِهِ ،
وِخَازِنُ وَرَنَتِهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دُنْيَاهُ ، مَا يُعِينُهُ عَلَى عِمَارَةِ أَخْرَاهُ . مَنْ
أَرْتَدَّى بِالْكَفَافِ ، اكْتَسَى بِالْعَفَافِ . لَا تَخْذَعَنَّكَ الدُّنْيَا بِخَدَائِعِهَا ، وَلَا
تَفْتِنَنَّكَ بَوْدَائِعُهَا . رَبُّ حُجَّةٍ ، تَأْتِي عَلَى مُهْجَةٍ ؛ وَرُبَّ فُرْصَةٍ ، تُؤَدِّي إِلَى
غُصَّةٍ . كَمْ مِنْ دَمٍ ، سَفَكَهُ فَمٌ . كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ ، أَهْلَكَهُ لِسَانٌ . رَبُّ حَرْفٍ ،
أَدَّى إِلَى حَتْفٍ . لَا نَفْرِطْ ، فَتَسْقُطْ . الزَّمِ الصَّمْتَ ، وَأَخْفِ الصَّوْتَ .
مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ، طَابَتْ مَرَاعِيهِ . مَنْ أَعَزَّ فَلَاسُهُ ، أَذَلَّ نَفْسُهُ . مَنْ طَالَ

عُدْوَانُهُ ، زَال سُلْطَانُهُ . مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْيَقَظَةِ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفَظَةِ . مَنْ
 اسْتَهْدَى الْأَعْمَى عَمِيَ عَنِ الْهُدَى . مَنْ اغْتَرَّ بِمِجَالِهِ ، قَصَرَ فِي أَحْتِيَالِهِ .
 زَوَالُ الدُّوَلِ ، بِاصْطِنَاعِ السُّفَلِ . مَنْ تَرَكَ مَا يَعْنِيهِ ، دَفَعَ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ .
 ظَلُمُ الْعُمَالِ ، مِنْ ظُلْمَةِ الْأَعْمَالِ . مَنْ اسْتَشَارَ الْجَاهِلَ ضَلَّ ، وَمَنْ جَهِلَ مَوْضِعَ
 قَدَمِهِ زَلَّ . لَا يَفْرُغَنَّ طُولُ الْقَامَةِ ، مَعَ قِصَرِ الْأُسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ الدَّرَّةَ مَعَ
 صِغَرِهَا ، أَنْفَعَ مِنَ الصَّخْرَةِ عَلَى كِبَرِهَا . تَجَرَّعَ مِنْ عَدُوِّكَ الْغُصَّةَ ، إِنْ لَمْ
 تَنْلَ مِنْهُ الْفُرْصَةَ ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا فَأَتَهَزَّهَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الدَّرَكُ ، أَوْ يَصِيبَكَ
 الْفَلَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دُولٌ تَبْنِيهَا الْأَقْدَارُ ، وَيَهْدِمُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . مَنْ زَرَعَ
 الْإِحْسَانَ ، حَصَدَ الْمَحَنَ . مَنْ بَعْدَ مَطْمَعِهِ ، قَرُبَ مَضْرَعُهُ . الثَّغْلَبُ فِي إِقْبَالِ
 جَدِّهِ ، يَغْلِبُ الْأَسَدَ فِي اسْتِقْبَالِ شَدِّهِ . رُبَّ عَطَبٍ ، تَحْتَ طَلَبٍ . اللِّسَانُ ،
 رِقُّ الْإِنْسَانِ . مِنْ ثَمَرَةِ الْإِحْسَانِ ، كَثْرَةُ الْإِخْوَانِ ، مَنْ سَأَلَ مَا لَا يَحِبُّ ،
 أُجِيبَ بِمَا لَا يَحِبُّ ، وَأُنْشِدْتُ :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَى أَنْ جُودَنَا أَضَرَّ بِنَا وَالْبَاسَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 فَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ عَائِبٍ
 أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ

(٢) قَالَ حَمِيدُ بْنُ الصَّيْمَرِيِّ لِابْنِهِ : اِصْحَبِ السُّلْطَانَ بِشِدَّةِ التَّوَقُّيِّ كَمَا نَصَحَبِ
 السَّمْعَ الضَّارِيَّ وَالْفِيلَ الْمُغْتَلِمَ وَالْأَمْعَى الْقَاتِلَةَ ؛ وَأَصْحَبِ الصَّدِيقَ بِلِينِ الْجَانِبِ
 وَالتَّوَاضُعِ ؛ وَأَصْحَبِ الْعَدُوَّ بِالْإِعْذَارِ إِلَيْهِ وَالْحُجَّةِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ وَأَصْحَبِ الْعَامَّةَ
 بِالْبِرِّ وَالْبِشْرِ وَاللَّطْفِ بِاللِّسَانِ .

وَقَعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ : يَا هَذَا ، لَوْ جَعَلْتَ مَا تَحْمِلُهُ الْقِرَاطِيسُ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَأَحْوَيْتَ جَمَالًا وَحُزْنَ كَمَا لَا .

وَوَقَعَ السَّفَّاحُ مَرَّةً : مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَحَاشَيْتُنَا خَارِجُونَ مِنْهَا ، فَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَزِدَ فِيهَا عَلَى قَدَرِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : عُنْوَانُ الشَّرَفِ ، حُسْنُ الْخَلْفِ .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — : إِنْ لَمْ تَجْفُ ، فَقَلَّمَا تَصْنُقُوا .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : النَّخْلَةُ جِذْعُهَا نَمَاءٌ ^(١) ، وَلَيْفُهَا رِشَاءٌ ، وَكَرْبُهَا ^(٢) صِلَاءٌ ، وَسَعَفُهَا ضِيَاءٌ ^(٣) ، وَحَمْلُهَا غِذَاءٌ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ كَسَّاحًا ^(٤) يَقُولُ لِفُلَانٍ لَهُ : أَلَمْ أَضَعُ إِزَارَكَ ، أَلَمْ أَصْنَعُ عُودَ مِجْرَفَتِكَ ؟ أَلَمْ أَجْعَلْكَ كَسَّاحًا عَلَى حِمَارَيْنِ ؟

وُجِدَ كِتَابٌ بِالْمِينِ فِيهِ : أَنَا فُلَانَةُ بِنْتُ فُلَانِ الثُّبَعِيِّ ، كُنْتُ آكُلُ الْبَقْلَ الرَّطْبَ مِنَ الْهِنْدِ وَأَنَا بِالْمِينِ ، ثُمَّ جُعْنَا حَتَّى اشْتَرَيْنَا مَكْكُوكَ ^(٥) بِرُيٍّ بِمَكْكُوكِ دُرٍّ ، مِنْ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بِمِصْرَ ، فَمِنْ رَأَيْنَا فَلَا يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ — كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ — لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَقَلِبَ يَوْمَ صِفِّينَ : أَأَثَرْتُمْ مُعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : مَا آثَرْنَاهُ ، وَلَكِنَّا آثَرْنَا الْقَسْبَ ^(٦) الْأَصْفَرَ ، وَالْبَرَّ الْأَثْمَرَ ، وَالزَّيْتَ الْأَخْضَرَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «مَاء» ؛ وَالنُّونُ سَاقِطَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) الْكَرْبُ : أَصُولُ السَّعْفِ الْغُلَاطِ الْعِرَاصِ .

(٣) يُرِيدُ أَنْ نَارَ السَّعْفِ يَطْلُو لَهَا وَيَسْطَعُ ، فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلِاسْتِضَاءَةِ دُونَ الْأَصْطِلَاءِ .

(٤) الْكَسَّاحُ : الْكَنْثَاسُ ؛ وَمَنْ يَنْظِفُ الْبُتْرَ وَالتَّهْرَ وَنَحْوَهَا .

(٥) الْمَكْكُوكُ : مِكْيَالٌ بِسَعِ صَاعًا وَنِصْفًا أَوْ نِصْفَ رَطْلٍ إِلَى ثَمَانِ أَوْاقٍ .

(٦) الْقَسْبُ : التَّمْرُ الْيَابِسُ .

ميل للحسن بن عليّ — رضى الله عنه — لَمَّا صالح مُعاوية : ياعارَ المؤمنين .
فقال : العارُ خيرٌ من النارِ .

نظر الحَجَّاجُ يوماً على المائدة إلى رجلٍ وَجأً غُنُقَ رجلٍ آخرَ ، فدعا بهما ،
فقال للواحي : عَلَامَ صَنَعْتَ ؟ فقال : غَصَّ بِعَظْمٍ فَخِفْتُ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فوجأتُ عَنْقَهُ
فألقاه ؛ فسأل الآخرَ فقال : صدق ؛ فدعا بالطَّبَّاحِ فقال له : أَدْعِ العِظَامَ في طعامِكَ
حتى يَغْصَّ بها ؟ فقال : إنَّ الطعامَ كثيرٌ ، وربما وَقَعَ العَظْمُ في المَرَقِ فلا يُزال .
قال : تَصُبُّ المَرَقَ على المَنَاخِلِ . فكان يَفْعَلُ ^(١) .

قال سَلَمَةُ بْنُ المُحَبِّقِ ^(٢) : شَهِدْتُ فَتَحَ الأَبُلَّةَ ، فَوَعِىَ فِي سَهْمِي قِدْرُ نَحَاسٍ ،
فَنَظَرْتُ فَإِذَا هِيَ ذَهَبٌ فِيهَا ثَمَانُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ ، فَكَتَبْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى عُمرَ ،
فَأَجَابَ بَأَن يُحَلِّفَ سَلَمَةَ بِأَنَّهُ أَخَذَهَا يَوْمَ أَخَذَهَا وَهِيَ عِنْدَهُ ، فَإِنْ حَلَفَ سَلَّمْتُ إِلَيْهِ ،
وإِلَّا قُسِمْتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : خَلَفْتُ فُسَلِّمْتُ إِلَيَّْ ، فَأَصُولُ أَمْوَالِنَا الْيَوْمَ مِنْهَا .
قال بعض الحكماء : لَا يَصْبِرُ عَلَى المَرْوَةِ إِلَّا ذُو طَبِيعَةٍ كَرِيمَةٍ .

(٣)

أصابَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَدِينٍ — وَكَانَ رَجُلًا صِدْقٍ بِخِرَاسَانَ — مَالًا عَظِيمًا
فَجَهَّرَ سَبْعِينَ مَمْلُوكًا بِدَوَابِّهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا مَعَهُ

(١) عبارة الأصل : « صبب المرق على المناخل فكان يفعل » . وفيها تحريف ظاهر .
والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « سلمة بن المحقى » . وهو تحريف . والتصويب عن الإصابة والقاموس .
وصبب في القاموس كسر الباء المشددة ، وفي الإصابة نفتحها .

(٣) موضع هذه النقط عبارة لابن السكك مهمة أكثر حروفها من القط . فلم
نستطع تحقيق ألفاظها ، ونحن نثبتها هنا كما وردت في النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة
بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١١٢١٥ ر) في ص ٣٨٧ وصفا : « وقال ابن السكك لو خرج
رجل في طلب السماء إلى الكوفة للده والدارق لعدوسه بقاياها كان خفيها على لإخوانه لمرسه » .

يَوْمَ الرَّحِيل ، فلما أَسْتَوَى بِهِم الطَّرِيقُ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ
يَتَقَرَّبَ بِهِؤَلَاءَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُوا أَنْتُمْ أَحْرَارًا ، وَمَا مَعَكُمْ لَكُمْ .
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : مَنْ قَبْلَ صَلَاتِكَ فَقَدْ بَاعَكَ مُرُوءَتَهُ ، وَأَذَلَّ لَقَدْرِكَ عِزَّهُ .
كَتَبَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ إِلَى الْمَهْدِيِّ :

أَنَا نَادَيْتُ عَفْوَكَ مِنْ قَرِيبٍ كَمَا نَادَيْتُ سُخْطَكَ مِنْ بَعِيدٍ
وَإِنْ عَاقَبْتَنِي فَلَسَوْءٌ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عُقُوبَةً مُسْتَقِيدٍ
وَإِنْ تَصَفَّحْ فَإِحْسَانٌ جَدِيدٌ عَطَفْتَ بِهِ عَلَى شُكْرِ جَدِيدٍ

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ بَحْرٍ : أَوْصِنِي ؛ فَقَالَ : اسْمَعِ وَلَا تَتَكَلَّمْ ، وَأَعْرِفْ
وَلَا تُعَرِّفْ ، وَأَجْلِسْ إِلَى غَيْرِكَ وَلَا تُجْلِسْهُ إِلَيْكَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ أَسِيدٍ ^(١) الْقَاضِي : إِنْ أُمِّي تَرِيدُ أَنْ تَوْصِيَ فَتَحَضَّرْ وَتَكْتُبْ ؛

فَقَالَ : وَهَلْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ ؟

وَدَخَلَ صَاحِبُ الْمَظَالِمِ بِالْبَصْرَةِ عَلَى رَجُلٍ مُبْرَسَمٍ ^(٢) وَعِنْدَهُ طَبِيبٌ يَدَاوِيهِ ،
فَأَقْبَلَ عَلَى الطَّبِيبِ وَأَهْلِ الْمَرِيضِ ، وَقَالَ : لَيْسَ دَوَاءُ الْمُبْرَسَمِ إِلَّا الْمَوْتُ حَتَّى
يَقِلَّ حَرَارَةُ صَدْرِهِ ، ثُمَّ حِينَئِذٍ يَمَاجُ بِالْأَدْوِيَةِ الْبَارِدَةِ حَتَّى يَسْتَبِيلَ .

وَأَجْنَزَ بِهِ بَائِعُ دُرَّاجٍ فَقَالَ : بِكُمْ نَبِيعُ الدَّرَاجَةِ ؟ فَقَالَ : بَدْرُهُمْ ؛ فَقَالَ لَهُ :
أَحْسِنْ . قَالَ : كَذَا بَعْتُ . قَالَ : نَأْخُذُ مِنْكَ اثْنَتَيْنِ بِثَلَاثَةِ . قَالَ : هُمَا لَكَ .
قَالَ : يَا غَلَامُ خُذْ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُسَهِّلُ الْبَيْعَ .

وَدَخَلَ حَجَّاجُ بْنُ هَارُونَ عَلَى نَجَاحِ الْكَاتِبِ ، فَذَهَبَ لِيَقْبَلَ رَأْسَهُ ؛ فَقَالَ

(١) يلاحظ أن هذه الطرفة والست التي بعدها كان ألقى بها جميعا باب المجون السابق .

(٢) مبرسم ، أى به برسام ، وهو علة يهذى فيها .

له : لا تفعل ، فإن رأسي مملوء بالذهن ، فقال : والله لو أن عليه ألفَ رِطَ خَرَاءَ لَقَبَلْتُهُ .

قُدُمَ لَأَبْنُ الْحَسَنَاسِ سَكْبَاجَةً^(١) فقال لصديق له : كلْ فإنها أمُّ القِرَى وعَزَى ابْنُ الْحَسَنَاسِ صديقاً له ماتت أَبْنَتُهُ ، فقال : من أنت ؟ لا تموتَ أَبْنَتُكَ الْبَظْرَاءُ ! قد ماتت عائشةُ بنتُ^(٢) النبيِّ صلى الله عليه وسلم . أخذ يعقوبُ بْنُ اللَّيْثِيِّ في أوَّلِ أمرِهِ رجلاً فأَسْتَظْفَاهُ ، ثم رآه بعدَ زَمَانٍ فقال له : أبا فلان ، كيف أنتَ الساعة ؟ قال له : كما كنتَ أنتَ قديماً . وكيفَ كنتَ أنا ؟ قال : كما أنا الساعة ؛ فأمر له بعشرةِ آلافِ دِرْهَمٍ .

قال أن المبارك : إذا وُضِعَ الطَّعَامُ فَقَدْ أُذِنَ لِلآ كِلِ . (٤)

وقال عمرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رضى الله عنه — إنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْلُحُ لَا تَعْلُحُ بِهَا الْإِبِلُ .

وقال إبراهيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ : نظر رجلٌ من فُرَيْشٍ إلى صاحب له قد نَأَى غَدَاةً مِنْ غَدَوَاتِ الصَّيْفِ طَيِّبَةً النَّسِيمِ ، فَرَكَفَهُ بِرِجْلِهِ وقال : مَا لَكَ عَنِ الدُّنْيَا فِي أَطْيَبِ وَقْتِهَا ، نَمُّ عَنْهَا فِي أَحَبِّ حَالَاتِهَا ، نَمُّ فِي نِصْفِ الْهَارِ لُ عَنْ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ ، وَلَأنَّهَا رَاحَةٌ لَمَّا قَبْلَهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَجِئَامٌ لَمَّا بَعْدَهُ الْعَمَلِ ، نَمَّتْ فِي وَقْتِ الْحَوَائِجِ ، وَتَنَبَّهَتْ فِي وَقْتِ رُجُوعِ النَّاسِ ؛ وَقَدْ جَاءَ : " فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ " .

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والحل .

(٢) يلاحظ أن قوله : « بنت النبي صلى الله عليه وسلم » هو موضع التذكئة بح

القائما ، غفلته .

وقال إبراهيم بن السُّنْدِي أَيْقَظَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَوْلَادَهَا صِغَارًا قَبْلَ الْفَجْرِ
فِي غَدَوَاتِ الرَّبِيعِ وَقَالَتْ : تَنَسَّمُوا هَذِهِ الْأَزْوَاحَ ، وَأَسْتَنْشِقُوا هَذَا النَّسِيمَ ،
وَتَهَنَّمُوا هَذَا النَّعِيمَ ، فَإِنَّهُ يَشُدُّ مِنْ مُنْتِكِمِكُمْ .

وَيُقَالُ فِي الْوَصْفِ : كَأَنَّهُ مِخْرَاكُ نَارٍ ، وَكَأَنَّهُ الْجَأْمُ^(١) صَدَى .

وَإِذَا وَصَفُوهُ بِالْقِصْرِ قَالُوا : كَأَنَّهُ عُقْدَةٌ رِشًا ، وَأُبْنَةٌ عَصَا . وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا
قَالُوا : كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ زُبْدٍ ، وَالْمَوْلَدُونَ يَقُولُونَ : كَأَنَّهُ أُسْكُرْجَةٌ^(٢) .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا أُحِيطُ بِنِعَمِكَ عَلَى فَاعِدِّهَا ، وَلَا
أُبْلِغُ كُنْهَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَأَحُدُّهَا .

دَعَا عَطَاءُ السُّنْدِيُّ فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ الْوَاقِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ،
وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِكَ الْوَاسِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ .

وَدَعَا بَعْضُ السَّلَفِ : اللَّهُمَّ إِنَّ قَلْبِي وَنَاصِيَّتِي بِيَدِكَ لَمْ تُمَلِّكْنِي مِنْهُمَا شَيْئًا ،
وَإِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَكْنً أَنْتَ وَلِيَهُمَا ، فَأَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ .

وَدَعَا بَعْضُ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ مَا كَانَ لِي مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ قَضَيْتَهُ وَيَسَّرْتَهُ
وَهَدَيْتَهُ ، فَلَا حَمْدَ لِي عَلَيْهِ ؛ وَمَا كَانَ مِنِّي مِنْ سُوءٍ فَإِنَّكَ وَعَظْتَ وَزَجَرْتَ
وَنَهَيْتَ فَلَا عُذْرَ لِي فِيهِ وَلَا حُجَّةَ .

وَدَعَا آخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، وَنَدِيمٍ فَاجِرٍ ، وَصَدِيقٍ
غَادِرٍ ، وَغَرِيمٍ مَاسِكِرٍ ، وَقَرِيبٍ مُنَاكِرٍ^(٣) ، وَشَرِيكِ خَائِنٍ ، وَحَلِيفٍ

(١) الْجَأْمُ : إِنْاءٌ مِنْ فِضَّةٍ .

(٢) أُسْكُرْجَةٌ : صَخْفَةٌ صَغِيرَةٌ يُوَضَعُ فِيهَا السَّكَمُ ، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ .

(٣) مُنَاكِرٌ ، أَيْ مُحَارِبٌ .

مَائِنٌ ، وُولِدٍ جَافٍ ، وَخَادِمٍ هَافٍ ، وَحَاسِدٍ مُلَافِظٍ ، وَجَارٍ مُلَاحِظٍ ، وَرَفِيقٍ كَسْلَانٍ ، وَخَلِيلٍ وَسْنَانٍ ، وَ (١) ضَعِيفٍ ، وَمَرْكَوبٍ قَطُوفٍ (٢) ، وَزَوْجَةٍ مَبْذُورَةٍ ، وَدَارٍ ضَيِّقَةٍ .

قال المدائني : قال بعض السلف لابنه : اسْحَذْ طَبْعَكَ بِالْعُيُونِ وَالْفِقْرِ (٣) وَإِنْ قَلَّتْ ، فَإِنَّ الشَّجَرَةَ لَا يَشِينُهَا قَلَّةُ الْحَمْلِ إِذَا كَانَ ثَمَرُهَا نَافِعًا ، وَأَكْلُهَا نَاجِعًا .

(٦) وقيل للأوزاعي : ما كرامة الصيف ؟ قال : طلاقة الوجه .

قال مجاهد في قول الله تعالى : (ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) قال : قيامه عليهم بنفسه .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس من المروءة أن تستخدم الصيف .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد : كان يقال : أَرْتَعَ لِلشَّرِيفِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مُحَاسِنِهِ لِأَبِيهِ ، وَحِدْمَتُهُ لَصَيْفِهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالَمِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَإِنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ .

حاتم كان يقول : العجلة من الشيطان إلا في خمسة أشياء ، فإتباع السنة : إطعام الضيف إذا حلَّ ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر (٤) ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب .

(١) ها يياص بالأصل .

(٢) المركوب القطوف : الضيق المظلم .

(٣) أي بعيون الكلام البليغ وفقره .

(٤) في رواية : « الكف » .

وقال : من أطمع الضيفَ لحماً وخُبِزَ حِنْطَةَ وماءٍ بارداً فقد تَمَّ الضيافة .
وقال حاتم : المَزُورُ المرأى إذا ضاف إنساناً حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ إبراهيم الخليل ،
وإذا ضافه إنسانٌ حَدَّثَهُ بِزُهدِ عيسى بنِ مريم .

وقال ميمون بن ميمون : من ضاف البخيلَ صامت دابَّتُهُ ، واستغنى عن
السكينيف ، وأمين الثخمة .

وقال بعض السلف الصالح : لأن أجمعَ إخواني على صاعٍ من طعامٍ أحبُّ
إليَّ من عتقِ رقبة .

قال الأعمش : كان الربيعُ بنُ خَثِيمٍ يَصْنَعُ لنا الخبيص^(١) ويقدمه ويقول :
اللهم اغفر لأطبيهم نفساً ، وأحسنهم خُلقاً ، وأزحهم جميعاً .

وقال أنسُ بنُ مالك : كل بيت لا يدخله الضيفُ لا ندخله الملائكة .
ولمَّا قرأته على الوزير — بأغه الله آماله ، وزكى أعماله ، وحَفَفَ عن قلبه
أثقاله — قال : ما علمتُ أن مثلَ هذا الحَجْمِ يَحْوِي هذه الوصايا والمُلح ؛
وهذه الكلماتُ الغرَر ما فيها ما لا يجبُ أن يُحَفَظَ ، والله لكانها بستان في زمان
الخرنف ، لكل عَيْنٍ فيه منظرٌ ، ولكل يدٍ منه مَقْطَفٌ ، ولكل فَمٍ منه مذاق .
إذا فرغتَ فأضيفْ لي جزءاً أو جزءين أو ما ساعدك عليه الشاط ، فإن موقعها
يَحْسُنُ ، ودكرها بَجُمْلٍ ، وأثرها بَقِي ، وفائدتها تُروى ، وعاقبتها تُحمد .
فقلتُ : السمع والطاعة .

(٢) الخبيص : طعام كان يصنع من التمر والسمن .

الليلة العشرون^(١)

(١) وقال لي مرة [أخرى] : أكتب لي جزءاً من الأحاديث الفصيحة المفيدة . فكتبت : قال مالك بن عمار اللخمي . كنت أجالس في ظل الكعبة أيام المؤمنين عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير ، وكنا نخوض في الفقه مرة ، وفي الذِّكر مرة ؛ وفي أشعار العرب وآثار الناس مرة ؛ فكنت لا أجِدُ عند أحدٍ منهم ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم والفصاحة والبلاغة ، وحسن استماعه إذا حَدَّثَ ، وحلاوة لفظه إذا حَدَّثَ ؛ فخلوتُ معه ذات ليلة فقلت : والله إني لمسرورٌ بك لما أشاهدُه من كثرة تصرفك وحسن حديثك ، وإقبالك على جلسك ؛ فقال : إني إن تعش قليلاً فسترى العيون طامحة إلى الأعناق قاصدة نحوي ، فلا عليك أن تعمل إلى ركبك . فلما أفضت إليه الخلافة شخصتُ أريده ، فوافيته يومَ حُجَّة وهو يحطِّب الناس ، فتصدَّبت له ، فلما وقعت عينه على بئر^(٢) في وجهي ، وأعرض عني ، فقلت : لم يُثبتني معرفة ولو^(٣) عرفني ما أظهر سُكرة . لكنني لم أبرح مكاني حتى فضيت الصلاة ودخل ، فلم ألبث أن خرج الحاجبُ إليَّ فقال : مالك بن عمار ، فقامت ، فأخذ بيدي وأدخلني عليه ، فلما رآني مَدَّ يده إليَّ وقال : إني تراءيت لي في موضع لم يجزُ فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانباض ؛ فرحباً وأهلاً [وسهلاً] ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٧ من هذا الجزء .

(٢) في (١) « كسر » .

(٣) عبارة (ب) « أو عرفني وأظهر » الخ .

كيف كنت بعدنا ؟ وكيف كان مسيرك ؟ قلت : بخير ، وعلى ما يحبّه أمير المؤمنين . قال : أتذكر ما كنت قلت لك ؟ قلت : نعم ، وهو الذى أعملنى إليك ؛ فقال : والله ما هو بميراث أدعينا ، [ولا أثر وعينا] ، ولكنى أخبرك عن نفسى خصالاً سمّت بها نفسى إلى الموضع الذى ترى ، ما لاحت ذؤود ولا قرابة قط ، ولا شمت بمصيبة عدوّ قط ، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى ، ولا قصدت كبيرة من محارم الله متلذذاً بها وواثباً عليها ، وكنت من قریش فى بيتها ، ومن بيتها فى وسطه ، فكنت آمل أن يرفع الله منى ، وقد فعل ؛ يا غلام ، بوّته منزلاً فى الدار . فأخذ الغلام بيدي وقال : أنطلق إلى رحلك ؛ فكنت فى أخفض حال ، وأنم بال ؛ وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه ، فإذا حضر عشاءه أو غداؤه أتانى الغلام وقال : إن شئت صرت إلى أمير المؤمنين فإنه جالس ، فأمشى بلا حذاء ولا رداء فيزفع تجلسى ، ويقبل على محادثتى ، ويسألنى عن العراق مرّة ، وعن الحجاز مرّة ، حتى مضت لى عشرون ليلة . فتغدّيت عنده يوماً ، فلما تفرّق الناس نهضت للقيام ، فقال : على رسلك أيها الرجل ، أى الأمرين أحب إليك : المقام عندنا ، ولك النصفة فى المعاشرة والمجالسة مع المؤانسة ، أم الشُّحوص ولك الحياء والكرامة ؟ فقلت : فارقت أهلى وولدى على أن أزور أمير المؤمنين ، فإن أمرنى اخترت فناءه على الأهل والولد ، قال : بل أرى لك الرجوع إليهم ، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك ، فتجدد بهم عهداً ويمجددون بك مثله ، والخيار فى زيارتنا والمقام فيهم إليك ، وقد أمرنا [لك] بعشرين ألف دينار ، وكسوتناك وحملناك ، أترانى ملأت يدك أبا نصر ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أراك ذا كراً لما روت^(١) عن نفسك .

قال : أَجَلٌ ، ولا خَيْرَ فِيمَنْ يَنْسَى إِذَا وَعَدَ ؛ وَدَّعَ إِذَا شَتَّ صَحِيبَتَكَ السَّلَامَةَ .

قال الوزير : ما أَخْلَى هذا الحديث ! هَاتِ ما بعده ، قلتُ : قال يحيى بن

أَبِي يَعْلَى : لَمَّا قَدِمَ الْمَالُ مِنْ نَاحِيَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — عَلَى (٢)

أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، قَسَمَهُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ ، فَأَصَابَ كُلُّ إِنْسَانٍ خَمْسِينَ

دِينَارًا ، فَدَعَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَقَالَتْ : أَكْتُبُ ،

فَكُتِبَتْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتُ

الْحُسَيْنِ سَلَامٌ [اللَّهُ] عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أُحَدِّثُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا

بَعْدَ ، فَأُصَلِّحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا تَوَلَّاهُ ، وَعَصَمَ بِهِ دِينَهُ ، فَإِنَّ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ أَنْ تَقْسِمَ فِينَا مَا لَا مِنْ الْكِتَابَةِ ،

وَيَتَحَرَّى بِذَلِكَ مَا كَانَ يَصْنَعُ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَقَدْ

بَلَّغْنَا ذَلِكَ ، وَقَسَمَ فِينَا ، فَوَصَّلَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَزَاهُ مِنْ وَالٍ حَيْرَ

مَا جَزَى أَحَدًا مِنَ الْوُلَاةِ ، فَقَدْ كَانَتْ أَصَابَتُنَا جَفْوَةٌ ، وَأَحْتَجُّنَا إِلَى أَنْ يُعْمَلَ

فِينَا بِالْحَقِّ ؛ فَأَقْسَمُ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَحْنَدَمَ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَا خَادِمَ لَهُ ، وَأَكْتَسَى مَنْ كَانَ عَارِيًا ، وَأَسْنَقَرَّ مَنْ كَانَ لَا يَجِدُ

مَا يَسْتَقَرُّ [بِهِ] . وَبَعَثْتُ [إِلَيْهِ] رَسُولًا .

قال يحيى : فَخَدَّثَنِي الرَّسُولُ قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ (١) عَلَيْهِ ، فَقَرَأْتُ كِتَابَهَا وَإِنَّهُ

لَيَحْمَدُ اللَّهُ وَيَشْكُرُهُ ، فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ دَنَائِرٍ ، وَبَعَثَ إِلَى فَاطِمَةَ خَمْسَةَ

دِينَارٍ ، وَقَالَ : أَسْتَعِينِي بِهَا عَلَى مَا يُعَوِّزُكَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهَا كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ

فَضْلُهَا وَفَضْلَ أَهْلِ بَيْتِهَا ، وَيَذْكُرُ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ .

(١) فِي (١) « الْمَرَاقِ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

فرقَّ الوزير عند هذا الحديث وقال : أذْكَرْتَنِي أَمْرَ الْعَلَوِيَّةِ ، وأخذ القلم ، وأستمدَّ من الدواة ، وكتب في التذْكِرة شيئاً ، ثم أرسل إلى نقيب العلوية العُمريِّ في اليوم الثاني بألف دينار ، حتى تُفرَّقَ في آل أبي طالب ، وقال لي : هذا من بركة الحديث .

(٣) ثم قال : كيف تطاول هؤلاء القومُ إلى هذا الأمرِ مع بُعْدِهِم من رَحِمِ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وقُرْبِ بني هاشم منه ؟ وكيف حدثهم أنفسهم بذلك ؟ إنَّ عَجَبِي من هذا لا يَنْقُضِي ، أينَ بنو أمية وبنو مروان من هذا الحديث مع أحوالهم المشهورة في الدين والدنيا ؟

قلت : أيُّها الوزير ، إذا حُقِّقَ النَّظَرُ واستُشِفَّ الأَصْلُ (١) لم يكن هذا (٢) عجيباً ، فإنَّ أعجازَ الأمور تاليةٌ لصدورها ، والأسافل تاليةٌ لأعاليتها ، ولا يزال الأمرُ خامياً حتى يَنْكَشِفَ سَبَبُهُ (٣) يروى التعجُّبُ [منه] ، وإنما بعدُ هذا على كثير من الناس ، لأنَّهم لم يُعْنَوْا به وبتعرُّفِ أوائله والبحثِ عن غوامِصِهِ ، ووضْعِهِ في مواضعِهِ ، وذهبوا مذهبَ التعصُّبِ .

قال : فما الذي حَفِيَ حتى إذا عُرِفَ سَقَطَ التَّعَجُّبُ ولَزِمَ التسليم ؟ فكان من الجواب : لا حِلَافَ بين الرواة وأصحابِ التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ وَعَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى صَنْعَاءَ ، وَأَبُو سُوَيْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ عَلَى نَجْرَانَ ، وَأَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى الْعَاصِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَسَعِيدُ ابْنِ الْقَيْسِ الْأَزْدِيُّ حَلِيفُ بَنِي أُمِيَّةَ عَلَى جُرَشٍ وَنَحْوِهَا ، وَالْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ

(١) في (١) « الأمر » .

(٢) في (١) « لم يكن بعيداً عجيباً » .

(٣) في (١) « حتى تنكشف فيه » ؛ وهو تحريف .

الْمَخْزُومِيُّ عَلَى كِنْدَةَ وَالصَّدِيفِ ؛ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى عُثْمَانَ ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى الطَّائِفِ . فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَسَسَ هَذَا الْأَسَاسَ ، وَأَظْهَرَ أَمْرَهُمْ لِجَمِيعِ النَّاسِ ؛ كَيْفَ لَا يَقْوَى ظَنُّهُمْ ، وَلَا يَنْتَبِسطُ رَجَاؤُهُمْ ، وَلَا يَمْتَدُّ^(١) فِي الْوَلَايَةِ أَمْلُهُمْ ؟ وَفِي مَقَابِلَةِ هَذَا ، كَيْفَ لَا يَضْعُفُ طَمَعُ^(٢) بَنِي هَاشِمٍ ، وَلَا يَنْقَبِضُ رَجَاؤُهُمْ ، وَلَا يَقْصُرُ أَمْلُهُمْ ؟ وَهِيَ الدُّنْيَا ، وَالَّذِينَ عَارِضُوا فِيهَا ، وَالْعَاجِلَةَ مَحْبُوبَةً ، وَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ حَدَدَ أَنْيَابَهُمْ ، وَفَتَحَ أَبْوَابَهُمْ ؛ وَأَثَرَعَ كَأْسَهُمْ ، وَقَتَلَ أَمْرَأَتَهُمْ ، وَدَلَّائِلُ الْأُمُورِ تَسْبِقُ ، وَتَبَاشِيرُ الْخَبَرِ تُعَرِّفُ .

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ هِشَامِ الثَّقَفِيُّ قَالَ : مَاتَ عَبِيدُ اللَّهِ ابْنُ جَحْشٍ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَتْ مَعَهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَخَطَبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَدَعَا بِالْقُرَشِيِّينَ فَقَالَ : مَنْ أَوْلَاكُمْ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ؟ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : أَنَا أَوْلَاهُمْ بِهَا . قَالَ : فَرَوِّجْ نَبِيَّكُمْ . قَالَ : فَرَوَّجْهُ وَمَهَّرْ عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ ؛ فَكَانَتْ أَوَّلَ أَمْرٍ مُهِّرَتْ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ ؛ ثُمَّ نُحِلَّتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهَا الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَتُكْثِرُ النَّظَرَ إِلَى هَذَا الشَّابِّ . قَالَ : أَلَيْسَ ابْنُ الْحُرُومِيَّةِ ؟ فَالَوْ : بَلَى ؛ قَالَ : إِذَا بَلَغَ بَنُو هَذَا أَرْبَعِينَ رَجُلًا كَانَ الْأَمْرُ فِيهِمْ ، وَكَانَ مَرْوَانُ إِذَا خَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ كَلَامًا قَالَ لِمُعَاوِيَةَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَبُو عَشْرَةٍ ، وَأَخُو عَشْرَةٍ ، وَعَمُّ عَشْرَةٍ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا عَشْرَةٌ حَتَّى يَكُونَ الْأَمْرُ فِيَّ ؛ يَقُولُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : أَخَذَهَا وَاللَّهِ مِنْ عَيْنٍ صَافِيَةٍ .

(١) فِي (١) : « يَحِيدُوا » ، وَفِي (ب) : « يَحِيدُ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي كِلْتَابِهِمَا .

(٢) فِي (ب) : « أَمَلُ » .

فهذا — كما تَسْمَعُ — إن كان حقاً فلا سبيل إلى رَدِّه ، وإن كان مُفْتَعَلًا
فقد صارَ داعيةً إلى الأمر الذي وَقَعَ النزاعُ فيه ، وجمال الخِصامُ عليه .
وما ههنا شيء آخر .

قال القَعْقَاعُ بنُ عمرو : قلتُ لعلِّي بنُ أبي طالب — عليه السلام —
ما حَمَلَكَمُ على خلافِ العباسِ بنِ عبد المطلبِ وَتَرْكِ رَأْيِهِ ؟ وهذا يَعْنِي به أن
العباسَ كان قال لعلِّي — عليه السلام — في مرضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم :
قم بنا إليه لِنَسْأَلَهُ عن هذا الأمر ، فإن كان لنا أَشَاعُهُ في النَّاسِ ، وإن كان في
غيرنا وَصَّيَ فينا ، وكان عليٌّ عليه السلام أباي على عمِّه العباسِ ولم يُطَاوِعْهُ —
قال القَعْقَاعُ : قال أمير المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالب — عليه السلام — في جوابه
لي : لو فَعَلْنَا ذَلِكَ فَجَعَلَهَا في غَيْرِنَا بعدَ كَلَامِنَا لم نَدْخُلْ فيها أبداً ، فأحببتُ
أن أكَفَّ ، فإنْ جَعَلَهَا فينا فهو الذي نريد ، وإنْ جَعَلَهَا في غَيْرِنَا
كانَ رَجَاءُ مَنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَّا مَمْدوداً ، ولم يَنْقَطِعْ مِنَّا ولا من الناس . قال
القَعْقَاعُ : فكان الناسُ في ذلكَ فرقتين : فرقةٌ تَحَزَّبَ للعباسِ وتَدِينُ له ، وفرقةٌ
تَحَزَّبَ لِعَلِيِّ وتَدِينُ له . فهذا وما أَشَبَّهُهُ يُضْعِفُ نفوساً ، ويرَفَعُ رُءُوساً ؛ وبعد فهذا
البيتُ خُصَّ بالأمر الأول ، أعني الدَّعْوَةَ والنَّبُوَّةَ والكتابَ العزيز ، فأما الدنيا
فإنها تَزُولُ من قوم إلى قوم ، وقد رُوِيَ^(١) أبو سُفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ وقد وقف
على قبر حمزة بن عبد المطلب وهو يقول : رحمك الله يا أبا عُمارة ، لقد قاتلتنا على
أمرٍ صار إلينا .

(١) هكذا في ب وعبارة ١ وقد روى أنه وقف أبو سفيان صخر بن حرب على قبر
حمزة بن عبد المطلب وهو يقول .

فإن قال قائل : فقد وصل^(١) هذا الأمرُ بعد مدّةٍ إلى [آل] النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فالجواب : [صَدَقَتْ] ، ولكن لما ضَعُفَ الدِّينُ وَتَحَلَّلَ^(٢) رُكْنُهُ وتداوله الناسُ بالغلبة والقهر ، فتطاوَلَ له ناسٌ من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعجم وبِقُوَّتِهِمْ وَنَهَضَتِهِمْ وعاداتِهِمْ في مساورة الملوك ، وإزالة الدُّوَلِ ، وتناولِ العِزِّ كيف كان ، وما وَصَلَ إلى أَهْلِ العَدَالَةِ والطَّهارة والزُّهْدِ والعِبَادَةِ والوَرَعِ والأمانة ، ألا ترى أن الحالَ أَسْتَحَالَتَ عَجْمًا : كِسْرَوِيَّةً وَقِيَصَرِيَّةً ، فأين هذا من حديثِ النبوةِ الناطقة ، والإمامةِ الصادقة ؛ هذا الربيعُ — وهو حاجب المنصور — يَصْرِبُ مَنْ شَمَّتَ الحَلِيفَةَ عندَ العَطْسَةِ ، يَشْكِي ذلك إلى أبي جَعْفَرِ المنصور ، فيقول : أَصَابَ الرَّجُلُ السُّنَّةَ وَأَخْطَأَ الأَدَبَ . وهذا هو الجهل ، كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ السُّنَّةَ أَشْرَفُ مِنَ الأَدَبِ ، بل الأَدَبُ كُلُّهُ فِي السُّنَّةِ ، وَهِيَ الجَامِعَةُ للأَدَبِ النَّبَوِيِّ والأَمْرِ الإِلَهِيِّ ، ولكن لما غلَت عليهم العِزَّةُ^(٣) ، ودَخَلَتِ النُّعْرَةُ فِي آثَانِهِمْ ، وَظَهَرَتِ الْخِزْوَانَةُ^(٤) بَيْنَهُمْ ، سَمَّوْا آيِينَ^(٥) الْعَجَمِ أَدَبًا ، وفَدَّمُوهُ عَلَى السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ ، هذا إلى غير ذلك من الأُمُورِ المَعْرُوفَةِ ، والأَحْوَالِ الْمُتَعَالِمَةِ الْمُتَدَاوِلَةِ الَّتِي لَا وَجْهَ لِدِكْرِهَا ، وَلَا فائدةَ لِنَشْرِهَا ، لأنها مَقَرَّرَةٌ فِي التَّارِيخِ . ودائرةٌ فِي غَرَضِ الحَدِيثِ .

ولما كانت أوائلُ الأُمُورِ عَلَى مَا شَرَحْتُ ، وَأَوَاسِطُهَا عَلَى مَا وَصَفْتُ ، كان من نتائجها هذه الفتن والمداهب ، والمعشِبُ والإِفْرَاطُ ، وما نَقَامَ مَعَهَا وَزَادَ

(١) فِي (ب) : « سار » .

(٢) تَحَلَّلَ رُكْنُهُ ، أَي تَزَعَزَعَ وَزَالَ عَنْ مَوْسِعِهِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الْحَرِيَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْخِزْوَانَةُ : الْكِبَرُ .

(٥) آيِينَ الْعَجَمِ : عَرَفَهُمْ وَعَادَاتِهِمْ ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ .

ونما وعلا وترآق ، وضائق الحيل عن تداركه وإصلاحه ، وصارت العامة مع جملها ، تجد قوة من خاصتها مع علمها ، فسفكت الدماء ، واستبيح الحرم ، وشقت الغارات ، وخربت الديارات ، وكثر الجدال ، وطال القيل والقال ، وفشا الكذب والمحال ، وأصبح طالب الحق حيران ، ومحبط السلامة مقصوداً بكل لسان وسنان ، وصار الناس أحزاباً في النحل والأديان ، فهذا نصيري^(١) ، وهذا أشجعي^(٢) ، وهذا جارودي^(٣) ، وهذا قطعي^(٤) ، وهذا جبائي^(٥) ، وهذا أشعري^(٦) ، وهذا خارجي^(٧) ، وهذا

(١) الصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، كانوا يؤلهون علياً ، وكان منهم ناس في زمن علي ابن أبي طالب خذرم . وينسبون إلى رجل اسمه نصير .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في (١) وحدها ؛ ولم نجد الأشجعية فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في الفرق .

(٣) الجارودية : فرقة من الريدية نسبت إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، ويرحمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يص على إمامة علي بالوصف دون الاسم ، وكفروا بالصحابة لتركهم سعة على .

(٤) القطعية ، ويقال لهم : الاثنا عشرية أيضاً ، وذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر ، وهؤلاء يسوقون الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، ويقطعون بموت موسى ، ويرحمون أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا . (٥) الجبائية والأشعرية : فرقان من المتكلمين ، أولاهما تنسب إلى أبي علي الجبائي وكانت المعتزلة البصرية على مذهبه ، ثم انتقلوا بعده إلى مذهب أبي هاشم ابنه ، وسموا بعد اليهشمية ، وثابتهما تنسب إلى أبي الحسن الأشعري من أهل السنة .

(٦) الثعديّة : فرقة من الخوارج ينسبون إلى رجل منهم اسمه شعيب ، ويقولون في القدر والاستطاعة والمشيئة قول الخازمية ، وهو موافق لقول أهل السنة في ذلك .

(٧) القرامط والقرامطة : طائفة مشهورة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة ررادشت ومزدك وماني ، وكانوا يبيعون المحرمات ، وكان ابتداء أمرهم في سنة مائتين وثمان وسبعين . راجع عقد الجمان للعيني في حوادث هذه السنة . ومن هذه الطائفة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، وهو الذي أظهر مذهبهم ، وكان دقاقاً ، فتنى عن بلده جتابة ، وخرج إلى البحرين وأقام بها تاجراً ، وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها ، وقتل سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم ولي الأمر بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فكان من قتله حجاج بيت الله الحرام ، واقطاع طريق مكة في أيامه =

راوندي^(١) ، وهذا نجاري^(٢) ، وهذا زعفراني^(٣) ، وهذا قدري^(٤) ، وهذا جبري^(٥) ، وهذا لفظي^(٦) ، وهذا مستدركي^(٧) ، وهذا حارثي^(٨) ، وهذا رافضي^(٩) ؛ ومن لا يحمي عددها إلا الله الذي لا يعجزه شيء ؛ لا جرم شمت اليهود والنصارى والمجوس بالمسلمين ، وعابوا وتكلموا ، ووجدوا أجراً وجصاصاً فبنوا ، وسمعوا فوق ما تمنوا [مرووا]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزداد الأمر إلا صعوبة ، ولا الناس إلا اتباع هوى ، حتى تقوم الساعة على شرار الناس » . وقال أيضاً : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً ، مطوبى للغرباء من أمّتي » .

== بسببه ، واتعدى في الحرم وانتهاك الكعبة ونقله الحجر الأسود إلى القطيف والأحساء من أرض البحرين ، ما قد اشتهر ذكره ، وقد نقي الحجر الأسود عديم إحدى وعشرين سنة ، ثم رد ببدول بدلت لهم ، وقد استوفى الطبري واس الأثير وغيرها أخبار هذه الطائفة في كتبهم فارجع إليها ، وانظر معهم البلدان في الكلام على « جانة » بتشديد الون وتاج العروس « مادة حب » .

(١) الراوندية هم أتباع الراوندي أبي الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق من أهل مرو سكن سدد وكان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارهم وترندق وألف في الرد عليهم ؛ ومات سنة ٢٩٨ .
(٢) الجارية : أتباع الحسين بن محمد الحار ، وقد وافقوا أهل السنة في أصول ، والقدرية في أصول ، وامردوا بأصول .

(٣) الرعفرانية : أتباع الرعفراني الذي كان بالري ، وهم فرقة من الجارية .
(٤) القدريّة : فرقة تنفي القدر عن الله عز وجل وتقول إن العدد محير في أفعاله ، وليس للقدر دخل فيها .

(٥) الجبرية : فرقة تثبت القدر لله عز وجل وتقول : إن العبد محير على أفعاله ، وليس له اختيار فيها ، وإن أفعاله بمثابة الرعدة والرعدة .

(٦) كذا ورد هذا اللفظ في كلتا السختين ؛ ولم نجد فرقة بهذا الاسم ؛ فلهذا يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ .

(٧) المستدركة : فرقة من الحارثية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم .

(٨) الحارثية : فرقة من الإباضية ، ينسبون إلى حارث بن يزيد الإباضي ، وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة . وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وكفّرهم سائر الإباضية في ذلك .

وقلتُ لأبن الجَلَاءِ الزاهدِ بمكة سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاثمائة : ما صفةُ هذا الغريب ؟ فقال لي : يا بُنَيَّ هو الذي يَفَرُّ من مدينةٍ إلى مدينةٍ ، ومن قُفْلَةٍ إلى قُفْلَةٍ ؛ [ومن بلدٍ إلى بلدٍ] ومن بَرٍّ إلى بحرٍ ، ومن بحرٍ إلى برٍّ ، حتى يَسْلَمَ ، وأتى له بالسلامة مع هذه النيران التي قد طافَتْ بالشرق والغرب ، وأتت على الحرث والنَّسل ، فقدمتْ^(١) كلَّ أفْوَه ، وأسكتتْ كلَّ ناطقٍ ، وحيرتْ كلَّ لبيبٍ ، وأشرقتْ كلَّ شاربٍ ، وأمرَّتْ على كلِّ طاعمٍ ؛ وإنَّ الفِكرَ في هذا الأمرِ لمُختَلِسٌ لِلْعَقْلِ^(٢) وكَارِثٌ^(٣) لِلنَّفْسِ ، ومُحْرِقٌ^(٤) لِلْكَبِيدِ .

فقال الوزير : والله إنه لكذلك ، وقد نالَ مِنِّي هذا الكلام ، وكَبُرَ عَلَيَّ هذا الخطْبُ ، واللهُ المستعان .

ونظرتُ إليه وقد دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَرَقَّ فَوَادُهُ وهو — كما تَعْلَمُ — كثيرُ التَّأَلُّهِ ، شديدُ التَّوَقُّي ، يصومُ الاثنين والخميس ، فإذا كان أولُ رجبٍ أصبحَ صائماً إلى أولِ يومٍ مِنْ شِوَالٍ ، وما رأينا وزيراً على هذا الدَّأْبِ وبهذه العادة ، لا منافقاً ولا مُخْلِصاً^(٥) ، وقد قال الله تعالى : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) تَوَلَّاهُ اللهُ أَحْسَنَ الْوِلَايَةِ ، وكفاه أَكْمَلَ الْكِفَايَةِ ، إنه قريبٌ مجيب .

فلَمَّا رَأَيْتُ دَمْعَتَهُ قُلْتُ : أيها الوزير ، رَوَى عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، [وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ] وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ » ،

(١) فدمت ، من القدامة ، وهي المي .

(٢) في (١) : « الأمر » .

(٣) كارت للنفس : من كرهه العم إذا اشتد عليه .

(٤) في ١ : « ولا غصا » ؛ وهو تعريف .

فقال — أحسن الله توفيقه — : هو الهلاك إن لم يُنقذ الله بفضله ، ولم يتفقد بعفوه ؛ لو غرقت في البحر كان^(١) رجائي في الخلاص منه أقوى من رجائي في السلامة مما أنا فيه . قلت : إذا علم الله من ضميرك هذه العقيدة ألبسك ثوب عفوه ، وحلاك بشعار عافيته وولايته ، وكفاك كيد أعدائك ، وعصب برءوسهم ما يريدونه بك (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

فقال : اجعل لي جزءاً من رقائق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، فإن مراميهم شريفة ، وسرائرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذاك — أظن — للذين الغالب عليهم ، والتأله المؤثر فيهم ؛ فالصدق مقرون بمنطقيهم ، والحق موصول بقضد هم ، ولست أجد هذا المعنى في كلام الفلاسفة ، وذاك — أظن أيضاً — لخوضهم في حديث الطبائع والأفلاك والآثار وأحداث الزمان . قلت : أفعل ، فكتبت تمام ما تقدم به ، ثم كتبت بعد ورقات في حديث النساك .

(٤) قال عتبة بن المنذر السلمي : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى — عليه السلام — ؟ فقال : أكثرها وأوفأها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى — عليه السلام — لما أراد فراق شبيب أمر أمرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما وضعت غنمه من قالب^(٢) لون ذلك العام ، فلما وردت الحوض وقف موسى بإزاء الحوض فلم تضد منها شاة إلا ضرب جنبها بعصاه ، فوضعت قالب ألوان كلها ووضعت اثنتين أو ثلاثة كل شاة ، ليس فيهن فشوش^(٣) »

(١) في (١) : « كاف » ؛ وهو تحريف .

(٢) شاة قالب لون : إذا كات على غير لون أمها .

(٣) الفشوش : الشاة التي ينفش لبنها من غير حلب .

ولا ضَبُوبٌ^(١) ولا تَعُولٌ^(٢) ولا كَمِيشَةٌ^(٣) تَقُوتُ الكَفَّ^(٤) فَإِنْ أَفْتَتَحْتُمُ الشَّامَ
وَجَدْتُمْ بِهَا بَقَايَا مِنْهَا ، فَاتَّخِذُوهَا ، وَهِيَ السَّامِرِيَّةُ .

قال جعفر بن أبي طالب للنَّجَاشِيَّ في حديثٍ : بعث الله [تعالى] رسولا
فينا نعرف صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فدعانا إلى الله [لنوحِّدَهُ] ونعبده ونخلع ما كُنَّا
نعبده ، وأمرنا بصِدْقِ الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحِمِ ، وحسن الجوار ،
والكفَّ عن المحارم والدِّماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزُّور ، وأكل مال
اليتيم ، وقذف المُحْصَنَاتِ .

وقال صاحب التاريخ : وَلَدَتْ لعمر بن الخطاب — رضوان الله عليه —
أُمُّ كلثوم بنتُ عليٍّ بن أبي طالب — عليه السلام — زَيْدًا وَرُقِيَّةً ؛ وَأُمُّ
أُمِّ كلثوم فاطمة بنتُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

قال أنس بن مالك : صَلَّى النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا
تُوُفِّيَ أَوْ رَادَا لَمْ يَوْمَهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

ولَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَمَانِ سِنِينَ ، هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ،
وهو شَيْبَةُ أَبُو الْحَارِثِ ، وذلك بعد الفيل بثمان سنين ، وتوفيت أُمُّهُ وهو
ابنُ سِتِّ سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي
عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى مَكَّةَ .

(١) في القاموس : الضبوب : الدابة تبول ويمدو ؟ والشاة الضيقة الإحليل .

(٢) التعلول : الزائدة الأطباء ، وهي حملات الضرع .

(٣) الكميشة من الشياه : الصغيرة الضرع التي انكش صرعها وتقلص .

(٤) في (١) : « بلون الكف » ؟ وهو تحريف . ووردت هذه الكلمة في

(ب) مضموسة الحروف تنعذر قراءتها . وتقوت الكف ، أي لا يمكن القبسُ على صرعها
بالكف لصعره .

الليلة الحادية والعشرون

وسأل مرة عن المغنى إذا راسله^(١) آخر لم يجب أن يكون ألدّ وأطيب ، وأحلى وأعذب ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال في جواب هذه المطالب ما يمنع من اقتضاب قول وتكلف جواب ، ذكر أن المسموع الواحد إما هو بالحسن الواحد ، وربما كان الحسن الواحد أيضا غليظا أو كديرا ، فلا يكون لنيله^(٢) اللذة به^(٣) بسط ونشوة ولذادة^(٤) ، وكذلك [المسموع] ربما لم يكن في غاية الصفاء على تمام الأداء بالتقطيع [الذى هو نفس في الهواء ، فلا تكون أيضا إمانته للذة على التمام والوفاء ، فإذا نفي^(٥) المسموع — أعني واحد^(٦) النغم — قوى الحسن المذكر ، فقال مسموعين بالصناعة ، ومسموعا واحدا بالطبيعة : والحسن لا يعشق المواحدة^(٧) والمناسبة والاتفاق إلا بعد أن يجدها في المركب ، كما أن العقل لا يعشق إلا بعد أن ينالها في مصاء البسيط^(٨) : فكلما قوى الحسن بآسنعاله ، ألتذ صاحبه بقوته حتى كأنه يسمع ما لم يسمع بحسن أو أكثر ، وكما أن الحسن إذا كان كليلا [كان الذى يناله كليلا] ، كذلك الحسن إذا كان قويا كان ما يناله قويا .

(١) راسله آ ر ، أى راسه في عنائه مساعدة له .

(٢) في كلتا النسختين : « فلا يكون بلاء لذة » ؛ وهو تحريف .

(٣) به أى بالمسموع .

(٤) في كلتا النسختين : « وقسر وولاية » ولا معنى لهاتين اللفظتين هنا ؛ فعمل صوابهما

ما أثبتناه أو ما يفيد معيهما .

(٥) في كلتا النسختين : « فأذن الأس المسموع » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ ولعل

صوابه ما أثبتناه أو ما يفيد معناه .

(٦) في كلتا النسختين : « توجد » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في (ب) « المواحدة » وفي (أ) « الواحدة » ؛ وهو خطأ في كليهما .

(٨) في (أ) « بقاء النشيط » ؛ وهو تحريف .

قال : هذا كله موهوبٌ للحسّ ، فما للعقل في ذلك ؟ فإنّا نرى العاقلَ (٢) تعتريه دهشةٌ وأزيمحيةٌ وأهتزاز .

قلت : قد أتى على مجموع هذا ومعرفته أبو سليمان في مذاكرته لأبن الحمّار ، وذَكَرَ أن من شأن العقل الشُّكُّون ، ومن شأن الحسّ التَّهَيُّج ، ولهذا يوصف العاقل بالوقار والسكينة ، ومن دونه يوصف بالطيش والعجرفة ، والإنسان ليس يحدُّ العقلُ وجداناً ميلتذُّ به ، وإما يعرفه إمّا جملةً وإمّا تفصيلاً ؛ أغنى جملةً بالرسم وتفصيلاً بالحدّ ، ومع ذلك يشناقُ إلى العقل ، ويتعقّى أن يناله ضرباً من النّيل ويحدّه نوعاً من الوجدان ، فلما أرزّت الطبيعة الموسيقى في عرض الصّناعة بالآلات المهيّأة ، وتحركتْ بالمناسبات النّائمة والأشكال المنفّقة أبصاً ، حدّث الاعتدال الذي يُشعر بالعقل وطلوعه وأنكشافه وأنجلاؤه ، مهَرَّ (١) الإحساس ، وبثّ الإيناس ، وسوّقَ إلى عالم الرُّوح والنعيم ، وإلى محلّ الشرف العميم ، ونعتَ على كسبِ المصائِلِ الحِسِّيَّةِ والعقليَّةِ ، أعنى الشجاعةَ والجودَ والحلمَ والحكمةَ والصبرَ ، وهذه كلّها جماعُ الأسبابِ المكمّلةِ للإنسان في عاجلته وآجلته ؛ وبالواجب ما كان ذلك كذلك ، لأن المصائِلَ لا تُقَتَّى إلا بالشَّوق إليها ، والحرص عليها ، والطلبُ لها ؛ والشَّوقُ والطلبُ والحرصُ لا تكون إلا بمشوّقٍ وباعثٍ وداعٍ ، فلمّا برزَتِ الأريحيةُ والهرةُ ، والشَّوقُ والعرةُ ؛ فالأريحيةُ للرُّوح ، والهرةُ للنفس ، والشَّوقُ للعقل ، والعرةُ للإنسان . ومما يجب أن يُعلَمَ أن السَّمْعَ والبصرَ أخصَّ بالنفس من الإحساسات الباقية ، لأنهما حادّما النفسِ في السرِّ والعلانية ، ومؤنساها في الخلوة ، وممدّاها في النّوم واليقظة ؛ وليست هذه الرتبةُ لشيء من الباقيات ، بل الباقيات آثارُها في الجسد (٢) الذي هو مطية الإنسان ،

(١) في كلتا النسختين « فقهر » وهو تحريف .

(٢) في (١) « في الحد » ؛ وهو تحريف .

لكن الفرق بين السمع والبصر في أبواب كثيرة : ألقها أن أشكال المسموع مركبة في بسيط ، وأشكال البصر مبسطة في مركب .

قلت : وقد حكيت هذا لأبي زكرياء الصنمري فطرب وأرتاح وقال :
ما أبعد نظر هذا الرجل ! وما أرق لحظه ! وما أغنى جانبه !

الليلة الثانية والعشرون

(١) وقال لي مرة أخرى : إزول شيئاً من كلام أبي الحسن العامري ، فإني أرى أصحابنا يردُّونه ويُذبلونه ، فلا يروُن له في هذه العُصبة قدماً ، ولا يرفعون له في هذه الطائفة علماً .

قلت : كان الرجل لكرآزته وغلط طبعه وجفا حلقه ينفر من نفسه ، ويغري الناس بعرضه ، فإذا طلب منه الفن الذي قد حصَّ به وطولبت بتحقيقه وُجد على غاية الفصل .

فمن كلامه قوله : الطبيعة تتدرج في فعلها من الكلِّيات البسيطة ، إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة ، إلى البسائط الكلِّية ، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركبة ، ليتوصل بتوسطها إلى استنباطها^(١) ، والإحاطة بالمعاني المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة ليتوصل بتوسطها إلى تحقيق إثباتها^(٢) . وكما أن القوة الحسيَّة عاجزة بطباعها عن استخلاص البسائط الأوائل ، بل تحتاج معها إلى القوة العاقلة ،

(١) في (ب) « أسباب إثباتها » وفي (أ) « إثبات إثباتها » وكلتا المارتين غير ظاهرة المعنى ؛ فلعن الصواب ما أمينا .

(٢) في ب « ما يالها » وفي (أ) « مسابها » وهو تحريف في كليهما .

وإن قَوِيَتْ لصار العقلُ فَضْلاً — كذلك أيضاً القوَّة العاقلة لا تَقْوَى بذاتها على استنبات المركِّبات إلا من جهة القوة الحسَّاسة ، ولو قَوِيَتْ عليه لصار الحسُّ فَضْلاً [للعاقلة] .

قال : هذا كلامٌ بارِعٌ من صَدْرِ واسع ، وأَحِبُّ أن تزيدَنِي من نَمَطِهِ . قلت : وقال أيضاً : الكُلُّ مُفْتَقِرٌ إلى الجُزْئِي لا لأن يصير بدَيُّومَتِهِ محفوظاً [بل لأن يصيرَ بتوسُّطِهِ موجوداً ، والجُزْئِي مُفْتَقِرٌ إلى الكلِّ لا لأن يصير بتوسُّطِهِ موجوداً ، بل لأن يصير بدَيُّومَتِهِ محفوظاً] .

وقال : الحالُ في جميع السُّبُل — أعني مَسالكَ الأشياءِ في سَكُونِهَا ^(١) صناعيَّةٌ كانت أو تديريَّةٌ أو طبيعيَّةٌ أو اتِّفَاقِيَّةٌ — واحدة ، مثاله أن الإنسان وإن أُلْتِذَّ بالدَسْتَنِّانِ ^(٢) فلن يُعَدَّ موسيقاراً إلا إذا تحقَّقَ بمبادئه الأولى التي هي الطَّنِينات وأصاف الطَّنِينات ، وكذلك الإنسان وإن أُسْتَطاب الحُلُو فلن يسمَّى حُلُوَانِيّاً إلا إذا عَرَفَ بسائطه وأُسْطَقْسَاتِهِ .

وقال : أَلَعَلَّ لا يحيطُ بالشَّيْءِ إلا إذا عَرَفَ مبادئه القريبةَ والبعيدةَ والمتوسِّطةَ . وقال : تتوصَّلُ إلى كُرْبَةِ القمرِ بما رآه من أختلاف أشكاله ، أعني أنا نراه في الدَّوْرَةِ الواحدةِ هاللياً مرَّتين ومتصِّفاً مرَّتين وبَدَراً مرَّةً واحدةً ، وهذه الأشكال وإن كانت متقدِّمةً عندنا فإن كونه كُرِّيّاً هو المتقدِّم بالذات . وقال : ما هو أكثر تركيباً للحسِّ أَقْوَى على إثباته ، وما هو أقلُّ تركيباً

(١) في كتابنا الدسختين « بالتكون » بالباء ؛ والصواب ما أثبتنا كما يظهر لنا .

(٢) في كتابنا الدسختين « الدسْتَنان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلاً عن كتاب الألفاظ الفارسية الممرّبة ، والدسْتَنان كلمة فارسية مركبة من كلمتين : دستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى . وأصل معناه العمة . وبان ، أي الذي يضرب به ؛ ويقال أيضاً دستانوان ، وهو مرَّاب الأول .

فالعقل أخلصُ إلى ذاته .

وقال : الأحداث — وهى الذوات الإبداعية — الوقوف على إثباتها يغنى عن البحث عن ماهياتها .

وقال : كل معنى يُوجد بوجوده غيره لا يرتفع بارتفاع ذلك الذى هو غيره ، بل يرتفع غيره بارتفاعه ، فإنه أقدمُ ذاتا من غيره ، مثاله الجنس لا يرتفع بارتفاع واحدٍ من أنواعه ، والأنواعُ ترتفع بارتفاع الجنس ، وكذلك حال النوع مع الشخص ، فالجنس أقدم من النوع ، والنوعُ أقدمُ من الشخص ، وأعنى بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين .

وفال : معرفتنا أولا تتعلق بالأشخاص الجزئية ثم بتوسطها نبتت الأجناس فإذا المتقدم بالذات غير المتقدم إلينا .

وقال : مسألك العقل فى تعرف المعانى الطبيعية مقابل لمسلك الطبيعة فى إيجادها ، لأن الطبيعة^(١) تدرج من الكيئات السيطرة إلى الجرئيات المركبة ، والعقل تدرج من الجرئيات المركبة إلى السائط الكليّة .

قال أبو النصر عيسى : إما كان هذا هكذا لأن الطبيعة متناولة من العقل والعقل مُناول للطبيعة . فوجب أن يخفف الأمران ، فإن قل قاتل : مهلا تمّ الأمران معاً بواحدٍ منهما ، أعني الطبيعة أو العقل ؟ فالجواب أن أحدهما فى العلو ، والآخر فى السفلى ، فليس للعالى أن يهبط ، ولا للسافل أن يعلو : فلهذا كان هذا محالاً توسطَ بينهما — أعنى العالى والسافل — المناولة والتناول حتى اتصل الأول بالثانى ، وغصن العصاة بينهما بضروب الأفراد والأرواح ، وانتظم

(١) قد سبق ما يفيد هذا المعنى فى أول كلام أبى الحسن العامرى فانظره .

الكلّ فلم يكن فيه خلل ، ولا دونه مأتى ، ولا وراءه متوهم .

وقال : الإنسان مركّب من الأعضاء الآليّة بمنزلة^(١) الرأس واليدين والرجلين وغيرها ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركّب من الأعضاء المتشابهة الأنواع بمنزلة^(٢) اللحم والعظم والعصب والشرّيان ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركّب من الأخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمريّان ، ثم كل واحد من هذه الأخلاط مركّب من الأسططقسّات الأربع التي هي النار والهواء ، والأرض والماء ؛ ثم كل واحد من هذه الأسططقسّات مركّب من الهيولى والصورة .
وقال : كما أن لكل عَصو قوّة تخصّه بتدبيرها ، كذلك لجميع البدن قوّة أخرى ضامّة لتدبيره .

قال : وقال الحكيم في كتاب « السماء »^(٣) : عِلّةُ الأنواع والأجناس ودوامها هي الملك المسنّم ، وعلة كون الأشخاص وتجدد حُدوثها هي الفلك المائل ، فأما الكلّيات المنطقية فإن طبيعتها هي القوة [القياسية المستتبّة لها] عندنكوّن^(٤) الحسن على واحدٍ منها . قال أبو النصر نفيس : هذا حُكْمٌ بالوهم ، ورأى خراج من الظن ؛ الفلك المستقيم والملك المائل هما بنوع الواحد ونسبة الاتفاق^(٥) ، فليس لأحدهما اختصاص بالأنواع والأجناس ، ولا بتجدد الأشخاص ، والدليل على هذا أن قالبا^(٦) لو قلب قلبه ذلك لم يكن له عنه انفصال . ولارأي زلات ، كما أن للسان فلتات ،

- (١) يلاحظ أن تعبيره هنا بقوله « بمنزلة » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم غير مناسب كما لا يخفى . والصواب أن يقول في كلا الموضعين : « التي هي » الخ .
(٢) معنى كتاب « السماء والعالم » لأرسطو .
(٣) كذا في « ب » . والذي في (١) « عند تكرّر الحسن » .
(٤) في (ب) : « الاختيار » .
(٥) في (١) : « أن فلانا ؟ » وهو تحريف .
(٦) في كلتا النسختين « لو قلت عليه ذلك » وهو تصحيف لا معنى له . وسياق الكلام يقتضى ما أمتناه .

وللحكيم^(١) هَفَوَات ، كما أن للجواد عَثَرَات ؛ وما أكثر من يَسْكُرُ في سُكْرِه
 ما لا يَعْرِف ، وما أكثر من يَفْرُقُ^(٢) في النوم فيَهْذِي بما لا يدري ، ومن الذي
 حَقَّقَ عنده أن الفلك المستقيم هذا نعتة ، والفلك المائل تلك صِفَتُهُ ؛ هذا توهم
 وتلفيق ، لا يرجعُ مُدَّعِيهِ إلى تحقيق ، وقولُ أبي الحسن هذا عن الحكيم
 تقليدٌ ، كما أن دَعْوَى ذاك الحكيم توهم ، وَتَحَبُّهُ الرِّجَالُ للرِّجَالِ فتنةٌ حاملةٌ على
 قبول الباطل ، وَبُغْضُ الرِّجَالِ للرِّجَالِ فتنةٌ حاملةٌ على رَدِّ الحق ؛ وهذا أمرٌ قد
 طال منه الضَّجيج ، وفُزِعَ إلى الله منه بالتضرُّع .

قال أبو الحسن : الموجود له حقيقةٌ واحدةٌ لا تُدْرِكُ إِلَّا عَقْلاً ، وليس له
 مَبْدَأٌ ، ولو كان له مَبْدَأٌ لَشَارَكَهُ المَبْدَأُ في طبيعة الوجود ، وليس بمتحرِّكٍ لأنه
 لا مقابلَ له فيتحرَّكُ إليه .

وقال أبو النصر نفيس : عَنَى بهذا الموجود الحقُّ الأوَّلُ الَّذِي هو عِلَّةُ العِلَلِ ،
 وهو الباريُّ الإلهُ ، وما أنصَفَ ، لأنه يجب أن يَقْسِمَ الموجودَ بأقسامه ، ويَصِفَ
 مرتبةً كلَّ موجودٍ على ما هي عليه وعلى ما هو به حتى تنهى [مِنْ] هذا الموجود^(٣)
 الأعلى إلى آخر الموجود الأسفل ، أو يَصِفَ الموجودَ الأسفل حتى يرتقى إلى هذا
 الموجود الأعلى ، فإنه لا شَيْءَ مِمَّا يَعْقِلُ وَيُحِسُّ إِلَّا وَلَهُ مِنْ هَذَا الوجودِ نصيبٌ به
 أَسْتَحَقُّ أن يكون موجوداً ، وإن كان ذلك النصيبُ قليلاً .

وقال : قد يوصفُ الشَّيْءُ بأنه واحدٌ بالمعنى وهو كثيرٌ بالأسماء ، ويوصفُ بأنه
 واحدٌ بالاسم وهو كثيرٌ بالمعنى ، ويوصفُ بأنه واحدٌ بالجنس وهو كثيرٌ بالأنواع ،

(١) كذا في ب والذي في (١) « وكما أن للحكيم » ؛ وهو تعريف .

(٢) في (١) « يفرق » ؛ وهو تصحيف .

(٣) عبارة (ب) : « حتى ينتهى من هذا الموجود إلى آخر الموجود الأعلى » ؛ وهي

غير مستقيمة .

ويوصف بأنه واحد بالنوع وهو كثير بالشخص ، ويوصف بأنه واحد بالأصل وهو كثير بالأجزاء ، وقد نقول في شيء : إنه واحد بالموضوع وهو كثير بالحدود ، كالشفافة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة ، وقد يكون واحداً في الحدّ وكثيراً في الموضوع ، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن والإسفيداج ، وقد يكون كثيراً بالحدّ والموضوع كالعلم والحركة ، فإن موضوع هذا الجسم ، وموضوع ذاك النفس ، وحدّ أحدهما غير حدّ الآخر ، وقد يكون واحداً بالموضوع والحدّ بمنزلة السيف والصمصام ؛ وقد نقول أشياء تكون واحدة بالفعل ، وهي بالقوة كثيرة ، كالسراج الواحد ؛ فأما أن يكون واحداً بالقوة وكثيراً بالفعل من وجه واحد ، فلا يكون ، بل من جهات مختلفة .

قال أبو النصر نفيس : الواحد الذي ينقسم منشأ منه الكثرة غير الواحد الذي لا ينقسم ، والكثير الذي يتوحد حتى يكون واحداً غير الكثير الذي لا يتوحد ، فالواحد الذي لا ينقسم علّة الواحد المنقسم ، والكثير الذي يتوحد هو علّة الكثير الذي [لا] يتوحد ، وبالحكمة الإلهية ما كان هكذا حتى يكون الكثير الذي يتوحد في مقابلة الكثير الذي لا يتوحد ، والواحد الذي ينقسم في مقابلة الواحد الذي لا ينقسم ، وهذه المقابلة هي عبارة عن صورة التمام الحاصل لكل ، وليست هي عبارة عن صورة مزاحمة لصورة ، أو كثرة غالبية لكثرة ، المستغاث بالله من قصور العبارة عن الغاية ، وتقاؤس اللفظ عن المراد .

وقال (١) : يُعجبني من جملة الحكم الأمثال التي يضرّبونها ، والعيون (٢) التي يستخرجونها ، والمعاني التي يقرّبونها . قلت : صدقت ، مثل قول فيلسوف :

البدن للنفس بمنزلة الدُّ كان للصانع ، والأعضاء بمنزلة الآلات ، فإذا أنكسرت آلات الصانع وخرَّب الدُّ كان وانهدم ، فإن الصانع لا بقدر على عمله الذي كان يعملهُ إلا أن يتخذ دُ كاناً آخر ، وآلاتٍ جُددًا آخر .

قال : أحبُّ أن أسمعَ شيئاً من منشور كلامهم في فنون مختلفة .

قلتُ : قال فيلسوف : العاقل يضلُّ عقله عند محاوراة الأحمق . قال

أبو سليمان : هذا صحيح ، ومثاله ^(١) أن العاقل إذا خاطب العاقل فهم وإف

أختلفت مرتبتها في العقل ، فإيهما يرجعان إلى سينخ ^(٢) العقل ، وليس كذلك

العاقل إذا خاطب الأحمق ، فإيهما ضدان ، والصد يهرب من الصد : وقد

قيل لأبي الهذيل العلاف — وكان متكلم رماه — : إنك لتناظر النظام

وتدور بينكما ثوبات ، وأحسن ^(٣) أحوالنا إذا حضرنا أن ننصرف شاكين في

القاطع منكما والمقطع ، وراك مع هذا يناظرك زنجويه الحمال فيقطعك في ساعة .

فقال : يا قوم إن النظام معي على جادة واحدة لا انحرف أحدنا عنها إلا

بقدر ما يراه صاحبه فيدكره أنحرافه ، ويحملهُ على سببه فأمرنا بقرب ، وليس

هكذا زنجويه الحمال فإنه يبتدى معي بشي ، ثم تطهر إلى شي ، فلا واصد ولا

فاصد ، وأبقى ، فيحكم على بالقطع ، وذلك لعجري عن رده إلى سنن

الطريق الذي فارقتي آنفاً فيه .

وقال فيلسوف آخر : العادات قاهرات ، فمن أعناد شيئاً في السر فصحّه

في العلانية .

(١) كان صواب العبارة أن يقول : « وذلك لأن العاقل » الخ ، إذ لا يخفى أن الكلام الآتي تعليل لما سبق لا مثال .

(٢) سبع العقل : أصله .

(٣) في كلتا النسختين « قال أحسن » الخ وقوله « قال » زيادة من الناسخ .

قال أبو سليمان : وهذا صحيح ، لأن حقيقة العادة في ^(١) الشيء المهود عَوْدُهُ بعد عَوْدِهِ ، وهى — أعنى العادة — بالاستمرار الذى يقهر من اعتاده ، والخَلوة حال ، والعلانية حال ، والعادة بمجرَياتها تهجمُ في الحالين ولا تفرِّق ؛ ولهذا ما قيل : العادة هى الطبيعة الثانية ؛ كأن الطبيعة عادة ، ولكنها الأولى بالجِبلة ^(٢) ؛ والعادة طبيعة ولكنها الأخرى بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار .

وقال فيلسوف : ما أكثر من ظنَّ أنَّ الفقير هو الذى لا يملك شيئاً كثيراً وهذا فقير من جهة العَرَض ، فأما المقيِر الطبيعيُّ فالذى شهواته كثيرة وإن كان كثيرَ المال ؛ كما أن الغنى الطبيعيَّ لا يحتاج إلى شيء وإن كان قليل المال ، أى الذى ملك نفسه وقمع شهواته وأحمدَ لهبَ إرادته ؛ وقد ظنَّ قومٌ أنَّ الذين منَعوا من الشهوات ، ورَضُوا بالزُّهد فى اللذات ، خافوا الناسَ وحالوا بينهم وبين حُطوطِهم ، وخرَمَهم ما هو لهم ، وصدَّوهم عن محبوباتهم ؛ وهذا ظنُّ خطأ ، وأىُّ مُرادٍ فى هذا للواعظين والمرهّدين ، والذين وصَّوْا وأشفَقوا ، وردَّعُوا عن الخَوْضِ فى لذات النفوس العصبية والبهيمية ؟ والله ما كان ذلك منهم إلا على طريق النصيحة والشفقة والإعذار والإنذار ، إلا أن يكون الذين ظنوا هذا إنما ظنوه لأنهم رأوا بعضَ المرهّدين راغباً ، وبعضَ الناصحين عاشاً ، وبعضَ الآمرين محالفاً ، وليس العمل على المُحتال ، وعلى من آثَرَ الغشَّ فى المقال ؛ ولكنَّ المرجع إلى ما يدلُّ عليه الحقُّ ، ويشهد له العقلُ ، ويصحُّ فيه البرهانُ ؛ أترى الفيلسوفَ غشَّ فى قوله لأصحابه : إقنعوا بالقوت ، وأنفُوا عن أنفسكم الحاجة ، ليكون لكم قربة إلى الله ، لأنَّ الله غيرُ محتاج ، فكلما أحتجتم أكثر كنتم

(١) فى كلتا النسختين : « عن الشيء » .

(٢) فى كلتا النسختين : « بالجملة » ؛ وهو تحريف .

منه أبعد ، وأهربوا من الشرِّ والإثم ، وأطلبوا من الخير أعمه وأعظمه ، وأبقاه وأدومَه ؛ وأعرفوا الأبد ، وأطلبوا السَّرمَد ، فإنَّ مَنْ طَلَبَ الأَبَدَ ثُمَّ وَجَدَ بَقِيَّ على الأبد ، وَمَنْ طَلَبَ الأَمَدَ ثُمَّ وَجَدَ فَنِيَ على الأمد .

الحاجةُ ذُلٌّ ، والغنى عِزٌّ ، والعِزُّ ضدُّ الذِّلِّ ؛ فمن طلب العِزَّ في العاجلة فقد طَلَبَ الذِّلَّ وهو لا يدري ، ومن طلب العِزَّ في الآجلة فقد وَجَدَ العِزَّ وهو يدري .

في الحكمة^(١) أن يقال : إصبر على الذِّلِّ لِتَنَالَ العِزَّ ، وليس في الحكمة أثبت على العِزِّ لِتَنَالَ الذِّلَّ ، هذا معكوس .

الليلة الثالثة والعشرون

(١) وكان الوزيرُ رَسَمَ كُتاتمة لَمَعَ من كلامِ الرِّسُولِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَمَرَدَتْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَفَاتِ ، وَهِيَ :

قال صلى الله عليه وسلم : « أَتَسَدُّ الْأَعْمَالُ ثَلَاثَةً : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمُوَاسَاةُ الْآخَرِ مِنْ مَالِكَ ، وَتَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ » .

وفال الواقدي : لَمَّا عَالَطَ حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ النَّبِيُّ — صلى الله عليه وسلم — يَا خَالِدُ : ذَرُّوا لِي أَصْحَابِي ، لَوْ كَانَ لَكَ أُخْذٌ دَهْبًا تَتَمَقُّهُ قَرَارِيطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ تُذَرِّكَ غَدْوَةً أَوْ رَوْحَةً مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وفال عليه السلام : « إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَبَشَّشَ^(٢) اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ آخَرُهَا أَعْرَضَ عَنْهُ » .

(١) عبارة (ب) : « وبيان الجملة أن يقال » .

(٢) التبشيش من الله تعالى : الرضا والإكرام .

وقال عليه السلام : « إنما فذلك^(١) طُعْمَةٌ أَطْعَمَنِيهَا اللهُ حَيَاتِي ، ثُمَّ هِيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال عليه السلام : « الْمُقَوِّمُ قَدْ يَأْتِمُّ وَلَا يَغْرَمُ » .

وقال عليه السلام في دعائه : « اللَّهُمَّ أَتَجَمَّعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرَنَا ، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا كَقُلُوبِ خِيَارِنَا ، وَأَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَمَعَايِسِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، وَنُبَّ عَلَيْنَا إِلَيْكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ » .

وقيل له صلى الله عليه وسلم : إِنَّ فُلَانًا أَسْتَشْهَدُ ، فَقَالَ : « كَلَّا ، إِنْ الشَّئْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ اسْتَعَلَّتْ عَلَيْهِ نَارًا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْلَعَ مِنْ صُبْرٍ^(٢) بَابٍ فَقُقِشَتْ عَيْنُهُ فَهِيَ هَذَرٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يَذْبَحُ شاةً : « أَرْهِفْ شَفَرَتَكَ ، فَإِذَا فَرَيْتَ فَارِخَ^(٣) ذَبِيحَتِكَ ، وَدَعَمَهَا تَحَبًُّ وَتَشْخُبُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لِلدَّمِ وَأَحْلَى لِللَّحْمِ » .

وقال عليه السلام : « حَيْرُ النَّاسِ الْغَنِيُّ الْخَفِيُّ التَّقِيُّ » .

وقال : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ إِنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ كَانَ شَهِيدًا ، أَوْ فِي حَضَرِهِ كَانَ صَدِّقًا » .

(١) وذلك : بِلَهْةٍ بِحَبِيرٍ .

(٢) صبر الباب وغيره بكسر الصاد وضمها : ناحيته وحرفته ؛ والذي في كلتا النسختين

« صبر » ولم نحمد له معنى ياسب السياق .

(٣) في كلتا النسختين « فَارِخٌ » ؛ وهو تحريف ؛ وما أثبتناه عن كتب الحديث .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ظهرُ المؤمنِ مشجَبُهُ ، وبطنُهُ خِزَانَتُهُ ، ورجلُهُ مَطِيئَتُهُ ، وذخيرَتُهُ رَبُّهُ » .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ما نَقَصَ مالٌ من صَدَقَةٍ ، فتصدَّقوا ، ولا عَفَا رَجُلٌ عن مَظْلَمَةٍ إِلَّا زادَهُ اللهُ عزًّا وجرًّا وعَفْوًا ، فاعفُوا ؛ ولا فَتَحَ رجلٌ على نفسه بابَ مَسْئَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عليه سبعينَ بابًا من العَفْرِ ، فاستعفوا » .
وقال عليه السلام : « أجودُ الأعمالِ الجودُ في العُسْرِ ، والقصدُ في الغَصَبِ ، والعفوُ عندَ المَقْدرةِ » .

وقال عليه السلام : « إنَّ بينَ مِصْرَاعَيْ بابِ الجَنَّةِ مسيرةَ مائةِ عامٍ ، وليأتينِ عليه يومٌ وهو كَظِيظٌ من الزحامِ »

وقَدَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ قومٍ من بني عامرٍ يستأذِنُهُ في العِرْعَى حَوْلَ المَدِينَةِ ؛ فقال عليه السلام : إنها ديارٌ لا يَصِيقُ عن جَارِنَا ، وإنَّ جَارِنَا لَا يُظْلِمُ في ديارِنَا ، وقد أَجَأْتُكُمْ الْأَرْمَةَ ^(١) ، فنحنُ نأْذِنُ لَكُمْ في العِرْعَى ونُشْرِكُمْ في المَأْوَى ، على أَنَّ سَرَّحْنَا ^(٢) كَسَرُ حِكْمٍ ، وعَابَيْنَا كَعَابِيكُمْ ^(٣) ، ولا تُعِينُوا عَلَيْنَا بعدَ اليومِ ؛ فقال : لا بعينٍ عدوا ما أُمِنَّا في حوارِكِ ، فإذا رَحَلْنَا فإِنَّمَا هي العَرَبُ نَطَّابٌ أَنَا رَهَا ، وتَشْفِي دُحُولَهَا ؛ فقال عليه السلام : يا بني عامرَ ، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ اللُّؤْمَ كُلَّ اللُّؤْمِ أَنَّ نَنَحَّاسُوا عندَ العَاةِ ، وسَبَّوْا عندَ العِرَّةِ ، فقال : وأنيكُ إنَّ ذلكَ للؤْمِ ، ولنْ سَغِيكَ غَائِلَةٌ بعدَ اليومِ ، فقال : اللَّهُمَّ أَشْهَدُ ، وأذنْ لهم .

وسئِلَ صلى الله عليه وسلم : كيفُ يَأْتِيهِ الوَحْيُ ؟ فقال : « في رِجْلِ صَلَاطَةٍ الجَرَسِ ، ثُمَّ يَنْفَضُّمِ » .

(١) الْأَرْمَةُ : الشَّدَّةُ . (٢) السَّرْحُ : المالُ السَّامِ .

(٣) كَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا الْمَسْنُونَيْنِ .

وقد روى ابن الكلبي عن أبيه عن ابن صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يومُ بدر، قال عليٌّ — عليه السلام — للمقداد : أعطني فرسك أركبه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت تقاتل راجلاً خيراً منك فارساً . قال : مركبه ووتر فؤسه ورمي فأصاب أذن الفرس فصرمه ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسك على فيه ، فلما رأى عليٌّ ضحكك غضبَ فسلَّ سيفه ، ثم شدَّ على المشركين ، فقتل ثمانية فبذل أن يرجع ، فقال عليٌّ — صلوات الله عليه — : لو أصابني شرٌّ من هذا كنتُ أهله حين يقول : « أنت تقاتل راجلاً خيراً منك فارساً » ، فعصيته .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أسراً عَرَفَ الله وعبدَه وطلَّبَ رضاه وخالفَ هواه لحفيقٌ بأن يفوز بالرحمة » .

لما وردَ محمد بنُ مسلمة على عمرو بن العاص من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صنع عمرو له طعاماً ودعاه إليه ، فأبى محمدٌ ، فقال عمرو : أتُحرِّمُ طعامي؟ قال : لا ، ولكني لم أومر به . فقال عمرو : لعنَ الله زماناً عملنا فيه لابن الخطاب ، لقد رأبته وأباه وإنهما لفي شملة ما توارى أرساغهما ، وإن العاصي بن وائل لفي مقطعات الدَّباج مرزرة^(١) بالذهب . فقال محمد : أما أبوك وأبو عمر في النار ، وأما أنت فلولا ما وليت لعمر لألفيتك معتقلاً^(٢) عنزاً يسرك غزوها^(٣) وبسوءك بكوها^(٤) ، فقال عمرو : المجالس^(٥) أمانة ، فقال محمد : أمّا ما دام عمرُ حيّاً فنعم .

(١) في بعض الروايات « مزوره » بالواو قبل الراء ، أي مزينة .

(٢) في العقد الفريد « مقتعداً » .

(٣) كذا في العقد الفريد ج ١ يريد غزارة ابنها . والذي في الأصل « غروها » ،

وهو تحريف .

(٤) البكاء : قلة اللب .

(٥) عبارة العقد الفريد « هي عندك بأمانة الله » .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة — عليها السلام — يعودها من علة ، فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكِ ؟ فقالت : قلة الطَّعم ، وشِدَّةُ الشَّحم ، وكثرةُ الهم .

قال عبد الله بن مسعود : شرُّ الأمور محدثاتها ، وشرُّ الغنى غنى الإثم ، وخيرُ الغنى غنى النفس ، والخرَجُ جماعُ الإثم ، والدنيا حيلةُ الشيطان ، والشبابُ شُعبةٌ من الجنون .

قيل له : أتقول هذا من تلقائك ؟ قال : لا ، بل من تلقاء مَنْ مَرَضَ الله على طاعته .

وقال أبو ذَرٍّ [رحمةُ الله عليه] : قال [لى] رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا أبا ذَرٍّ : إني أراك ضعيفا ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ نفسي ، لا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تولين مالَ يتيم .

وقال أبو هريرة : عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ستحرصون على الإمارة ، وستكون حَسرةٌ وندامةٌ يومَ القيامة ، فنعمت المرضعة ، وثنت الفاطمة .
أبو أمامة يرفعه ، قال : ما من رجلٍ تلى أمرَ عشرةٍ إلا يؤثني به يومَ القيامة مغلولا أطلقه العدل ، أو أوثقه الجور .

قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : أمَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَصِيبُ ^(١) .
قال عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص : إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَالَ لَهُ :

(١) كذا وردت هذه العبارة في كلتا النسختين ؛ ولا معنى لقوله هذا « فأصيب » كما أن في العبارة نقصا سقط من النسخ ؛ وقد رواها صاحب المقد الفريد كاملة في الجزء الأول ص ٢٤ طبع لجنة التأليف ، فذكر أن العباس رضى الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاية ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، نفس تخبى يا خير من ولاية لا تحصيها .

أَقْرَضَنِي أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ ، فَقَالَ : مَنْ الْكَفِيلُ بِكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ . فَأَعْطَاهُ
الْأَلْفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَجَلَ أَرَادَ الرَّدَّ ، فَخَبَسَتْهُ الرِّيحُ ، فَعَمِلَ تَابُوتًا وَجَعَلَ فِيهِ
الْأَلْفَ وَغَلَقَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَذْ حَالَتِكَ ؛ نَخْرِجِ النَّجَاشِيَّ إِلَى
الْبَحْرِ فَرَأَى سَوَادًا ؛ فَقَالَ : ائْتُونِي بِهِ . فَأَتَوْهُ بِالتَّابُوتِ ، فَفَتَحَهُ ، فَإِذَا فِيهِ
الْأَلْفُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ أُلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَطَابَتِ الرِّيحُ ، وَجَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : لَا أَقْبِلُهَا مِنْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ فِيهَا .
فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ ؛ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : فَقَدْ أَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، وَقَدْ بَلَغْتَ الْأَلْفَ
فِي التَّابُوتِ ، فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ أَلْفَكَ ^(١) .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا مَعَ آخَرَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قَالَ : أَبِي .
قَالَ : فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسِيبَ ^(٢) لَهُ .
فَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ فَقَالَتْ :
يَا جُرَيْجُ ، أَنَا أُمُّكَ ، كَلِّمْنِي ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ؛ فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ،
فَرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ ثَانِيَةً فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، كَلِّمْنِي ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي فَقَالَ : اللَّهُمَّ
أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنَّ
هَذَا ابْنِي قَدْ عَقَنِي فَلَمْ يَكَلِّمْنِي فَلَا تُمِيتْهُ حَتَّى تَرِيَهُ الْمَوِيسَاتِ ، وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ
أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ ؛ قَالَ : وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ ، نَخَرَجَتْ أَمْرَأَةٌ
مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَوَفِعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي ، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقِيلَ لَهَا : تَمَنِّ هَذَا ؟
فَقَالَتْ : مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِقُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ

(١) يلاحظ أن هذه القصة لا تدخل في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
عنون به المؤلف هذا الباب وكذلك بعض القصص الآتية بعد .

(٢) أى لا تمرّضه للسب بأن تسبّ أحداً بأية فيسبّ الآخر أباك .

فَبَصَرُوا بِهِ ، فَصَادَفُوهُ يَصَلِّي ، فَلَمْ يَكَلِّمَهُمْ ، فَآخَذُوا يَهْنَدِمُونَ دَيْرَهُ ، فَتَزَلَّ وَتَبَسَّمَ
وَمَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ وَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ . فَلَمَّا سَمِعَ
الْقَوْمُ ذَلِكَ رَاعَهُمْ ، وَعَجِبُوا ، وَقَالُوا : نَحْنُ نَبْنِي لَكَ مَا هَدَمْنَا بِالذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ .
قَالَ : لَا ، أَعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ تُرَابًا ؛ ثُمَّ عَادَ .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : لَا يُحَافِظُ عَلَى سُبْحَةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : لَيْسَ عَلَى سَارِقِ الْحَمَامِ قَطْعٌ .

وَقَالَ : إِذَا أَحْتَرَزْتُمْ أَرْضًا فَلَا تَخْتَارُوا أَرْمِينِيَّةً ، فَإِنَّ فِيهَا قِطْعَةً مِنْ عَذَابِ

اللَّهِ ، يَعْنِي الْبَرْدُ .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ ، وَيْلٌ لِلْأَمْنَاءِ ، لَيَنْمَتَيْنِ أَقْوَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَلِّقَيْنِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَتَذَبَذَبُونَ مِنَ الثَّرَيَّا ، وَأَنَّهُمْ
لَمْ يَلَوْا عَمَلًا .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ : « لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ،
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْئَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ
أُعِنْتَ عَلَيْهَا » .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ
رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَ ؛ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِهَا
وَمَا وَلَيْتَ مِنْ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ أَقَامَتْ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَتْ ؛ وَالْخَادِمُ
مَسْئُولٌ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ أَمْ ضَيَّعَ » . هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عُثْبَةَ عَنْ
نَافِعٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ .

قَالَ عِيَاضُ الْأَشْعَرِيُّ : قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمرَ وَمَعَهُ كَاتِبٌ لَهُ ، فَرَفَعَ

حِسَابَهُ ، فَأَعْجَبَ عَمْرُ . وَجَاءَ إِلَى عَمْرِ كِتَابٌ ، فَقَالَ لِأَبِي مُوسَى : أَيْنَ كَاتِبُكَ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ . قَالَ : لِمَ ؟ أَجُنُبٌ هُوَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ نَضْرَانِي . قَالَ : فَأَتَهَرَّهُ ، وَقَالَ : لَا تَذُنِّهِمْ وَقَدْ أَقْصَاهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُكْرِمْهُمْ وَقَدْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَأْتَمَنَّهُمْ وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ : جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَخْتَصِمَانِ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دَرَسَتْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا [أَنَا نَشْرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا] أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ فَصَلْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ ، يَأْتِي بِهَا إِسْطَاطِمًا ^(١) فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَبَكَى الرَّجُلَانِ ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : حَقِّي لِأَخِي ؛ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا إِذَا قُلْتُمَا هَذَا فَأَذْهَبَا فَأَسْتَهِمَا ، وَتَوَخَّيَا الْحَقَّ ، وَلْيُحْلَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَذْهَبَا فَأَصْطَلِحَا .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيِّمَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَكَتَبَ النَّجَاشِيُّ : إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ بْنُ أَبِجَرَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَافِرُ خَبٌّ ^(٢) وَغَبٌّ ، وَالْمُؤْمِنُ دَعِبٌ لَعِبٌ » . وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : اَعْدِلْ فَإِنَّكَ إِلَى الْآنَ

(١) الإسطاطم : مسبار النار ، وهي الحديدية التي تسمر بها .

(٢) الخب : الخداع . والغيب : الحقد ؛ يريد ذا حقد ؛ ووصفه بالمصدر .

لم تعدل . فقال : وَيْلَكَ ! إذا لم أعديل أنا فمن يعدل ؟ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْوَاجِدَ ^(١) يُبِيحُ ظَهْرَهُ وَعِرْضَهُ » .

وقال عمر : رَدَّدِ الْخُصُومَ كَيْ يَضْطَلِّحُوا .

وقال عليه السلام : لَا تَخْلِفُوا بِأَيْمَانِكُمْ ، وَمَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْذُقْ ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ فَلْيَقْبَلْ .

وقال : مَنْ حَلَفَ يَمِينًا كَاذِبَةً يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمٍ لِقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان .

وقال : مَنْ حَلَفَ يَمِينًا رَأَى غَيْرَهَا حَيْرًا مِنْهَا فليأتِ الذي هو خَيْرٌ ، وَلْيُكْمَرْ عَنْ يَمِينِهِ .

وقال — عليه السلام — لَا تُسَامِرِ الْمَرْأَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ .

حدثنا أبو السائب القاضي مُتَبَّعُ بْنُ غُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمِنْقَرِيُّ قَالَ : كَانَ شَرِيكُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْقَصَاءِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَضَى عَلَى وَكِيلٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبٍ بِقِصَاءٍ لَمْ يُوَافِقْ عَبْدَ اللَّهِ ، فَلَقِيَ شَرِيكًَا بَبْغَدَادَ . فَقَالَ لَهُ : فَصِيتَ عَلَى وَكِيلِي قِصَاءَ لَا يُوَافِقُ الْحَقَّ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا تَنْكِرُ . قَالَ : قَدْ نَكِرْتُكَ أَشَدَّ النَّكِيرِ . قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبٍ . قَالَ : فَلَا كِبِيرَ وَلَا طَيْبَ . قَالَ : كَيْفَ لَا تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ تَشْتُمُ الشَّيْخَيْنِ . قَالَ : مِنَ الشَّيْخَانِ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَشْتُمُ [أَبَاكَ] وَهُوَ دُونَهُمَا ، فَكَيْفَ أُسْتَمَهُمَا وَهُمَا فَوْقِي وَأَنَا دُونَهُمَا ؟ .

(١) الواجد : ذو الوجد ، وهو العضب . يريد أن العضب يسليه حفظ ما يجب عليه حفظه .

وقال عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُؤْتَى الدُّنْيَا وَيُوسَّعَ لَهَا فِيهَا وَهُوَ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، مَعْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْعٍ هَلَكْتَهُ ، مَأْخُوذٌ مِنَ الدَّارِجِ ، وَهُوَ الْمَالِكُ ، يُقَالُ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ ، وَيُرَادُ بِدَرَجَ : هَلَكَ ؛ وَبَدَبَ : مَشَى .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حُزَيْمٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ أَمْنَاءُ عَلَى خَلْقِهِ يَصْنَعُ لَهُمُ عَلَى الْقَتْلِ يُعِيشُهُمْ فِي عَافِيَةٍ ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ » .

قَالَ نَاشِرَةُ بْنُ سُمَيٍّ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ يَوْمَ الْجَابِيَةِ : إِنِّي مَدَنَزَعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمَرْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا أَسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَمَدَّتْ سَيْفًا سَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَضَعْتَ لِوَاءَ شَدَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَسَابٌّ قَرِيبُ الْقَرَاةِ ، وَهَذَا الْقَائِلُ هُوَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصِ بْنِ الْغُبَيْرَةِ ابْنِ عَمِّ خَالِدٍ .

قَالَ قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ الطَّرْقِ ^(١) وَالْعِيَاةِ وَالْخَطِّ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ أَنْتَتَانِ : صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ » .

قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) يريد بالطرق طرق الحصى وبالخط الخط في الرمل لاستطلاع الغيب كما هو معروف .

(الأقربين) ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رَضْمَةٍ^(١) من جَبَلٍ فعَلَا
أَعْلَاهَا حَجْرًا ، وقال : يَا نَبِيَّ عَبْدٍ مَنَافٍ ، يَا نَبِيَّ فَهْرٍ ، إِنَّمَا مَتَلَى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ
رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يُرِيدُ أَهْلَهُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَعَجَلَ
يَهْتِفُ وَاصْبَاحًا .

الثَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَقَبِيصَةُ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — :
« إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْفَكِسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ إِذَا تَجَلَّى
لشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعٌ » .

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، وَلَمْ يُسَمِّ لَهَا صَدَاقًا ،
فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَهَا صَدَاقُ إِحْدَى نِسَائِهِ ، لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ ، وَعَلَيْهَا
الْعِدَّةُ ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ . فَقَامَ أَبُو سِنَانٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، فَقَالُوا : اقْدِ قَضَى فِيهَا
بِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَرَزَوْعَ بِنْتِ وَاسِيقِ الْأَشْجَعِيَّةِ .

عُقْبَةُ السُّلَمِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إِذَا
تَبَاطَأَتِ الْمَغَازِي وَكَثُرَتِ الْفَرَائِمُ وَأَسْتَوْثِرَ بِالْغَنَائِمِ خَيْرُ جِهَادِكُمُ الرِّبَاطُ » .

حَبِيبُ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَظَبَ النَّاسَ يَوْمَ
حُنَيْنٍ فَأَحَلَّ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ [كَانَ نَهَاهُمْ عَنْهَا ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ] كَانَ
النَّاسُ يَحْلُلُونَهَا ، [أَحَلَّ لَهُمْ^(٢)] أَكَلَ لَحُومِ الْأَضَاحِيِّ ، وَزِيَارَةَ الْقُبُورِ
وَالْأَوْعِيَّةِ^(٣) ، وَنَهَاهُمْ عَنْ بَيْعِ الْمُغَنَمِ حَتَّى يُقْسَمَ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ النَّسَاءِ مِنَ السَّبَايَا

(١) الرصمة : الصخرة العظيمة .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصول .

(٣) في الأصل : « والأوعية » ؛ وهو تحريف . ويريد بالأوعية أسقية البئد ، وذلك
أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ،
ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فاكلوها » ، وانهيتكم عن البئد إلا في سقاء
فاشربوا في الأسقية كلها ، ولا تشربوا مسكرا » رواه مسلم .

أَلَا يُوطَّأَنَّ حَتَّى يَضَعَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ، وَنَهَاهُمْ أَلَّا تَبَاعَ ثَمَرَةٌ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا ، وَيُؤْمَنَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَاهَةِ .

وَهَبُ بْنُ حُدَيْفَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ .
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ .
قَالَ مَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ الْغَافِقِيُّ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَا تُكْثِرْ هَهْمَكَ مَا يُقَدَّرُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ .

خَالِدُ بْنُ عَدِيٍّ الْجَهَنِّيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ .

رَامِعُ بْنُ مَكِيثٍ — أَخُو جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ — شَهِدَ الْحَدِيثِيَّةَ قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حُسْنُ الْمَلَكََةِ ^(١) نَمَازٌ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ سُوءٌ ، وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِثْقَالَ شَوَّاءٍ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ .
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ زِينَةٌ كَيَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ .

خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِ ^(٢) — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
قَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا إِلَى جِدَارٍ كَثِيرِ الْجِصِّ إِذَا ظَهَرَ أَوْ عَصَرَ ، فَلَمَّا صَلَّى خَرَجْتُ إِلَيْهِ عَقْرَبٌ فَلَدَغَتْهُ ؛ فَفُشِيَ عَلَيْهِ ، فَرَقَاهُ النَّاسُ فَأَفَاقَ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ شَفَانِي وَلَيْسَ بِرُفْقَتِكُمْ » .
قَالَ الْوَزِيرُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْمَجْلِسَ .

(١) حَسْنُ الْمَلَكََةِ ، أَيْ حَسَنُ صِبْغَةِ الْمَرْءِ لِمَنْ يَمْلِكُهُمْ مِنْ مَمَالِكِهِ وَمَوَالِيهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « ابْنُ الْأَزْرَقِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الليلة الرابعة والعشرون

(١)

وجرى حديث الفيل ليلةً فأكثر من حضر وصفه بما لم يكن فيه فائدةً تُعاد ، ولا غريبةً تُستفاد ؛ فحكيتُ : إن العلماء بطبائع الحيوان ذكروا أن الفيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية ، وتحت مدارِ بُرج الحمل ، والزرافة لا تكون إلا في بلاد الحبشة ، والسمور وغزال المسك لا يكونان إلا في الصحاري الشرقية الشمالية ؛ وأما الصقور والنسور والبزاة وما شاكلها من الطير [فإنها] لا تُفرخ إلا في رؤوس الجبال الشاخبة [والعقاب^(١)]. والنعام لا يُفرخ إلا في البراري والقفار والعلوات [والوطواط والطيطوى^(٢)]. وأمثالها من الطير لا تُفرخ إلا على سواحل البحار وسطوط الأنهار والبطائح والآجام ؛ والعصافير والقواحي وما شاكلها من الطير لا تُفرخ إلا بين الأشجار والدحال^(٣) والقرى والبساتين .

وحدث ابن الأعرابي عن هنام بن سالم — وكان مُسِيناً من رَهْطِ ذِي الرُّمَةِ — قال : أَكَلْتُ حَيَّةً بَيْضَ مُكَاءٍ^(٤) فَعَمِلَ الْمُكَاءُ شَرِّ شَيْءٍ^(٥) عَلَى

(١) في ب التي نقلت عنها هذه الريادة وحدها : « واطواف » . ولعل سواء ما أثبتنا ، إذ لم نجد الطواف فيما راحناه من كتب الحيوان . وفي « كتاب حياة الحيوان » أن من أنواع العقاب ما يأوى إلى الصحارى .

(٢) الطيطوى : طائر لا يفارق الأحام وكثرة المياه ، لأن هذا الطائر لا يأكل شيئاً من البت ولا من اللحوم ، وإنما قوته مما يتولد في شاطئ العياص والآجام من دود التين . والذي في (ب) : « والوطوى » ؛ والوطوى هي الببغاء ، وهو غير مراد هنا .

(٣) الدحال : جمع دحل ، وهو نقب ضيق الفم منسج الأسفل حتى يمتلئ فيه ؛ وربما نبت فيه السدر .

(٤) المكاء : طائر أبيض يصفر ويصيح في الرياض .

(٥) يشرشر ، أى يرمز ، كما ذكره الدميري في حياة الحيوان في الكلام على المكاء .

رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فتحت فاهاً تريده وهمت به ألقى في فيها حَسَكَةً ؛
فأخذت بحلقها حتى ماتت .

وأنشد أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ قولَ الأَسَدِيِّ :

إِنْ كُنْتَ أَبْصَرْتَنِي قُلًّا^(١) وَمُضْطَلَّمًا فَرَبِّمَا قَتَلَ الْمُكَّاءُ نُتْبَانَا

فقال — حرسَ اللهُ نفسه — من أين للحيوان غير الإنسان هذه الفطنة
[وهذه الفضيلة] وهذه الجرأة وهذه الحيلة ؟ فقلتُ : شيخنا أبو سليمان يقول
في هذه الأيام — وقد جرى حديثُ الحيوان وعجائب أفاعيله — إن الإحساسات
التي للحيوان على أصنافه لها غرضٌ عظيم ، وبذلك الغرض لها تفاوتٌ [عظيم]
ظاهرٌ وخافٍ ، وأفعالٌ معهودة ونادرة ، ولها أخلاق معروفة ، ومعارف موصوفة ؛
ولولا ذلك ما كان يقال : أصولٌ من جمل ، وأغدرٌ من ذئب ، وأروغٌ من
ثعلب ، وأجبنٌ من صقر ، وأجمعٌ من ذرَّة^(٢) ، وآلفٌ من كلب ، وأهدى من قطاة ،
وأحذرٌ^(٣) من عقعق ، وأزهى من غراب ، وأظلم^(٤) من حَيَّة . وأشدُّ عداوةً من
عقرب . وأخبثٌ من قرَد ، وأحققٌ من حُبَارَى ، وأكذبٌ من فاختة^(٥) ،

(١) في (١) : « مد أو مضت ظلماً » ، وهو تحريف . وفي (ب) : « قدا » ، وهو
تحريف أيضاً ، إذ لم نجد من معاني القد ما يناسب السياق . والقل من الناس : بضم القاف
الفرد الذي لا أحده . والمضطلم : من الاضطلام ، وهو الاستئصال . فلعله يريد الذي استؤصلت
أهله وبصرأوه ونقي فردا . (٢) الذر : النمل الأحمر الصغير .

(٣) الذي وحدهاء في كتاب حياة الحيوان في الأمثال التي قيلت في العقعق : ألس من
عقعق ، وأحقق من عقعق ؛ ولم نجد أنه قيل : أحدر من عقعق كما هنا ؛ فلعل قوله
« أحدر » محرف عن أحقق . والعقعق : طائر على قدر الحمامة ، وهو على شكل العراب ،
وحناؤه أكبر من جناحي الحمامة ، وهو طويل الذنب .

(٤) يقال ذلك للحية لأنها تأتى الجحر الذي لم تحتفره بل حفره غيرها فتسكه .

(٥) الفاختة : من الحمام ذوات الأطواق ، وتوصف بحسن الصوت ، ويصفونها بالكذب
لأنهم يرمعون أنها تقول في صياحها : « هذا أوان الرطب » (بضم الراء) والنخل لم يطلع بعد . قال الشاعر :

أَكْذَبُ مِنْ فَاخْتَةٍ تقول وسط الكرب
والظلم لم يبد لها : هذا أوان الرطب

والأُمُّ مِنْ كَلْبٍ عَلَى جِيْفَةٍ ، وَأَعْقُ^(١) مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرُ^(٢) مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرُ مِنْ ظَلِيمٍ^(٣) ، وَأَجْرَأُ مِنْ لَيْثٍ ، وَأَحَقْدُ مِنْ فِيلٍ ؛ وَعَلَى هَذَا .

قال : وكما أن بين آحاد نوع الإنسان تفاوتاً في الأخلاق ، كذلك بين آحاد نوع الحيوان تفاوت ، وكما أنه يزل بعضُ العقلاء فيركب ما لا يُظن بمثله لعقله ، كذلك يزل ويغلط بعضُ الحمقى فيأتى بما لا يحسب أن مثله يهتدى إليه ، فليس العقلُ بمحاطِرٍ على صاحبه أن يندُر منه ما يكون من الحيوان ، وأصنافُ الحيوان من الناسِ وغيرِ الناسِ تنقسمُ هذه الأخلاقُ بضروبِ المزاجِ المختلفةِ في الأزمانِ المتباعدة ، والأماكنِ المتنازحة ، تقاسمها محفوظُ النَّسَبِ بالطبيعةِ المستولية ، وإن كان ذلك التقاسمُ مجهولَ النَّسَبِ للغموضِ الذي يَغِيبُ عليه ، وإذا عُرِفَ هذا الشرحُ وما أشبهه تمايزه وضوحاً ، زال التعجُّبُ الناشئُ من جهلِ العِلَّةِ وخفاءِ الأمرِ

قال : ومن العَجَبِ أنا إذا قلنا : أروع من نعلب ، وأجبن من صَقَرٍ ، وأحقدُ من فيلٍ ، أن هذا الرَّوْعُ وهذا الجُبْنُ وهذا الحَقْدُ في هذه الأصنافِ ليست لتكون^(٤) عُدَّةً لها مع نوع الإنسان ، ولكن لتعاطى أيضاً بينها ، وتستعملها عند الحاجة إليها ؛ وكما يشبَّه إنسانٌ لآثِهِ^(٥) لصً بالفاة ، أو بالميل لآثِهِ حَقُودٌ ، أو بالجمَل لآثِهِ صَوُولٌ ، كذلك يُشَبَّه كلُّ صَرْبٍ من الحيوانِ في فعلهِ وحُلُقهِ وما يَظْهَرُ من سِنخِهِ بأنه إنسان .

(١) يقال : أعقَّ من ضب ، لما يقال من أن أنثاه تأكل أولادها .

(٢) يقال هذا المثل لأنهم يزعمون أن الهرة تأكل أولادها لشدة حبها لإيأم .

(٣) الظليم : ذكر العام .

(٤) في كلتا النسختين ليست نكون والسياق يقتضى ريادة اللام كما أثبتنا .

(٥) في الأصول : بأنه ، وهو تحريف .

ويقال للبليد من الناس : كأنه حمار ؛ ويقال للذكي من الخيل : كأنه إنسان ؛ ولولا هذا التمازجُ في الأصل والجوهر ، والسِّنخِ والعُنْصُرِ ، ما كان هذا التشابه في الفرع الظاهر ، والعادة الجارية بالخبر والنظر .
فقال ^(١) : هذا كلامٌ لا مريدَ عليه .

وقالت العلماء : إن هذا الاعتبار واصلٌ في الحقيقة إلى جنس النبات ، فإن النخلَ والعُوزَ لا يَنْبُتَانِ إِلَّا في الْبُلْدَانِ الدَّفِئَةِ والأَرْضِ اللَّيْنَةِ التُّرْبَةِ ، والجَوْزَ والفُسْتُقَ وأمثالهما لا يَنْبُتَانِ إِلَّا في الْبُلْدَانِ الباردة [والأَرْضِ] الْجَبَلِيَّةِ . والدُّلَبَ وَأُمَّ غَيْلَانَ في الصَّحَارَى والقِفَارِ ؛ والقَصَبَ والصَّفْصَفَ على شُطُوطِ الأنهار .
قالوا : وهكذا أبصاً وصف الجواهر المعدنية ، كالذهب ، فإنه لا يكون إلا في الأرض الرَّمْلِيَّةِ والجبالِ والاحجارِ الرَّخْوَةِ . والفضَّةَ والنحاسَ والحديدَ لا تكون إلا في الأرض النَّدِيَّةِ والترابِ اللَّيْنِ والرَّطوباتِ الدُّهْنِيَّةِ ، والأملاحَ لا تَعْقِدُ إِلَّا في الْأَرْضِ [والبِقَاعِ] السَّيْخَةِ ، والجصَّ والاسفيداج لا يكونان إِلَّا في الأرض الرَّمْلِيَّةِ المختلطةِ تَرَاثُمًا بالحصى ، والزَّاجُ لا يكون إِلَّا في الترابِ العَفِصِ ؛ وودَّ أَحْصَى بعضُ من عَنِيَ بهذا الشأن هذه الأنواعَ المعدنية فوجدَها سبعمائة نوع .

وقالوا : من الجواهر المعدنية ما هو صُلْبٌ لا يذوب إِلَّا بالنارِ الشديدة ، ولا يُكْسَرُ إِلَّا بالعَاسِ كالياقوت والعقيق : ومنها تُرَابِيٌّ رِخْوٌ لَا يَذُوبُ وَلَكِنْ يَنْفَرِكُ ، كالمِلْحِ والزَّاجِ ، والَطَّلَقُ ^(٢) ؛ ومنها مائِيٌّ رَطْبٌ يَنْفَرِكُ ^(٣) من النار

(١) فقال ، أي الوزير .

(٢) الطلق : حجر براق ينشظى إذا دُقَّ - يتخذ منه مضايءٌ للعمامات بدلا من الزجاج ، ويحمل بأن يحمل في خرقة مع حصوات ويدخل في الماء الفاتر ثم يحرك برفق حتى ينحل ويخرج من الخرقة في الماء ؛ ثم يصفى عنه الماء ، ويشمس ليجف .

(٣) في (١) يفر من النار .

كالزئبق ، ومنها هوائى دُهْنى تأكله النار ، كالكبريت والزرنِخ ؛ ومنها نباتى كالمرجان ، ومنها حيوانى كالذر ، ومنها طَلٌّ مُنْعَقِدٌ ، كالعنبر والبادزهر ، وذلك أن العنبر إنما هو طَلٌّ يَقَعُ على سطح ماء البحر ، ثم ينعقد فى مواضع مخصوصة فى زمان مقدّر ؛ وكذلك البادزهر^(١) ، وإنه طَلٌّ يَقَعُ على بعض الأحجار ، ثم يرْسَخُ فى خَلَلِهَا ، وَيَغِيبُ فيها ، وَيَنْعَقِدُ فى بِقَاعٍ مَخْصُوصَةٍ ، فى زمان معلوم ، وكالتَرَنْجُبِينَ الذى هُوَ طَلٌّ يَقَعُ على صَرْبٍ من الشوك ؛ وكذلك اللُّكُ فإنه يَقَعُ على نباتٍ مخصوصٍ يَنْعَقِدُ عليه ؛ وكذلك الدر فإنه طَلٌّ يرْسَخُ فى أصداف نوعٍ من الحيوان البحرى ، ثم يَغْاطُ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ فيه ، وكذلك الموميا ، وهى طَلٌّ يرْسَخُ فى صخورٍ هناك ويصيرُ ماءً ثم تَبْرُ من مَسَامٍ ضَيِّقَةٍ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ^(٢) .

والطَّلُّ هو رُطوبَةٌ هوائيةٌ تَحْمَدُ من تَرْدِ اللَّيْلِ . وتقع على التّبات والشّجر والحجّر والمُخَرّ ؛ وعلى هذا القيس جميع الجواهر المعدنيّة ، فإن مادتها إنما هى رطوباتٌ مائيةٌ ، وأنداءٌ ونُحَارَاتٌ تَنْعَقِدُ بطولِ الوُفُوعِ ومَرِّ الزّمان .

وفات الحكماء الأولون : ها هنا طبيعةٌ ، وأمّ طبيعةٌ أخرى ، وطبيعةٌ تَلَزَقُ بطبيعةٍ أخرى ، وطبيعةٌ نَاسِطَةٌ بطبيعةٍ ، وطبيعةٌ تَسْتَبِيهُ بطبيعةٍ ، وطبيعةٌ

(١) الذى وجدناه فى معرقات ابن البيطار أن البادزهر حجر دفع من السموم ، ومنه الأصفر والأعبر والمسكت والمشرّب بخصرة وغير ذلك ، ومعادنه بلاد الصين والهند ، وه نحد أنه طل منعقد فى بعض الأحجار كما ذكره المؤلف ها .

(٢) ذكر ابن البيطار من أنواع الموميا عدة النوع الذى ذكره المؤلف ، وذكر أن هذا الاسم يقال على حجارة تكون مصعاء اللون سود ، وفيها أدنى تحوّل ، وهى إلى الحفة تكسر فيوجد فى ذلك التجويف شيء سيّال أسود ، وتقل هذه الحجارة إذا كسرت فى الریت فتقذف جميع ما فيها من تلك الرطوبة السوداء السيّالة ، كما ذكر أنواعا أخرى من الموميا فانظرها ثم .

تَقَهَّرُ طَبِيعَةٌ ، وَطَبِيعَةٌ تَتَخُبُّ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تَطِيبُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُفْسِدُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُحْمَرُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُبَيِّضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تَهْرُبُ مِنْ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُبَغِضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُمَارِجُ طَبِيعَةً .
فَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَأْلَفُ طَبِيعَةً فَمِثْلُ الْمَاسِ فَإِنَّهُ إِذَا قَرُبَ مِنَ الذَّهَبِ لَزِقَ بِهِ وَأَمْسَكَهُ ، وَيُقَالُ : لَا يَوْجَدُ الْمَاسُ إِلَّا فِي مَعْدِنِ الذَّهَبِ فِي بَلَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الْمَغْنَاطِيسِ فِي الْحَدِيدِ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ يَابِسَانِ صُلْبَانِ ، وَبَيْنَ طَبِيعَتَيْهِمَا أُلْفَةٌ ، فَإِذَا قَرُبَ الْحَدِيدُ مِنْ هَذَا الْحَجَرِ حَتَّى يَشُمَّ رَائِحَتَهُ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَأَلْتَصَقَ بِهِ وَجَذَبَ الْحَدِيدَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَهُ كَمَا يَفْعَلُ الْعَاشِقُ بِالْمَعشُوقِ . وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْحَجَرُ الْجَازِبُ لِلْخَزَرِ^(١) وَالْحَجَرُ الْجَازِبُ لِلشَّعْرِ ، وَالْجَازِبُ لِلتَّنْبِنِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ مَا مِنْ حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِ الْمَعْدِنِ إِلَّا وَبَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَبَيْنَ طَبِيعَةِ شَيْءٍ آخَرَ إِلْفٌ وَأَشْتِيَاقٌ ، عُرِفَ ذَلِكَ أَوَّلًا وَلَمْ يُعْرَفْ ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الدَّوَاءِ وَالْعُضْوِ الْعَلِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ خَاصَّةِ كُلِّ عَضْوٍ عَلِيلٍ أَشْتِيَاقُهُ إِلَى طَبِيعَةِ الدَّوَاءِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ طَبِيعَةِ الْعِلَّةِ الَّتِي بِهِ ، فَإِذَا حَصَلَ الدَّوَاءُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ وَأَحْسَنَ بِهِ جَذْبَتَهُ الْقُوَّةُ الْجَازِبَةُ إِلَى ذَلِكَ الْعُضْوِ وَأَمْسَكَتْ الْمَمْسِكَةُ وَأُسْتَعَانَتْ بِالْقُوَّةِ الْمُدَبِّرَةِ لَطَبِيعَةِ الدَّوَاءِ عَلَى دَفْعِ الطَّبِيعَةِ الْمُؤَلَّفَةِ لِلْعِلَّةِ وَقَوِيَّتِ عَلَيْهَا وَدَفَعَتْهَا عَنِ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ كَمَا يَسْتَعِينُ وَيَدْفَعُ الْمُحَارِبُ وَالْمُخَاصِمُ بِقُوَّةٍ مِنْ يُعِينُهُ عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ وَيَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَقَهَّرُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ طَبِيعَةِ الشَّنْبَازِجِ^(٢) الَّتِي يَأْكُلُ الْأَحْجَارَ عِنْدَ الْحَكِّ

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ « لِّلْحَمْرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الشَّنْبَازِجُ حَجَرٌ يَجْلُو بِهِ الصِّقْلُ السِّیُوفَ ، وَتَجْلِي بِهِ الْأَسْنَانُ ، وَهُوَ حَجَرٌ كَأَنَّهُ مَجْتَمِعٌ

مِنْ رَمْلِ خَشْنٍ .

أَكْلًا وَيُلِينُهَا وَيَجْعَلُهَا مَلَسًا . ومثل طبيعة الأَشْرُبِ الوسخ في الماس القاهر لسائر الأحجار الصلبة ، وذلك أَنَّ الْمَاسَ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْجَارِ ، وهو قاهر لها كلها ، ولو تُرِكَ عَلَى السُّنْدَانِ وَطُرِقَ بِالْمِطْرَقَةِ لَدَخَلَ فِي أَحَدِهَا وَلَمْ يَنْكَسِرْ ، وإن جعل بين صفيحتين من أَشْرُبٍ ^(١) وَضَعْتَا عَلَيْهِ تَفَقَّتْ ؛ وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الزُّبُقِ الطَّيَارِ الرُّطْبِ الْقَلِيلِ الصَّابِرِ عَلَى حَرَارَةِ النَّارِ ، إِذَا طُلِيَ بِهِ الْأَحْجَارُ الْمَعْدَنِيَّةُ الصَّلْبَةُ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ أَوْ هَنَاهَا وَأَرْحَاهَا حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ تُكْسَرَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ ، وَتَتَمَتَّتَ قِطْعًا .

وَمِثْلُ الْكِبْرِيتِ الْمُتَيْنِ الرَّائِحَةِ الْمَسْوُودِ لِلْأَحْجَارِ النَّيِّرَةِ الْبَرَّاقَةِ ، الْمَذِيبِ لَأَلْوَانِهَا وَأَصْبَاغِهَا ، يُمْكِنُ النَّارَ مِنْهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ فِي أَسْرَعَ مَدَّةٍ . وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِبْرِيتَ رُطُوبَةٌ دُهْنِيَّةٌ لَرِجَةٌ جَامِدَةٌ ، فَإِذَا أَصَابَتْهُ حَرَارَةُ النَّارِ ذَابَ وَالتَزَقَ بِأَجْسَادِ الْأَحْجَارِ وَمَا زَجَّهَا ، فَإِذَا تَمَكَّنَتِ النَّارُ مِنْهَا احْتَرَقَ وَأُخْرِقَ مَعَهُ تِلْكَ الْأَجْسَادَ يَاقُوتًا كَانَتْ أَوْ دِهْنًا أَوْ غَيْرَهَا .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَرْتُسِبُ ^(٢) فِي طَبِيعَةِ أُخْرَى وَتُنِيرُهَا ^(٣) ، فَمِثْلُ التُّوشَادَرِ الَّذِي يَفُوصُ فِي قَعْرِ الْأَشْيَاءِ وَيَفْسِلُهَا مِنَ الْوَسَخِ .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تُعِينُ طَبِيعَةً أُخْرَى مِثْلَ الْبُورَقِ الَّذِي تُعِينُ النَّارَ عَلَى سَبْكِ هَذِهِ الْأَحْجَارِ الْمَعْدَنِيَّةِ الدَّائِمَةِ ، وَمِثْلُ الزَّاجَاتِ وَالشُّبُوبِ الَّتِي تَجْلُوها وَتُنِيرُها وَتَعْبُغُها ، وَمِثْلَ الْعُغْنَسِيَا وَالْقَلِيِّ ^(٤) الْمُعِينَيْنِ عَلَى سَبْكِ الرَّمْلِ وَتَضْفِيفَتِهِ

(١) الأَشْرُبُ : الرصاص الأسود .

(٢) وَكَلَّمَا النَّسَخَتَيْنِ « تَرَبَّى طَبِيعَةً ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَمَا أُبْنِئَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ الْآتِي .

(٣) فِي ب « وَتُنِيرُهَا » . وَفِي (أ) « وَتُدِيرُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْقَلِيُّ وَيُقَالُ فِيهِ قَلِي كَالِي ، هُوَ شَبُّ الْعَصْفَرِ ، وَيَتَّحِدُ مِنْ حَرِيقِ الْحَمْسِ ، وَأَجُودُهُ الْمَتَّخَذُ مِنَ الْحَرَضِ ، وَهُوَ قَلِي الصَّبَاغِينَ وَنَقِيَّةُ أَنْوَاعِهِ تَسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الرَّجَاجِ (ابن البيطار) .

حتى يكونَ منه زُجاج ؛ وعلى هذا المِثال جميعُ الأحجارِ المِعدنيّة .

النارُ هي الحاكمة بين الجواهرِ المِعدنيّة بالحق .

ويقال : من أَدَمَنَ الأَكْلَ والشُّرْبَ في أواني النّحاسِ أَفْسَدَتْ مِزاجَهُ ، وعَرَضَ لَهُ أمراضٌ صَعْبَةٌ ، وإن أُذِنِيَتْ^(١) أواني النّحاسِ من السَّمَكِ شَمِئَتْ لها رائحةٌ كريهة وإن كُتِبَتْ آنيَةُ النّحاسِ على سَمَكٍ مشويٍّ أو مطبوخٍ بحرارته حَدَثَ منه سُمٌّ قاتل .

القلعي^(٢) قريبٌ من الفِضة في لونه ، ولكن يخالِفُها في ثلاثِ صِفات : الرائحةِ والرّخاوةِ والصّرير ، وهذه الآفات دخلتُ عليه وهو في مَعْدِنِهِ كما تَدْخُلُ الآفاتُ على المفلوج وهو في بطنِ أمّه ؛ فرِخاوتُهُ لكثرةِ زَبَقِهِ ، وصّريرُهُ^(٣) لغلظِ كَبَرِيَّتِهِ .

ويقال : إن لونَ الياقوتِ الأصفرِ والذهبِ الإبريزِ ، ولونَ الزعفرانِ وما شاكلها من الألوانِ المُشرقةِ منسوبةٌ إلى نورِ الشمسِ وبريقِ شُعاعِها ، وكذلك بياضُ الفِضةِ والملحِ والبَلُورِ والقُطُنِ وما شاكله من ألوانِ التّباتِ منسوبةٌ إلى نورِ القمرِ وبريقِ شُعاعِهِ ؛ وعلى هذا المِثال سائرُ الألوانِ .

وقال أصحابُ النجومِ : السّوادُ لَزُحَلٍ ، والحُمْرةُ لِلْعَرِيخِ ، والخُضرةُ لِلْمُشْتَرِي ، والزُّرْقَةُ لِلزُّهْرَةِ ، والصُّفْرةُ لِلشَّمْسِ ، والبياضُ لِلْقَمَرِ ، والتَّلَوْنُ لِعُطَارِدٍ .

ويقال : إن العلةَ الفاعلةَ للجواهرِ المِعدنيّة هي الطّبيعة ، والعِلَّةُ الطّينيّة

(١) في كلتا النسختين : « أدهت » ؛ وهو تحريف .

(٢) القلعي ، هو الرصاص الجيد . وفي نسخة « القلي » ؛ وهو تحريف إذ الأوصاف التي ذكرها المؤلف هنا لا تنطبق على القلي الذي سبق التعريف به في الحاشية رقم ٤ من صفحة ١١٠ من هذا الجزء ، فانظرها ثم .

(٣) لعله : « ورائحته » إذ المعروف أنّ الكبريت سبب في الرائحة لا في الصرير . ويلاحظ أنه قد نقص التعليل لواحد من

الرُّبُوبُ والكِبَرِيَّة ؛ والعِلَّةُ الصُّورِيَّةُ دَوْرَانُ الْأَفلاكِ وحركاتُ الكواكب
حَوْلَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ ؛ والعِلَّةُ التَّامِّيَّةُ
الْمَنَافِعُ الَّتِي يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ .

ويقال : إن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع : منها ما يكون في التُّرابِ والطِّينِ
وَالْأَرْضِ [السَّيِّخَةِ ، وَيَتِمُّ نُسْجُهُ فِي السَّنَةِ وَأَقْلَّ كَالْكِبَارِيَّةِ وَالْأَمْلَاحِ
وَالشُّبُوبِ وَالزَّاجَاتِ وَمَا شَاهَبَهَا] ؛ ومنها ما يكون في قَعْرِ الْبِحَارِ وَقَرَارِ الْمِيَاهِ ،
وَلَا يَتِمُّ نُسْجُهُ إِلَّا فِي السَّنَةِ [أَوْ أَكْثَرَ] كَاللُّدِّ وَالْمَرْجَانِ ، فَإِنْ أَحَدَهُمَا بَاتَ
وَهُوَ الْمَرْجَانُ ، وَالْآخَرُ حَيَوَانٌ ، وَهُوَ اللَّدُّ .

ومنها ما يكون في وَسْطِ الْحَجَرِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ وَحَالَ الرَّمَالِ فَلَا يَتِمُّ
نُسْجُهُ إِلَّا فِي السَّنِينَ ، كَالذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالرُّطَاصِ وَمَا
شَاكَلَهَا ؛ وَمِنْهَا مَا لَا يَتِمُّ نُسْجُهُ إِلَّا فِي عَشْرَاتِ السَّنِينَ ، كَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرْجَدِ
وَالْعَقِيقِ وَمَا شَاكَلَهَا .

(٣) وَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ — وَهُوَ الرَّحْلُ الْمَدْمُ الثَّقِيلُ — : إِنَّ الزَّارِعَ
لَا يَزْرَعُ طَالِبًا لِلْعُشْبِ ، بَلْ قَصْدُهُ لِلْحَبِّ ، وَلَا بَدَّ لِلْعُشْبِ مِنْ أَنْ يَنْبُتَ إِنْ
أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، فَلِمَ ذَلِكَ ؟ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ يَنْسَحِبُ الْمَقْصُودُ مَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، مِنْ
حَيْثُ لَا يَتِمُّ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِمَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، وَالْعُشْبُ هُوَ مَصَلَاتُ الْحَبِّ ، وَبِهِ
صِفَاءُ الْحَبِّ وَتَمَامُهُ ، وَلَوْلَا ^(١) الْقُوَّةُ الَّتِي تَصِفِي الْحَبَّ وَتُعَوِّرُهُ بِصُورَتِهِ الْخَاصَّةِ
بِهِ ، وَتَنْفِي كَدَرَهُ وَتُحْصِلُ ^(٢) صَمَوَهُ لَكَانَ الْعُشْبُ فِي بَدَنِ الْحَبِّ ، وَحِينَئِذٍ
لَا يَكُونُ الْحَبُّ الْمُنتَفَعُ بِهِ الْخُصُوصُ بِأَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ بِعَيْنِهِ ، بَلْ يَكُونُ شَيْءٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَلَوْلَا أَنَّ الْقُوَّةَ » ، وَقَوْلُهُ : « أَنْ » رِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِجِ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتُحْضَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

آخِرَ ؛ فلما تميزت تلك الشوائب التي كانت ملايسة له من أجزاء الأرض والماء وآثار الهواء والنار ، خَلَصَ منتفعا به ، مقصوداً بعينه ، فَوَجَبَ بهذا الاعتبار أن يكون الحبُّ بالذات ، والعُشْبُ بالعرض .

قال — أدام الله دولته — هل تعرّفُ العربُ الفرقَ بين الروح والنفس (١) في كلامها ؟ وهل في لفظها مِن نظمٍها ونثرٍها ما يدلُّ على ما بينهما ، أوها كشيء واحد لحقّه أسنان ؟

فكان الجواب : إن الاستعمال يخلطُ هذا بهذا وهذه بهذا في مواضع كثيرة ، وإذا جاء الاعتبار آفردَ^(١) أحدهما من الآخر بالحدِّ والأسم ؛ وعلى هذا اتفق رأى الحكماء ، لأنهم حكّموا بأن الروحَ جسمٌ لطيفٌ مُنبَتٌّ في الجسد على خاصٍّ ماله فيه^(٢) فأما النفس الناطقة فإنها جوهرٌ إلهيٌّ ، وليست في الجسد [على خاصٍّ ماله فيه] ولكنها مدبرةٌ للجسد ؛ ولم يكن الإنسانُ إنساناً بالروح ، بل بالنفس ، ولو كان إنساناً بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرقٌ ، بأن كان له رُوحٌ ولكن لا نفسَ له . فأما النفسان الأخريان اللتان هما الشهوية والغضبية فإنهما أشدَّ اتصالا بالروح منهما بالنفس ، وإن كانت النفسُ الناطقة تدبّرهما وتمدّهما وتامرّهما وتنهّهما ؛ فهذا أيضاً يوضح الفرقَ بين الروح والنفس ، فليس كلُّ ذي رُوحٍ ذا نفسٍ ، ولكن كلُّ ذي نفسٍ ذو رُوحٍ ؛ وقد وجدنا في كلام العرب مع هذا الفرقَ بينهما ، فإن [النابغة] قد قال للنعمان بن المنذر :

وَأَسْكَنتَ نَفْسِي بَعْدَ مَا طَارَ رُوحُهَا وَأَلْبَسْتَنِي نَعْمَى وَلَسْتُ بِشَاهِدٍ

(١) في كلتا النسختين « قَرَب » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به السياق .

(٢) في « ب » « م » « مكان قوله : « فيه » .

وقال أبو الأسود :

لَعَمْرُكَ مَا حَشَاكَ اللَّهُ رُوحًا بِهِ جَشَعُ وَلَا نَفْسًا شَرِيرَةً

قال : هذا من القوائد التي كنتُ أحنُّ إليها ، وأستبعدُ الظفرَ بها ، وما أنفعَ المطارحةَ والمفاتيحةَ وبَثَّ الشكَّ وأستباحةَ النفسِ ، فإنَّ التغافلَ عما تَمَسُّ إليه الحاجةُ سوءٌ اختيار ، بل سوءٌ توفيق .

وما أحسنَ ما قال بعضُ الجِلَّةِ : تَوَانَيْتُ فِي أَوَانِ التَعَلُّمِ عَنِ الْمَسْئَلَةِ عَنْ أَشْيَاءَ كَانَتْ الْحَاجَةُ تَحْفِيزُ إِلَيْهَا وَالْكُسْلُ بَعْدُ عَنْهَا ، فَلَمَّا كَبُرَتْ أَغْنَتْ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرْضِهَا عَلَى مَنْ عَلِمَهَا عِنْدَهُ ، فَبَقِيَّتِ الْجَهَالَةُ فِي نَفْسِي ، وَرَكَدَتْ الْوَحْشَةُ بَيْنَ قَلْبِي وَفِكْرِي .

ثم جَرَى فِي حَدِيثِ النَّفْسِ ذِكْرُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ قَالَ : إِنْ نَفْسُكَ هِيَ إِحْدَى الْأَنْفُسِ الْجُزْئِيَّةِ مِنَ النَّفْسِ الْكُلِّيَّةِ ، لَا هِيَ بَعِيْهَا ، وَلَا مَنْفَعِلَةٌ عَنْهَا ، كَمَا أَنَّ جَسَدَكَ جُزْءٌ مِنْ جَسَدِ الْعَالَمِ لَا هُوَ كُلُّهُ وَلَا مَنْفَعِلٌ عَنْهُ ؛ وَقَدْ مَرَّ مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ مَا فِيهِ إِضَاحٌ تَامٌّ وَأَسْتَبْعَانٌ وَاسِعٌ ، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ فِي نَعْتِ النَّفْسِ لَا آخِرَ لَهُ ، وَلَا وَقُوفَ عَنْهُ .

ولو قال قائلٌ : إِنْ جَسَدَكَ هُوَ كُلُّ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ مُبْطَلًا ، لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِهِ ، وَمَسْلُوكٌ مِنْهُ ، وَبِحَقِّ الشَّبهِ يَحْكِيهِ ، وَبِحَقِّ الْأَسْلَالِ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ ؛ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْجُزْئِيَّةُ هِيَ النَّفْسُ الْكُلِّيَّةُ ، لِأَنَّهَا أَمَّا مَشَاكِبُهُ لَهَا ، وَمَوْجُودَةُ بِهَا ، وَبِحَقِّ الشَّبهِ أَيْضًا تَحْكِي حَالَهَا ^(١) ، وَبِحَقِّ الْوُجُودِ تَبْقَى بَقَاءُهَا ، فَلَيْسَ بَيْنَ الْجَسَدِ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْعَالَمِ ، وَالنَّفْسِ إِذَا قِيسَتْ بِالْأُخْرَى مَرَّقٌ ، إِلَّا أَنَّ الْجَسَدَ مَعْجُونٌ

(١) فِي الْأَصْلِ « تَحْدُ مَا لَهَا » وَلَا مَعْنَى لَهُ ؛ وَلَعَلَّ الْمَوَاقِفَ مَا أَنْبَتَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

من الطينة ، والنفس مدبرة بالقوة الإلهية ؛ ولهذا أحتيج إلى الإحساس والمواد ، وإلى الاقتباس^(١) والألتماس حتى تكون مدة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد ، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد .

فقال — أدام الله سعادته — لو كان ما يمر من هذه الفوائد الفرار والعرامى اللطاف مرسوماً بسوادٍ على بياض ، ومقيّداً بنقطةٍ وعبرة ، لكان له ربيع وإتاء ، وزيادة ونماء .

فكان الجواب إن هذا غير متعذر ولا صعب إن نفس الله في البقاء ، وصرف هذه الهموم التي تُقسم الفكر بالعوارض التي لا تُحتسب ، والأسباب التي لا تُعرف ؛ فأمّا والأشغال على نكائفها ، والزمان على تلوئيه فكيف يمكن ذلك ؛ والعجب أنه يجري حرف من هذه الأمور الشريفة في هذه الأوقات الصيقة .

ولقد قال أبو سليمان أمس : كيف نشاط الوزير — أدام الله سعادته — (٥) في شأنه ، وكيف كان تقبله لرسالي إليه ، ونلطفي له ، وخذمتي لدولته ؟ فقلت : ما ثم شيء يحتاج إلى الزيادة من فهمٍ ودراية ، وبيان وأستبانة ، وهشاشة ورفق ، وإطلاع وتأن ؛ ولكن الوقت مستوعب بالتدبير والنظر ، وكف العدو بالمداورة مرة ، وبالإحسان مرة . فقال : الله يُبقيهِ ، ويرينا ما نُحِبُّهُ فيه .

وقال أيضاً أبو سليمان : كيف لا يكون ما تَقَلَّدَهُ ثقيلاً ، وما تَصَدَّى لَهُ عظيماً ، وما يباشره بلسانه وقلبه صعباً ، والأولياء أعداء ، والأعداء جهال ، والحض عليه من ورائه شديد ، ونصيحه غاش ، وثِقَتُهُ^(٢) مُرِيبٌ^(٣) ، والشغب

(١) في ب « وإلى القياس » . (٢) في (١) ونفيه ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلنا السحتين « قريب » ؛ وهو تحريف .

مَتَّصِلٌ ، وَطَلَبُ الْمَالِ ^(١) لَا آخِرَ لَهُ ، وَالْمُضْطَنَعُ مُسْتَزِيدٌ ، وَالْمَحْرُومُ سَاخِطٌ ، وَالْمَالُ مَمَزَّقٌ ، وَالتَّجْدِيفُ ^(٢) مِنَ الطَّالِبِ وَاقِعٌ ، وَالتَّحَكُّمُ بِالْإِذْلَالِ دَائِمٌ ، وَالْأَسْتِقَالَةُ مِنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ زَائِدَةٌ ، وَالْكَلَامُ لَيْسَ يَنْفَعُ ، وَالتَّدْبِيرُ لَيْسَ يَقْنَعُ ؛ وَالْوَعْظُ هَبَاءٌ مَنثورٌ ، وَالْأَصْلُ مَقْطُوعٌ مَبْتُورٌ ؛ وَالسِّرُّ مَكْشُوفٌ ، وَالْعَلَانِيَةُ فَاضِحَةٌ ؛ وَقَدْ رَكِبَ كُلُّ هَوَاءٍ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِكْرٌ فِي عُقْبَاءٍ ؛ وَأَخْتَلَطَ الْمُبْرَمُ ^(٣) بِالسَّحِيلِ ، وَضَاقَ عَلَى السَّالِكِ كُلُّ سَبِيلٍ ؛ وَمَنَابِعُ الْفَسَادِ وَمَنَابِتُ التَّخْلِيطِ كُلُّهَا مِنَ الْحَاشِيَةِ [الَّتِي] لَا تَعْرِفُ نِظَامَ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتِقَامَةَ الْعَمَلِكَةِ ؟ وَإِنَّمَا سَوَّلَهَا ^(٤) تَفْجِيلُ حَظٍّ وَإِنْ كَانَ نَزْرًا ، وَأَسْتَلَابُ دِرْهَمٍ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا ، وَلَعَمْرِي لَيْسَ بِكَوْنِ الْكَدَرِ إِلَّا بَعْدَ الْعَفْوِ ، كَمَا لَا يَكُونُ الْعَفْوُ إِلَّا بَعْدَ الْكَدَرِ ، هَكَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالنُّورُ وَالظُّلَامُ ، هَذَا يَخْلُفُ هَذَا ، وَهَذَا يَتْلُو هَذَا .

قال : أَغْنَى بِهَذَا أَنَّهُ لَمَّا فَقِدَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — بِالْأَمْسِ حَدَثَ هَذَا كُلُّهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ زَمَّ وَحَطَمَ ، وَجَبَرَ وَحَطَمَ ، وَأَسَا وَجَرَحَ ، وَمَنَعَ وَمَنَحَ ؛ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَأَظْهَرَ وَسَتَرَ ، وَسَهَلَ وَوَعَّرَ ، وَوَعَدَ وَوَعَّدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْعَدَ ، وَوَهَبَ زَمَانَهُ وَحَيَاتَهُ لِهَذَا ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِدَنِهِ فِيهِ ، وَغَايَتَهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْتَهَى أَنْ يَطِيرَ صَيْتُهُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيَسْمَعَ مَلُوكُهَا بِفِطْنَتِهِ وَحَرَمِهِ ، وَتَصْمِيمِهِ وَعَزَمِهِ ، وَجِدِّهِ وَأَشْمِيرِهِ ، وَرِضَاهُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا ، وَشُخْطِهِ فِي وَقْتِ الشُّخْطِ ، وَرَفْعِهِ لِمَنْ يَرْفَعُهُ بِالْحَقِّ ، وَوَضْعِهِ لِمَنْ يَضَعُهُ بِالْوَاجِبِ ؛ يُجْرَى الْأُمُورَ بِسُنَنِ الدِّينِ مَا أَسْتَجَابَتْ ، فَإِنْ عَصَتْ أَخَذَ بِأَحْكَامِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا ، وَلَمَّا كَانَتْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَالُ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالتَّحْرِيفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجْدِيفُ : الْكُفْرَانُ بِالْعَمَةِ .

(٣) الْمُبْرَمُ : الَّذِي أَحْكَمَ قِتْلَهُ . وَالسَّحِيلُ : ضِدُّهُ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « نَوَّلَهَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الأمر متلبسة بالدين والدنيا لم يَجْزُ للعاقل الحَصيف ، والمدير اللطيف أن يُعْمِلَ التدبيرَ فيها من ناحية الدين فحَسْبُ ، ولا من ناحية الدنيا فقط ، لأن دائرة الدين إلهية ، ودائرة الدنيا حسية ، وفي الإحساس أحقاد لا بد من إطفاء تأثيرتها ، وصنائع لا بد من تربيتها ، وموضوعات لا بد من إشالتها^(١) ومرفوعات لا بد من إزالتها ؛ وتدبيرات لا بد من إخفائها^(٢) ، وأحوال لا بد من إبدائها ، ومقامات لا بد من الصبر على عوارض ما فيها ، وأمور هي مسطورة في كتب السياسات للحكماء لا بد من عرفانها والعمل بها والمصير إليها ، والزيادة عليها ؛ فليس الخبر كالعيان ، ولا الشاهد كالعائب ، ولا المظنون كالمستيقن .

ثم قال : — أعنى أبا سليمان — وهذا كله منوط بالتوفيق والتأييد اللذين إذا نزلا من السماء وأتصلا بمفرق السانس تضامتا أحواله على الصلاح ، وانتشرت على النجاح ؛ وكفى كثيراً من همومه ؛ ثم دعا للوزير بالبقاء المتديد ، والعيش الرغيد والجدة السعيد ؛ وأمن الحاضرون على ذلك ، وكانوا حتماً غفيراً ، لا فائدة في ذكر أسمائهم والإشارة إلى أعيانهم ؛ وكلهم أتما سمعوا هذا الكلام الشريف عجبوا منه ، وعوذوه وسألوه أن ينظم لهم رسالة في السياسة ؛ فقال : قد رسمت شيئاً منذ زمان ، ومد شاع ومشأ ، وكتب وحمل في جملة الهدية إلى قابوس بجر جان ، فهذا — أيها الشيخ — نمط أبي سليمان وأنت عنه مشغول ، قد رَضيتَ بترك النظر في أمره ، وبذل الجاه له فيما عاد بشأنه ، والله ما هذا لسوء عهدك فيه ، ولا لحيلولة نيتك [عنه] ؛ ولكن لقلّة حظّه منك وإنحاء الزمان على كل من يجرى مجراه ، مع عوز مثله في عصره ؛ وكيف تُتهم بسوء اعتقاد

(١) في كلتا النسختين : « أسالها » ؛ وهو تحريف ، وإشالة الفاء : رفعه .

(٢) في كلتا النسختين « من اجفاتها » ؛ وهو تصحيف .

وَقَلَّةَ حِفَاطٍ ، وَتَوَانٍ عَنِ رِعَايَةِ عَهْدٍ ، وَقِيَامٍ بِمَحَقٍّ ، وَأَنْتَ مِنْ فَرَقِكَ إِلَى قَدَمِكَ
فَضْلٌ وَخَيْرٌ وَجُودٌ وَتَجَدُّ وَإِحْسَانٌ وَكَرَمٌ وَمَعُونَةٌ وَرِفْدٌ وَإِنْعَامٌ وَتَفَقُّدٌ وَتَعَهُدٌ
وَبَذَلٌ وَعُرْفٌ ؛ وَلَوْ كَانَ أَمْرُؤٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْنِيِّ لَكُنْتَهُ [وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ
الرُّوحِ الصَّرْفِ لَكُنْتَهُ] ؛ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الضِّيَاءِ الْحَيْطِ لَكُنْتَهُ ؛ فَسُبْحَانَ
مَنْ خَلَقَكَ صِرْفًا بِلَا مَرَاةٍ ، وَصَفَوًا بِلَا كَدَرٍ ، وَوَاحِدًا بِلَا ثَانٍ ، لَقَدْ نَحَرَ^(١)
بِكَ الشَّرْقَ عَلَى الْغَرْبِ ، وَسَلَّمْ لَكَ بِلَا خُصُومَةٍ وَلَا شَغَبٍ ، فَأَدَامَ اللَّهُ لَكَ مَا آتَاكَ
وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ لَدُنْهُ مَا يُنَوِّرُ مَسْعَاكَ ؛ وَبَلَغَكَ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى فِي عُقْبَاكَ ،
كَأَنَّكَ بَلَغْتَ السَّعَادَةَ الصُّغْرَى فِي دُنْيَاكَ .

(٦) أَعْرِضُ أَيُّهَا الشَّيْخُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَا تَرَى ، وَالْكَلَامُ ذُو جَيْشَانٍ ،
وَالصَّدْرُ ذُو غَلْيَانٍ ، وَالْقَلَمُ ذُو نَفْيَانٍ^(٢) وَمَتَدَفَّقُهُ لَا يُسْتَطَاعُ رَدُّهُ ؛ وَمُنْبَعِثُهُ
لَا يُقَدَّرُ [عَلَى] تَسْهِيلِهِ ، وَخَطْبُهُ غَرَبٌ ، وَشَأْنُهُ عَجِيبٌ ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ دِفْءَهُ
وَجِلَّهُ مَنْ تَذَوَّقَ حُلُوهَ وَمُرَّهَ ، وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ ، فَإِنِّي أَدْكُرُّكَ أَمْرِي لِنَلْحَظَهُ بَعَيْنِ
الرَّعَايَةِ ، وَأَعْرِضُ عَلَيْكَ حَدِيثِي لِتَحْفَظَهُ فِي صَحِيفَةِ الْعِمَايَةِ ؛ فَتَقْدَامُ سِيَّتُ بَيْنِ
صَدِيقٍ يَشُقُّ عَلَى حُرْنِهِ لِي ، وَبَيْنِ عَدُوٍّ تَسْوِي شِمَانَهُ بِي ؛ وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ
إِقْبَالَكَ عَلَى يُسْرٍ ، كَمَا أَنَّ إِعْرَاضَكَ عَنِّي عُسْرٌ ، وَأَرْجِعُ إِلَى نَمَاءِ هَذَيْنِ الْجُرَائِنِ
وَإِنَّهُ أُخْرَى^(٣) .

(٧) وَأَمَّا حَدِيثُ الزُّهَادِ وَأَصْحَابِ النَّسْكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ نَقْدَمَ بِأَفْرَادٍ خَرَّ فِيهِ ،

(١) فِي (ب) «تَحْرِيكَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيْبٌ . وَوَرَدَ هَذَا الِتْمَظُ (١) مَطْمُوسَ الْحُرُوفِ ؛
وَمَا أَتْبَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ .

(٢) النَفْيَانِ : مَنْ نَفَتِ السَّحَابَةُ الْمَاءَ إِذَا نَحَتْهُ . أَوْ مَنْ نَفَتِ الرِّيحُ الْغَرَابَ إِذَا أَطَارَتْهُ .

وَفِي (١) «نَفْيَانٍ» ؛ وَهُوَ نَصِيْفٌ . وَفِي ب «رَمْيَانٍ»

(٣) فِي ب «وَاجِدَاءٍ آخِرٍ» .

وقد أثبتته في هذا الموضع ، ولم أحب أن أعزله عن مجلته ، فإن فيه تنبيها حسنا ، وإرشادا مقبولا ، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءا جامعا للنفس قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحا للنفس وتهذيبا للخلق ، واقتداء بمن سبق إلى الخير واتباعا لمن قصد النصيح ؛ وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحا لباب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره ، فإن لم يكن ذلك فلا أقل [من أن يكون] مقتنيا لأثر من كان فاتحا قبله ؛ ومن تقاعس عن هذين الأمرين فهو الخاسر الذي جهل قيمة نفسه ، وضل عن غاية حياته ، وحرّم التوفيق في إصابته رُشدِه ؛ والله المستعان .

قال ابن مسعود : لو عرفت البهائم ما عرفتكم ^(١) ما أكلتم سمينا .
وقال أبو هريرة : اللهم إني أسألك قلبا قارّا ، ورزقا دارّا ، وعَمَلا سارّا .
وقال بعض السلف : اللهم إني أسألك قلبا شاكرا ، ولسانا ذا كرا ،
وبَدَنًا صابرا .

وقال صالح بن مسمار : لا أدري أنعمته عليّ فيما بسط لي أفضل ، أم نعمته فيما زوى عني ، لأنه فيما بسط لي أحياني ، وفيما زوى عني حماني ، نظر لي بما يزيد على نظري لنفسى ، وآتاني من عنده أكثر مما عندي .
وقال الله عز وجل — لموسى — عليه السلام : حبّبتني إلى عبّادى .
قال : وكيف أحبّبك ؟ قال : ذكركم آلائي ونعمائي .

وقال شدّاد بن حكيم لبعض الواعظين : أيّ شيء تقول إذا جلست على المنبر ؟ قال : أذكركم آلاء الله لي شكروا ، وأذكركم جفأهم ليتوبوا ، وأخبرهم عن إبليس وأعوانه حتى يحذروا .

(١) في رواية : « ما عرفتكم من الموت ما أكلتم منها سمينا » .

وقال بعضُ الصَّالحينَ : مَثَلُ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا كَخَابِيَةٍ فِيهَا سُمٌّ وَعَلَى رَأْسِهَا عَسَلٌ ، فَمَنْ رَغِبَ فِي الْعَسَلِ سَقِيَ مِنَ السُّمِّ ، وَمَثَلُ شِدَّةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ خَابِيَةٍ مَمْلُوءَةٍ مِنَ الْعَسَلِ وَعَلَى رَأْسِهَا قَطَرَاتٌ مِنْ سُمِّ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى أَكْلِهَا بَلَغَ إِلَى الْعَسَلِ .

جاء رجلٌ إلى حاتم الزَّاهدِ بنِ نَمِيمَةٍ ، فقال : يا هذا أَبْطَأْتَ عَنِّي وَجِئْتَ بِثَلَاثِ جَنَائِي ؛ بَغَضْتَ إِلَيَّ الْحَبِيبَ ، وَشَغَلْتَ قَلْبِي الْفَارِغَ ، وَأَغْلَقْتَ نَفْسَكَ التَّهْمَةَ ، وَأَنْتَ آمِنٌ .

وكان خالد بنُ صَفْوَانَ يَقُولُ : قَبُولُ قَوْلِ النَّامِ شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبِلَ وَأَجَازَ .

وقال ابنُ السَّمَاكِ الْوَاعِظُ : يُدْرِكُ النَّمَامُ بَنَمِيمَتِهِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ .

وقال معمر : مَا نَزَلْتُ بَعْدَ نَازِلَةٍ مَكَانَ مَفْرَعِهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ .
وقال عمر : مَا أَسْأَلُ اللَّهَ الرِّزْقَ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لِي فِيهِ .

وقال مالك بنُ دِينَارٍ : الْجُلُوسُ مَعَ الْكَلْبِ خَيْرٌ مِنَ الْجُلُوسِ مَعَ رَفِيقٍ سَوْءٍ .
وقال أبو هُرَيْرَةَ : تَهَادَوْا عِبَادَ اللَّهِ يَتَجَدَّدُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوُدُّ ، وَتَذْهَبُ السَّخِيمَةُ .
وقال حاتم : صَاحِبُ الضَّغْنِ غَيْرُ ذِي دِينٍ ، وَالْغَائِبُ ^(١) غَيْرُ ذِي عِبَادَةٍ .
وَالنَّمَامُ غَيْرُ صَدُوقٍ ، وَالْحَاسِدُ غَيْرُ مَنصُورٍ .

وقال بعضُ السَّلَفِ : مَنْ أَسْتَقْصَى عِيُوبَ النَّاسِ بَقِيَ بِلا أَصْدِقَاءٍ .
وقال محمد بنُ وَاسِعٍ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَرَأَةِ كَمَا يَكُونُ أَهْلُ

(١) يريد بالغائب من يقتاب الناس .

الجنون مع الجنون ، يَحْتَمِلُونَ [منه] كُلَّ أَذَى وَمَكْرُوهِ .
 قيل لمالك بن دينار [لو تزوجتَ ؛ قال :] ^(١) لو أَسْتَطَعْتُ لَطَلَقْتُ
 نَفْسِي .

قال شقيق : اشتريتُ بَطِيخَةً لَأُمِّي ، فلما ذاقَها سَخَطْتُ . فقلت : يا أُمِّي ،
 على من تَرُدِّينَ الْقَضَاءَ وَمَنْ تَلُومِينَ ، أَحَارِثُهَا أَمْ مُشْتَرِيهَا أَمْ خَالِقُهَا ؟ فَأَمَّا حَارِثُهَا
 وَمُشْتَرِيهَا فَمَالُهَا ذَنْبٌ ، فَلَا أَرَاكِ تَلُومِينَ إِلَّا خَالِقَهَا .

ويقال : إِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَاوَلَهُ مَوْلَاهُ [شَيْئًا يَأْكُلُهُ] ، وقال : أُعْطِنِي
 قِطْعَةً مِنْهُ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا أَكَلَهُ وَجَدَهُ مُرًّا ، فقال : يا غلام ، كيف أَكَلْتَ هَذَا
 مَعَ شِدَّةِ مَرَارَتِهِ . قال : يا مولاي ، قد أَكَلْتُ مِنْ يَدِكَ حُلُومًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أُحِبَّ
 أَنْ أُرِيكَ مِنْ نَفْسِي كَرَاهَةً لَمَرَارَتِهِ .

وأوحى اللهُ تَعَالَى إِلَى عَزِيزٍ : إِذَا نَزَلَتْ بِكَ بَلِيَّةٌ لَا تَشْكِنِي إِلَى خَلْقِي
 كَمَا لَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِي عِنْدَ صُعودِ مَسَاوِيكَ إِلَى ، وَإِذَا أَذِنْتَ ذَنْبًا فَلَا
 تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِهِ ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ مِنْ أَهْدِيَّتِهِ ^(٢) إِلَيْهِ .

وقال لقمان : إِنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ .
 وقال بعضُ السَّلَفِ : عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)
 وقال : (إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وقال : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
 الْغُرُوفَةَ بِمَا صَبَرُوا) . وقال : (أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا) . وقال : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
 بِمَا صَبَرْتُمْ) .

(١) هذه التكملة أو مايفيد معناها ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) من أهديته إليه ، يريد الله سبحانه وتعالى . وعبارة الأصل : « من أهداه إليك » ؛
 وفيها تحريف ظاهر .

وقال الأوزاعي : المؤمن يُقِلُّ الكلامَ وَيُكثِرُ العملَ . والمُنَافِقُ يُكثِرُ الكلامَ وَيُقِلُّ العملَ .

وقال فضيل بن عياض : الخَوْفُ ما دامَ الرجلُ صحيحاً أفضل ، فإذا نزل للوْتُ فالرَّجاءُ أفضل .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — إِيَّاكُمْ وَالْحَيَاةَ ، فَإِنَّهَا بَنَسَتْ الْبِطْأَةَ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ لَفَحَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَرَوَى مَنْ وَفَى شَرًّا لَقَلَقَهُ وَقَبَقَبَهُ وَذَبَذَبَهُ فَقَدْ وَفَى شَرِّةَ الشَّبَابِ ^(١) .
وقيل لأَبْنِ الْمُبَارَكِ : إِنَّكَ لَتَحْفَظُ نَفْسَكَ مِنَ الْغَيْبَةِ . قَالَ : لَوْ كُنْتُ مُغْتَاباً أَحَدًا لَأَغْتَبْتُ وَالِدِي ، لِأَنَّهَا أَحَقُّ بِمَحَسَنَاتِي .

وقال بعضُ الصَّالِحِينَ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا تَعَشَّى بِأَلْوَانِ الطَّعَامِ وَقَدْ أَصَابَ مِنَ النِّسَاءِ فِي اللَّيْلِ ، وَرَجُلًا آخَرَ رَأَى رُؤْيَا عَلَى مِثَالِ مَا أَصَابَ الْأَوَّلُ فِي الْيَقَظَةِ ، فَإِذَا مَضَى صَارَ الْحَالِمُ وَالْآخِرُ سَوَاءً .

وقال شقيق : مَنْ أَبْصَرَ ثَوَابَ الشَّدَّةِ لَمْ يَتَمَنَّ الْخُرُوجَ مِنْهَا .
وقال شقيق لأصحابه : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ، أَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَيْءٌ عَلَى الْعَلِيِّ ، أَوْ يَكُونَ شَيْءٌ لِلْعَلِيِّ عَلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا : بَلِ ^(٢) نَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَلَى الْعَلِيِّ . فَقَالَ : إِذَا كُنْتُمْ فِي الشَّدَّةِ يَكُونُ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ ؛ وَإِذَا كُنْتُمْ فِي النِّعْمَةِ يَكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .
وقال بعضُ السَّلَفِ : شَتَانِ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ : عَمَلٍ تَذْهَبُ لَدَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَوُثُونَتُهُ وَيَبْقَى ذُخْرُهُ .

(١) الْفَلَقُ : اللِّسَانُ . وَالْقَبَقَبُ : الْبَطْنُ ، وَالذَّبْذَبُ : مَعْرُوفٌ .

(٢) فِي كَلَامِنَا النَّسَخَتَيْنِ « بَلَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال الرقاشي في مواعظه : خذوا الذهب من الحجر ، واللؤلؤ من العزبة .
وقال يحيى بن معاذ : العلم قبل العمل ، والعقل قائد الخير ، والهوى
مرّ كَبُ المعاصي ، والمال داء المتكبر .

وقال : من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم النحو
والعربية دله بين الصبيان ، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش .

وقال بعض الصالحين : إن العلماء يسقون الناس ، فبعضهم من الغدران
والحياض ، وبعضهم من العيون والقلوب ، وبعضهم من البحار الواسعة .

وقال حاتم : لا تنظر إلى من قال ، ولكن أنظر إلى ما قال .

وقال مالك بن دينار : إني لا أقدر أن أعمل بجميع ما أقول .

وقال وهيب بن الورد : مثل عالم الشيء كمثل الحجر يقع في الساقية فلا هو
يشرب الماء ، ولا يحلّي عن الماء فيذهب إلى الشجرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تأمن غير الدجال أخوف عليكم . قيل :
ومن هو ؟ قال : الأئمة المصلون .

وقال الثوري : نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة القائد الجاهل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي علماء فساق ، وقرّاء جهال » .

وقال الثوري : العلم طيب الدين ، والمال داء ، فإذا رأيت الطبيب يجرّ
الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره .

وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس وهو لا يبصرها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس حسرة يوم القيامة عالم علم
الناس ونجوا به ، وأرثهين هو بسوء عمله » .

وقال أحمد بن حَرْب : إن مَنَازِلَ الدُّنْيَا لَا تُنْقَطَعُ بِالْكَلَامِ ، فَكَيْفَ يُنْقَطَعُ طَرِيقُ الْآخِرَةِ بِالْكَلَامِ .

وقال أبو مسلم الخَوْلَانِي : العلماء ثلاثة : رجلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ وعَاشَ بِهِ النَّاسُ ، ورجلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَعِشْ بِهِ النَّاسُ ، ورجلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ النَّاسُ وَهَلَكَ هُوَ .
وشاورَ رجلٌ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَزَوِّجَ بِنْتِي ، فَبِمَنْ أَزَوِّجُ ؟
قَالَ : لَا تُزَوِّجْهَا عَالِمًا مُفْتَوًيًا ، وَلَا كَاسِبًا ^(١) كَاذِبًا ، وَلَا عَابِدًا شَاكَا .
قِيلَ ^(٢) : نَصَحَ إِبْلِيسُ فَقَالَ : إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ ، فَإِنِّي نَكَهْتُ فَلُعِنْتُ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ فَإِن أَبَاكَ حَرَصَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَإِن أَحَدَ بَنِي آدَمَ قَتَلَ أَخَاهُ بِالْحَسَدِ .

وَمَرَّ حَاتِمٌ بِقَوْمٍ يَكْتُبُونَ الْعِلْمَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : إِنْ يَكُنْ مَعَكُمْ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَنْ تَقْلِحُوا . قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : هُمُ أَمْسٍ ، وَأَغْتَامٌ ^(٣) الْيَوْمَ ، وَخَوْفُ الْغَدِ .

وقال ابنُ عُمَرَ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةٌ خَرَجُوا فِي وَجْهِ ، فَأَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا كَهْفًا ، فَوَقَعَ حَجَرٌ عَظِيمٌ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ ، وَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ وَقَالُوا : لَا يَنْجِينَا إِلَّا مَا عَمَلْنَاهُ فِي الرِّخَاءِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنِّي كُنْتُ رَاعِيًا فَأَرْحَتُ وَحَلَبْتُ ، وَكَانَ لِي أَبْوَانٌ وَأَوْلَادٌ وَامْرَأَةٌ مُسْقِيَةٌ أَوْلَادَ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْأَوْلَادَ ، فَجِئْتُ يَوْمًا فَوَجَدْتُ أَبَوَيَّ قَدْ نَامَا فَلَمْ أَوْقِظْهُمَا احْرَمْتَهُمَا وَلَمْ أَشْقِ ^(٤) الْأَوْلَادَ ،

(١) هذه الكلمة لم يرد منها في كلا الأصلين غير سين وباء وألف وحرفين مطموسين في أولها ، ولعل الصواب فيها ما أثبتنا .

(٢) ورد في كلا الأصلين « قيل الصبح من إبليس قال إبليس » ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا .

(٣) في الأصول : « واغتنام » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « أفق » ؛ وهو تحريف .

وبقيت قائماً إلى الصبح ؛ فإن كنت يا ربّ قَبِلْتَ هذا مِنِّي فأجعل لنا فرجاً ،
فتحرّك الحجر ودخل عليهم الضوء .

وقال الثاني : إني كنتُ صاحبَ ضياعٍ ، فجاءني رجل بعد ما مَتَعَ النهار ،
وكان لي أَجْرَاهُ يَمْحَدُونَ الزرع ، فاستأجرته ، فلما تم عملهم أعطيتهم أجورهم ، فلما
بلغتُ إلى ذلك الرجل أعطيتُه وافيّاً كما أعطيتُ غيره ، فغضبوا وقالوا : تعطيه
مِثْلَ ما أعطيتنا . فأخذتُ تلك الأجرة واشتريتُ بها عَجْوَةً^(١) ونَمَى حتى كَثُرَ
البَقَرُ ؛ فجاء صاحب الأجرة يَطْلُبُ فقالتُ : هذه البَقَرُ كُلُّها لك ، فسلّمتُها إليه ،
فإن كنت يا ربّ قَبِلْتَ مِنِّي هذا الوفاء ففرّجْ عنا . فتحرّك الحجر ودخل منه
ضوءٌ كثير .

وقال الثالث : كانت لي بنتٌ عَمِّ فراودتُها ، فأبَتْ ، حتى أعطيتها مائة دينار
فلما أردتُ ما أردتُ اضطربتُ وارتعدتُ . فقلتُ لها : مالكِ ؟ فقالت : إني أخافُ
الله . فتركْتُها ورجعتُ عنها ، إلهي فإن كنت قَبِلْتَ ذلك مِنِّي ففرّجْ عنا . فتحرّك
الحجر وسقطَ عن باب الكهف وخرجوا منه يَمْشُونَ .

وقال حاتم : لو أُدْخِلْتُ السوقَ شِياءَ كثيرةً لما اشترى أحدٌ المَهْزُولَ ،
بل يَقْصِدُ السَّمينَ للذَّبْحِ .

وقال يحيى بن معاذ : في القلب عيونٌ يَهِيْجُ منها الخيرُ والشرُّ .

وقال بعض الصالحين في دعائه : اللهم إِنْ أَحَدَنَا لَا يَشَاءُ حتى تشاء ، فأجعل
مَشِيئَتَكَ لي أَنْ تشاء ما يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ ؛ اللهم إِنْكَ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِ العبد ، فلا
يتحرك شيءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ ، فأجعل حَرَكَاتِي في هَوَاكَ .

(١) المَجْزُولُ والمَجْلُ واحد .

وقال قاسم بن محمد^(١) : لَأَن يَعيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِن أَن يَقولَ ما لا يَعلم .
وقال الشعبي : لم يكن مجلسٌ أحبَّ إليَّ من هذا المجلس ، ولأن أُبْعِدَ^(٢)
اليومَ عن بَساطِهِ أحبُّ إليَّ من أن أُحْبَسَ فيه .

وقال حاتم : إذا رأيتَ من أخيك عَيْبًا فَإِن كَتَمْتَهُ عليه فقد خُنْتَهُ ، وإِن
قُلْتَهُ لغيره فقد أَغْتَبْتَهُ ، وإِن واجَهْتَهُ به فقد أَوْحَشْتَهُ ؛ قيل له : كيف أصنع ؟
قال : تَكُنْ عنه ، وتُعَرِّضْ به ، وتَجَعَلْهُ في جَملةِ الحَدَثِ .

وقال : إذا رأيتَ من أخيك زَلَّةً فاطْلُبْ لها سَبعينَ وجهًا من العِلَلِ ، فَإِن
لم تجدْ فَلَمْ نَفْسِكَ .

وقال إبراهيم بن جُنَيْدٍ : إِتَّخِذْ مِرْآةَيْنِ ، وانظر في إحداهما عيبَ
نَفْسِكَ ، وفي الأُخرى محاسنَ الناسِ .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا دارُ خرابٍ ، وأحربُ منها قلبُ من يَعمُرُها ،
والآخرة دارُ عُمرانٍ ، وأعمَرُ منها قلبُ من يَعمُرُها .

وقال ابن السَّمَكِ : الدنيا كالعرُوسِ المجلُوةِ تشوَّمتْ لخطاياها وقَتَّنتْ
بُغُورِها ، فالعيونُ إليها ناظرةٌ ، والقلوبُ عليها والهةٌ ؛ والنفوسُ لها عاشقةٌ ، وهي
لأزواجها قاتلةٌ .

وقال بعضُ العارفينَ : الدنيا أربعةُ أشياء : الفَرَحُ والرَّاحةُ والحلاوةُ
واللَّذَّةُ ؛ فالفرَحُ بالقلبِ . والرَّاحةُ بالبدنِ ، واللَّذَّةُ بالخلقِ ، والحلاوةُ بالعَيْنِ .

(١) كذا في (١) والذي في (ب) « محمد بن القاسم » .

(٢) ورد كلام الشعبي هذا في نسخة واحدة دون الأخرى . ويشير إلى فساد العلماء

وأنهم قد أصبحوا لا يرعب في الجلوس إليهم . والذي في النسخة « أقعد اليوم على بساطه » ؛
وهو تحريف .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا خمرُ الشيطان ، فمن سكر منها لم يَفِقْ إلا في مَسْكَنِ النَّادِمِينَ .

وقال بعض السلف : الزهد خَلْعُ الراحة ، وبذلُ الجهد ، وقطْعُ الأمل .
وقال الأنطاكي أحمد بن عاصم : الزُّهْدُ هو الثَّقة بالله ، والتبرُّؤُ من الخَلْق ، والإخلاصُ في العمل ، وأحتمالُ الذُّل .

وقال داود — عليه السلام — في دعائه : يا رازق النُّعَابِ في عُشِّهِ .
وقال بعضُ السَّلف : لو كُنْتَ على ذَنْبِ الرِّيحِ [لم] ^(١) تَفِرَّ مِنْ رِزْقِكَ .
وقال آخر : الإنسان بين رِزْقِهِ وأَجَلِهِ ، إلا أنه مخدوعٌ بِأَمَلِهِ ^(٢) .
وقال عيسى بن مريم عليه السلام : خَلَقَكَ رَبُّكَ في أَرْبَعِ مَرَاتِبَ ، فَكُنْتَ آمَنًا سَاكِنًا في ثَلَاثٍ ، وَقَلِقْتَ في الرَّابِعَةِ ، أَوَّلَاهَا في بَطْنِ أُمِّكَ في ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ، وَالثَّانِيَةِ حِينَ أَخْرَجَكَ مِنْهُ وَأَخْرَجَ لَكَ لَبَنًا مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ . وَالثَّالِثَةَ إِذَا فُطِمْتَ أَطْعَمَكَ الْمَرْيَّ الشَّهِيَّ ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّتْ عِظَامُكَ وَبَلَغْتَ تَمَامَكَ صِرْتَ خَائِنًا وَأَحْذَتْ في السَّرِيقَةِ وَالْحِيلَةِ .

وقال أنس : رَأَيْتُ طَائِرًا أَكَمَهُ فَتَحَ فَاهُ فَجَاءَتْ جَرَادَةٌ فَدَخَلَتْ فَمَهُ .
وقال عيسى — عليه السلام — يَا بَنَ آدَمَ اعْتَبِرْ رِزْقَكَ بِطَيْرِ السَّمَاءِ ، لَا يَزِرْعُنْ وَلَا يَحْصُدُنْ وَإِلَهُ السَّمَاءِ يَرْزُقُهُنَّ . فَإِنْ قُلْتَ : لَهَا أَجْنَحَةٌ فَأَعْتَبِرْ بِحُمْرِ الْوَحْشِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ مَا أَتَمَمَهَا [وَمَا أَبْشَمَهَا] وَأَبْدَنَهَا !
وقال ابن السَّمَّاكِ لو قال العبد : يَا رَبِّ لَا تَرْزُقْنِي لَقَالَ اللَّهُ : بَلْ أَرْزُقُكَ

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسخة (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة .
(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة : « بعله » . وما أئبناه هو مفتضى السياق .

على رَغْمِ أَنْفِكَ ، ليس لك خالقٌ غيري ، ولا رازقٌ سِوَايَ ، إن لم أَرْزُقْكَ
فمن يَرْزُقُكَ ؟

وقيل لراهب : من أين تأكل ؟ فقال : إن خالقَ الرَّحَى يأتي بالطَّحِينَ .
وقال حاتم : الحمارُ يَعْرِفُ طريقَ المَعْلَفِ ، والمنافِقُ لَا يَعْرِفُ طريقَ السَّمَاءِ .
وقال إبراهيمُ بنُ أَدَهَمَ : سألتُ راهبًا من أين تأكلُ ؟ قال : ليس هَذَا
الْعِلْمُ عِنْدِي ، ولكن سَأَلَ رَبِّي من أين يُطْعِمُنِي .

وقال حاتم : مَثَلُ الْمُتَوَكِّلِ مَثَلُ رَجُلٍ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى جَبَلٍ .
وقال بعضُ الأبرار : حَسْبُكَ مِنَ التَّوَكُّلِ إِلَّا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا
غَيْرَهُ ، وَلَا لِرِيقِكَ خَازِنًا غَيْرَهُ ، وَلَا لَعَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَهُ .

وقال عبدُ الحميد بنُ عبد العزيز : كان لأبي صديقٌ وَرَاقٌ ، فقال له [أبي]
يوما : كيف أصبحتَ ؟ قال : بخير ما دامت يَدِي مَعِي ، فَأَصْبَحَ الْوَرَّاقُ وَقَدْ
شَلَّتْ يَدُهُ .

قال أبو العالية : لَا تَتَّكِلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فَيَكَاكَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَعْمَلْ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَيَجْعَلَ ثَوَابَ عَمَلِكَ عَلَيْهِ .

وقال رجلٌ لأبي ذَرٍّ : أَنْتَ أَبُو ذَرٍّ ؟ قال : نعم . قال : لَوْلَا أَمْلَكَ رَجُلٌ
سِوَا مَا أَخْرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ . فقال أبو ذَرٍّ : بَيْنَ يَدَيَّ عَقَبَةٌ كَوْوَذٌ إِنْ نَجَوْتُ
مِنْهَا لَا يَضُرُّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ أَقَعَ فِيهَا فَاَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ .

وقيل لفضيل : إِنْ فَلَانًا يَقَعُ فِيكَ . فقال : لَا غِيْظَنَ مَنْ أَمَرَهُ (١) بِذَلِكَ
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ .

(١) من أمره بذلك ، يريد الشيطان .

وقال رجل لأبي هريرة : أنت أبو هريرة ؟ قال : نعم . قال : سارق الذريرة^(١) ؟ قال : اللهم إن كان كاذباً فأغفر له ، وإن كان صادقاً فأغفر لي ؛ هكذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رجل لأبن مكرم : يا كافر . قال : وَجِبَ عَلَى الشُّكْرِ ، حيث لم يَجِرْ ذلك على لساني ، ولم تَجِبْ عَلَى إقامَةِ الْحُجَّةِ فيه ، وقد طَوَيْتُ قَلْبِي على نُحْلَةٍ^(٢) أشياء : قال : وما هنَّ ؟ قال : إنْ قُلْتَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَا أُجِيبُكَ مَرَّةً ، ولا أَحِقِّدُ عَلَيْكَ ، ولا أَشْكُوكَ إلى أحدٍ ، وإنْ نَجَوْتُ مِنْ اللَّهِ عَرَّ وَجِلٌّ بعد هذه الكلمة شفعتُ لك . فتاب الرجل .

كان للحسن جازة نصراني ، وكان له كَنِيفٌ على السَّطْحِ ، وقد نَقِبَ ذلك في بَيْتِهِ ، وكان يَتَحَدَّثُ مِنْهُ الْبَوَلُ فِي بَيْتِ الْحَسَنِ ، وكان الحسنُ أَمَرَ بِإِنَاءٍ مَوْصِعٍ تحته ، فكان يُخْرِجُ ما يَجْتَمِعُ مِنْهُ لَيْلًا ، وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ عَشْرُونَ سَنَةً ، فَمَرَضَ الْحَسَنُ ذَاتَ يَوْمٍ مَعَادَهُ النَّصْرَانِي ، فرأى ذلك ، فقال : يا أبا سعيد : مُذْ كَمْ نَحْمِلُونَ مِنِّي هَذَا الْأَدَى ؟ فقال : منذ عشرين سنة . وقَطَعَ النَّصْرَانِي زُبَارَهُ وَأَسْلَمَ .

وجاءت جاريةٌ لِمَنْصُورٍ بنِ مِهْرَانَ بِمِرْقَةٍ مَهْرَاقَتِهَا عَلَيْهِ ، فلما أَحَسَّ بِحَرِّهَا مَظَرَ إِلَيْهَا ، فقالت : يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ أَذْكَرُ قَوْلَ اللَّهِ . قال : وما هو ؟ قالت : (وَالْكَافِرِينَ أَقْنِطْ) قال : كَظُمْتُ . قالت : واذْكَرُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال : قد عَمَوْتُ . قالت واذْكَرُ (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) . قال : اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ .

(١) الذريرة : صرب من الطيب .

(٢) في كلتا السخنتين : « حصة » ؛ ولعله محرف عما أثبتنا إذ لم يدكر فيما بعد غير أربعة أشياء ، أو لعل الخامسة قد سقطت من النسخ .

قال الحسن : ما جَزَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزَعَةٍ مُصِيبَةٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِصَبْرٍ ،
وَجَزَعَةٍ غَضِبَ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِعِلْمٍ .

وكان محمد بن النكدر إذا غَضِبَ على غلامه يقول : ما أَشْبَهَكَ بِسَيِّدِكَ !
وقال أبو ذر : كيف يكون حليماً من يَغْضَبُ على حماره وَسَخِلِه وِهْرَه .

ومات ابنُ للرَّشيد فخر عَجَزَعا شديداً ، مَوَّعَظَه العُلَماءُ ، فَلَمْ يَتَعَطَّ ؛ فَدَخَلَ
مَخْنَثٌ وَقَالَ : أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ قَالَ : تَكَلَّمْ . فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَامَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا رَجُلٌ ، وَقَدْ تَشَبَّهْتُ بِالنِّسَاءِ كَمَا تَرَى ، فَأَيُّ
شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ لَوْ كُنَ أَنْتَ فِي الْأَحْيَاءِ وَكَانَ عَلَى صُورَتِي ، فَأَتَعَطَّ بِهِ
وَأَخْرَجَ النَّوَاحَاتِ مِنَ الدَّارِ .

قال وهب : مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ رَحْمَتِي
فَارْحَمُوا عِبَادِي .

وقال حمزة بن محمد — عليهما السلام — حُسْنُ الْخَوَارِ عِمَارَةُ الدِّيَارِ
وَمَثَرَةُ الْمَالِ .

ولما قرأ هذا الجُزء — خَرَسَهُ اللَّهُ — ارْتَاحَ وَقَالَ : أَنْ يَحْنُ مِنْ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ ، إِلَى اللَّهِ الْمُسْتَكِي .

الليلة الخامسة والعشرون

وقال — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ — لَيْلَةً : أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا فِي مَرَايِبِ النِّظَمِ
وَالنَّثَرِ ، وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ يَنْتَهِيَانِ ، وَعَلَى أَيِّ شَكْلٍ يَنْفَقَانِ ، وَأَيُّهُمَا أَجْمَعُ لِلْمَعَانِدَةِ ،
وَأَزْجَعُ بِالْمَعَانِدَةِ ، وَأَدْخُلُ فِي الصَّمَاةِ ، وَأَوَّلِي بِالْبَرَاةِ ؟؟

فكان الجواب : إنَّ الكلامَ على الكلامِ صَعْبٌ . قال : ولم ؟ قلتُ : لأنَّ ()
الكلامَ على الأمورِ المعتمدِ فيها على صُورِ الأمورِ وشُكُولِها التي تنقسم بين
المقول وبين ما يكون بالحسِّ ممكِنٌ ، وفَضاءُ هَذَا مُتَّسِعٌ ، والجِالُ [فيه]
مختلفٌ ^(١) . فأمَّا الكلامُ على الكلامِ فَإِنَّهُ يَدُورُ على نَفْسِهِ ، وَيَلْتَبِسُ بَعْضُهُ
بِبَعْضِهِ ؛ وَلِهَذَا شَقَّ النَّحْوُ وما أَشْبَهَ النَّحْوَ من اللَّغَايِقِ ، وَكَذَلِكَ النَّثْرُ وَالشُّعْرُ
وعلى ذَلِكَ .

وقد دال الناس في هذين الفنين صروباً من القول لم يبعثوا فيها من الوصفِ
الحسن ، والإيضافِ الحمود ، والنَّماسِ المقبول ، إلّا ما خالطه من التعصب
والمحك ، لأنَّ صاحبَ هذين الخُطتين لا يخلو من بعضِ المُكابَرَةِ والمُغالطةِ
وَبَقْدَرِ ذلك ^(٢) بَصِيرُ له ^(٣) مَدْخَلُ فيما يُرادُ تحقيقُه من بيانِ الحجةِ أو فُضُورِها ^(٤)
عما يُرامُ من البلوغِ بها ، وهذه آفةٌ معترِضةٌ في أمورِ الدِّينِ والدُّنيا ، وَلَا مَطْمَعَ
في رَوَايَها ، لِأَنَّها ناسئةٌ من الطَّبائعِ المختلفةِ ، والعاداتِ السيئةِ ، أَلَكْنِي ^(٥) مع هذه
الشَّوْكَةِ الحادَّةِ ، والخُطَّةِ الكادَّةِ ^(٦) ؛ أَقولُ ما وَعَيْتُهُ عن أربابِ هَذَا الشَّانِ ،
والمُسْتَمِينِ ^(٧) لِهَذَا العَن ، وَإِنْ عَن شَيْءٍ كَوْنُ سَكَلًا لَذَلِكَ وَصَلَّتْهُ بِهِ نَكِيلًا
لِلشَّرْحِ ، وَأُسْتِيعَانًا لِلْبَابِ ، وَصَمْدًا ^(٨) لِلغَايَةِ ، وَأَحْذًا بِالْحِيَاظَةِ ، وَإِنْ كَانَ
الْمُنْتَهَى مِنْهُ غَيْرَ مَطْمُوعٍ فِيهِ ، وَلَا مَوْضُولٍ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ الْمَعِينُ .

(١) في ب « عكر » مكان قوله : « يختلف » .

(٢) في كلتا السحتين : « وبذلك العذر » ، وفي كلتا الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من
الناسخ ، وسباق الكلام بفتوى ما أنشأ . ويشير « بذلك » إلى ما سبق من المكابرة والمغالطة .
(٣) كذا في ب والدي في (١) بصير ذلك . (٤) في كلتا السحتين « وقصور » .

(٥) في (١) « إلى » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا السحتين « الكبرى » ؛ وهو تحريف . (٧) في (١) واليمين بهذا

العن ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا . (٨) صمداً للغاية ، أى قصداً إليها .

(٢)

قال شيخنا أبو سليمان : الكلام يَنْبَغُ في أوَّل مبادئه إمّا مِنْ عَفْوِ
 البديهة ، وإمّا مِنْ كَدِّ الرَّوِيَّةِ ، وإمّا [أَنْ يَكُونَ] مَرْكَبًا مِنْهُمَا ، وفيه قَوَاهُما
 بالأكثر والأقل ؛ ففضيلة عَفْوِ البديهة أَنَّهُ يَكُونُ أَصْنَى ، وفضيلة كَدِّ الرَّوِيَّةِ
 أَنَّهُ يَكُونُ أَتْقَى ، وفضيلة المَرْكَبِ مِنْهُمَا أَنَّهُ يَكُونُ أَوْفَى ؛ وَعَيْبُ عَفْوِ البديهة أَن
 تَكُونَ صورةُ الْعَقْلِ فِيهِ أَقَل ؛ وَعَيْبُ كَدِّ الرَّوِيَّةِ أَن تَكُونَ صورةُ الْحِسِّ فِيهِ
 أَكَل^(١) ، وَعَيْبُ المَرْكَبِ مِنْهُمَا بِقَدْرِ فِسْطِهِ مِنْهُمَا : الْأَغْلَبُ وَالْأَضْعَفُ ؛ عَلَى أَنَّهُ
 إِنْ خَلَصَ هَذَا المَرْكَبُ مِنْ سَوَائِبِ التَّكَلُّفِ ، وَسَوَائِبِ التَّعَسُّفِ ، كَانَ بَلِيغًا
 مَقْبُولًا رَائِعًا خُلُوعًا ، تَخَنُّعِينَ الصُّدُورِ ، وَنَحْلِسُهُ الْأَذَانِ ، وَتَنْتَهَبُهُ الْحَالِسِ ،
 وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُنَافِسُ بَعْدَ الْمُنَافَسِ ، وَالتَّفَاضُلُ الْوَاقِعُ بَيْنَ الْبُلْغَاءِ فِي النَّظْمِ
 وَالتَّنْثُرِ ، إِمَّا هُوَ هَذَا المَرْكَبُ الَّذِي يُسَمَّى تَالِيَةً وَرَضْمًا ؛ وَقَدْ يَحْجُورُ أَنْ يَكُونَ
 صورةُ الْعَقْلِ فِي [البديهة] أَوْضَحَ ، وَأَنْ تَكُونَ صورةُ الْحِسِّ^(٢) فِي [الرَّوِيَّةِ] أَلْوَحَ
 إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَرَائِبِ آثَارِ التَّمَسُّ وَوَادِرِ أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْمَدَارُ عَلَى الْعَمُودِ
 الَّذِي سَلَفَ كَفْنُهُ . وَرَسَا أَصْنُهُ .

(٣)

وسمعتُ أبا عابدٍ الكِرْكِرِيَّ صَالِحَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ : التَّنْثُرُ أَصْلُ الْكَلَامِ ،
 وَالنَّظْمُ فَرْعُهُ ؛ وَالْأَصْلُ أَشْرَفُ مِنَ الْفَرْعِ ، وَالْفَرْعُ أَنْقَصُ مِنَ الْأَصْلِ ؛ الْكُرُّ
 لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا رَائِنَاتٌ وَشَائِنَاتٌ ، فَأَمَّا رَائِنَاتُ التَّنْثُرِ فَهِيَ ظَاهِرَةٌ ، لِأَنَّ جَمِيعَ

(١) فِي كَلِمَاتِ السَّحْتَيْنِ « أَكَلٌ » ؛ وَهُوَ غُلَطٌ مِنَ النَّاسِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا هُوَ
 الْمَعْرُوفُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْبَدِيهِةِ وَالرَّوِيَّةِ أَوْ نَعْلُ الصَّوَابِ « الْعَقْلُ » مَكَانُ « الْحِسِّ » مَعَ تَقْدِيرِ
 كَلِمَةِ « أَكَلٌ » .

(٢) فِي كَلِمَاتِ السَّحْتَيْنِ « الْعَقْلُ » مَكَانُ « الْحِسِّ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِ صَوَابُهُ
 مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ .

الناس في أوّل كلامهم يَقصِدون النَّثرَ ، وإنما يتعرضون للنَّظْم في الثاني بداعية عارضة ، وسبب باعث ، وأمر معين .

قال : ومن شَرَفِه أيضاً أنّ الكُتُبَ القديمة والحديثة النازلة من السَّماء على ألسنة الرُّسُل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلّها منشورة مُبسّوطة ، مُتباينة الأوزان ، متباعدة الأبنية ، مختلفة التصاريف ، لا تنقاد للوزن^(١) ، ولا تدخل في الاعارب ؛ هذا^(٢) أمر لا يجوز أن نقابله ما يدحضه ، أو يعترض عليه بما يحرضه^(٣) .

قال : ومن شَرَفِه أيضاً أن الواحدة فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ، والتكلف منه أبعد ، وهو إلى السَّماء أقرب ، ولا توجد الواحدة غالباً على شيء إلا كان ذلك داملاً على خُشْي ذلك الشيء وقمائه ، وبهائه وقمائه .

قال : ومن فصاحة النَّثر أيضاً كما أنّه إلهي بالوحدة ، كذلك هو طبيعيّ البدأ . والبدأة في الطبّيعات وحدة ، كما أنّ الوحدة في الإلهيات بدأة ، وهذا كلام حطير

قال : ألا ترى أنّ الإنسان لا ينطق في أوّل حاله من لدن طهولتيته إلى رمان مديد إلا بالمنتور المتدد ، والميسور المتردد ؛ ولا بلهم إلا ذاك ، ولا مُناغى إلا بذاك ؛ وليس كذلك المنظوم ، لأنه صناعي ؛ ألا ترى أنّه داخل في حصار العروض وأسر الوزن وقيد التأليف ، مع توقي الكسر ، واحتمال أصناف الزحاف ، لأنه لما هبطت درجته عن تلك الرِّبوة العالية ، دخلته الآفة من كلّ ناحية .

(١) في كلتا السحتين « للذوق » ؛ وهو تحريف .

(٢) عبارة ب « وهذا الفن » .

(٣) يحرضه ، أي يفسده . وفي ب « رخصه » ؛ وهو تحريف .

قال : فإن قيل : إن النظم قد سبق العروض بالذوق ، والذوق طبعي ؛ قيل في الجواب : الذوق وإن كان طباعياً فإنه يخدم الفكر ، والفكر مفتاح الصنائع البشرية ، كما أن الإلهام مستخدم للفكر ، والإلهام مفتاح الأمور الإلهية . قال : ومن شرف النثر أيضاً أنه مبرراً من التكلف ، منزهة عن الضرورة ، غني عن الاعتذار والأفتقار^(١) ، والتقديم والنأخير ، والحذف والتكرير ، وما هو أكثر من هذا مما هو مدون في كتب القوافي والعروض لأربابها الذين استنفدوا غايتهم فيها .

وقال عيسى الوريث : النثر من قتل العقل ، والنظم من قبيل الحس ، ولیدخول النظم في طي الحس دخلت إليه الآفة ، وغلبت عليه الضرورة ، وأحتيج إلى الإغناء عما لا يجوز مثله في الأصل الذي هو النثر .

وقال ابن طرارة — وكان من فصحاء أهل العصر بالعراق — : النثر كالحرية ، والنظم كالأمة . والأمة قد تكون حسن وجه ، وأدنت شمانل ، وأخلت حركات : إلا أنها لا توصف بكرم جوهر الحرية ولا بشرف عرقها وعتيق نفسها وقصلي حياؤها .

وقال : ولشرف النثر قال الله تعالى في النثر : (إذا رأيتهم حسنتهم لؤلؤاً منثوراً) ولم تنم : لؤلؤاً منظوماً ؛ ونجوم السماء منشرة وإن كان أنتثارها على نظام ، إلا أن نظامها في حد^(٢) العقل ، وأنتثارها في حد^(٣) الحس ، " لأن الحكمة إذا غلبت نفسها^(٤) كانت الغلبة للفتورة القائمة بالقدرة " .

(١) في كلتا النسختين : « والاعتقاد » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصول « في بلد » في كلا الموضعين ؛ ولعل التصواب ما أنقما .

(٣) في كلا الأصلين « قطعت » ؛ وهو تحريف . وورد بعد قوله « بالقدرة » قوله

« أبلغ » وهي زيادة من الناسخ لا مقتضى لها .

وقال أحمد بن محمد كاتب رُكن الدَّوْلَة : الكلام المنثور أشبه بالوشى ، والمنظوم [أشبه] بالنثر المخطط ، والوشى يروق ما لا يروق غيره .

ويقال : كُنَّا في نِثار فلان ، ولا يقال : [كُنَّا] في نظام فلان .

وقال ابن هندو الكاتب : إذا نُظِر في النظم والنثر على أَسْتِعَابِ أحوالهما وشَرَائطهما ، والأُطْلَاع على هَوَادِيهما وتَوَالِيهما كَانَ أَنَّ المنظوم فيه نثرٌ من وَجْه ، والمنثور فيه نظمٌ من وَجْه ، ولولا أَنهما يَسْتَهِمَانِ هَذَا النَّعْتَ لَمَا ائْتَلَفَا وَلَا اُخْتَلَفَا .

وقال ابن كعب الأضاري : مِنْ شَرَفِ النَّثْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِأَمْرٍ وَنَاهِيٍّ ، وَمُسْتَخْبِرٍ وَمُخْبِرٍ ، وَهَادِيٍّ وَوَاعِظٍ ، وَغَاضِبٍ وَرَاضِيٍّ ، وَمَا سَلِبَ النَّظْمُ إِلَّا لِهَبُوطِهِ عَنْ دَرَجَةِ النَّثْرِ ، وَلَا نُزَّةَ عَنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ ، وَلَوْ تَسَاوَا لِنُطْقَ بِهِمَا ^(١) ، وَلَمَّا اُخْتَلَفَا خُصَّ بِأَشْرَفِهِمَا الَّذِي هُوَ أَجْوَلُ فِي تَمْيِيعِ الْمَوَاضِعِ ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْمَنَافِعِ .

فهذا قليل من كثير مما تكون تبصرة لباعى هذا الشأن ، وَلَمَنْ يَتَوَخَّى حَدِيثَهُ عِنْدَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

وَأَمَّا مَا يُفْضَلُ بِهِ النَّظْمُ عَلَى النَّثْرِ فَأَشْيَاءُ سَمِعْنَاهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانَتْ سَمَاءُ عِلْمِهِمْ دَرُورًا ، وَبَحْرُ أَدَبِهِمْ مُتَلَاطِمًا ، وَرَوْضُ فَضْلِهِمْ مُزْدَهَرًا ، وَشَمْسُ حِكْمَتِهِمْ طَالِعَةً ، وَنَارُ بِلَاقَتِهِمْ مُشْتَعِلَةً ، وَأَنَا آتِي عَلَى مَا يَحْضُرُنِي مِنْ ذَلِكَ ، مَنَسُوبًا إِلَيْهِمْ ، وَتَحْسُوبًا لَهُمْ ، لِيَكُونَ حَقُّهُمْ بِهِ مَقْضِيًّا ، وَذِكْرُهُمْ عَلَى صَرِّ الزَّمَانِ طَرِيًّا .

قال السلاحي : من فضائل النظم أَنْ صَارَ [لَنَا] صِنَاعَةٌ بِرَأْسِهَا ، وَتَكَلَّمَ

(١) في كلتا النسختين « عنهما » .

الناسُ في قوافيها ، وتوسَّعوا في تصاريِفها وأعارِيفها ، وتصرَّفوا في بحورها ، واطَّلَعوا على عجائب ما أُستُخْزِنَ فيها من آثار الطَّبيعة الشَّريفة ، وشَوَاهِدِ القُدرةِ الصادقة ؛ وما هكذا النثر ، فإنه قَصَّرَ عن هذه الذُّرْوَةِ الشَّاحِخَةِ ، والقُلَّةِ العالية ؛ فصار بذلكِ بذلةً لكافةِ الناطِقِينَ من الخاصةِ والعامةِ والنساءِ والصِّبيانِ .

وقال أيضاً : من فصائل النظم أنه لا يُغْنَى ولا يُحْدَى [إلا بِحَيْدِهِ] ولا يُوَهَّل لِلْعَيْنِ الطَّنْطَنَةِ^(١) ، ولا يُحَلَّى بالإيقاع الصحيح غيره ، لأن الطَّنْطَنَاتِ والنَّقَرَاتِ ، والحركاتِ والسكناتِ لا تتناسب إلا بعد اشتغال الوزن والنَّظْمِ عنِها ، ولو [كان] فعلٍ [هذا] بالنثر كان منقوصاً ، كما لو لم يُفْعَلْ هذا بالنظم لكان محسوساً ؛ والغناء معروفُ الشَّرَفِ ، عجيبُ الأثر ، عَرِيزُ [القَدَرِ] ، ظاهرُ النِّعِ في معانِةِ الروح ، ومُنَاعَاةِ العقل ، ونسيه النفس ، وأَحْنَلابِ [الطَّارِبِ] ، تفرِّجُ الكُرْبَ ؛ وإثارةِ المِرَّةِ ، وإعادةِ العِرَّةِ ، وإذْكَرَ العهدِ ، وإظهارِ النَجْدَةِ ، وأَكْتَسَبَ السَّلْوَةَ ؛ وما لا يُحْفَى عَدَدُهُ .

ونقل : ما أحسنَ هذه الرسالةَ لم يكن فيها شيءٌ من السَّعَرِ . ولا يقال : ما أحسنَ هذا الشعرَ لو كان فيه شيءٌ من النثر ، لأن صورةَ المنظومِ مخمومة ، وصورةَ المنشورِ صائغة .

وقال أن نُبَاتَةَ : من فصل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والخجج لا تؤخذ إلا منه ، أعني [أن] العلماء والحُكَمَاءَ والمُفَقِّهَاءَ والنحاةَ بَيْنَ اللَّغَوِيَّينِ يقولون : « قال الشاعر » ؛ و « هذا كثيرٌ في الشعر » ، و « الشعرُ مدأتى به » ، فعلى هذا الشاعرُ هو صاحبُ الحجَّةِ ، والشعرُ هو الحجَّةُ .

وقال الخالغ : للشُعراءِ حَلْبَةُ ، وليس للبلغاءِ حَلْبَةُ ، وإذا كَتَبَتْ جوائزُ

(١) الططة : حكاية صوت الطيور وشبهه .

الشُعراء التي وَصَلَتْ إليهم من الخُلفاء ووُلاةِ العُهود والأمراء والوُلاةِ في مقاماتهم المؤرَّخة ، ومجالسهم الفاخرة ، وأنديتهم المشهورة ، وجَدَتْهَا خَارِجَةً عن الحَضَر ، بعيدةً من الإحصاء ؛ وإذا تَتَبَّعْتَ هذه الحالَ لأصحاب النثر لم تجد شيئاً من ذلك ؛ والناس يقولون : ما أكلَ هذا البليغَ لو قرَضَ الشعرَ ! ولا يقولون : ما أشعرَ هذا الشاعرَ لو قَدَّرَ على النثر ! وهذا لغنى الناظمِ عن النَّاثِرِ ، وفقرِ النَّاثِرِ إلى الناظمِ ؛ وقد قَدَّمَ الناسُ أبا عليَ البصيرَ على أبي العَيْناء ، لأنَّ أبا عليَ جَمَعَ بين الفصليتين ، وضربَ بالسَّيْفَيْنِ^(١) في الحومتين ، وفازَ بالقِدْحَيْنِ المَعَانَيْنِ^(٢) في المسكنتين .

- (هـ) وقال لنا الأسعاري . سمعتُ ابنَ ثوابَةَ الكاتب يقول : لو تصفَّحنا [ما صارَ إلى] أصحاب النثر من كُتَّاب البلاغة ، والخطباء الذين دَبُّوا عن الدولة ، وكَلَّمُوا في صنوف أحوالها وفنون ما جرى الليلُ والنهارُ به ؛ [ممَّا] فَنَقَى به الرِّيقَ ، ورُبِّقَ به الفَتَقُ ، وأُصْلِحَ به الفاسدُ ، وأُمِّمَ به الشَّعَثُ ، وفُرِّبَ به المعدد . وُتْمِدَ به الفرب ، وحُقِّقَ به [الحقُّ] ، وأُبْطِلَ به [الباطل] ، لكان يوفى على كلِّ ما صارَ إلى جميع من قال الشعرَ ولألك القصيد ، ولَهَجَ بالقريض ، واستباحَ بالمرَّحمة ؛ ووَفِّتَ مَوْفِ المَظْلُومِ ، وأُصْرَفَ انصرافَ المَحْرُومِ ؛ وأين من يَفْتَخِرَ بالقريض ، ويُدِيكُ بالنَّظْمِ ، ونباهي بالبديهة ، من وزير الحليمة ، ومن صاحب السرِّ ، ومن لبس بين لسانه ولسان صاحبه واسطة ، ولا بين أذنه وأذنه حجاب ؟ ! ومتى كانت الحاجةُ إلى الشعراء كالخاجة إلى الورراء ؟ ! ومتى قامَ وريرُ لساعرٍ للخدمة أو للتَّكْرمة ؟ ! ومتى نَعَدَ شاعرٌ لوزير

(١) في كلتا النسختين ؛ « وضرب بالسَّيْفَيْنِ في الحرمين » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في كلتا النسختين : « الملعين » ؛ وهو تحريف .

على رجاء وتأميل^(١) ! بل لا ترى شاعراً إلا قائماً بين يدي خليفة أو وزير أو أمير
باسط اليد ، ممدود الكف ، يستعطف طالباً ، ويسترحم سائلاً ؛ هذا مع الدّلة
والهوان ، والخوف من الخيبة والجحمان ، وخطر الردّ عليه في لفظ يمرّ ،
وإعراب يجرى ، واستعارة تعرض ، وكناية تعترض ، ثم يكون مقلّياً
مشيناً بما يظنّ به من الهجاء الذي ربما دلّاه في حومة الموت ، وقد برأ الله
تعالى بإحسانه القديم ومنه الجسم صاحب البلاغة من هذا كله ، وكعاه
مؤونة الغدر به ، والضرر فيه .

قال : وكان ابنُ ثوبة إذا جال في هذه الأكناف لا يُلاحقُ شأوه ، ولا
يُشقُّ غباره ، ولا يُطمع في جوابه .

قال : وله مناظرات واسعة في هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقصوه
وعارضوه ، وكاشفوه وواجهوه : ثبات لهم ، وانصف منهم ، وأزبى عليهم ،
ولم يُتَمِّعْ عن مسالطهم^(٢) ومُسالطهم إلى أن كصوا على أعقابهم ، وزاحموا
ما هو أولى بهم

(٦) قال أبو سليمان : المعاني المعقولة بسيطة^(٣) في نخبوحة النفس ، لا يحوم
عليها شيء قبل المكر ، فإذا لقيها المكر بالدهنِ الوثيق والمهم الدقيق
ألقى ذلك إلى العماراة ، والعماراة^(٤) حينئذ تتركب بين وزنٍ هو المظم للشعر ،
وبين وزنٍ هو سياقة الحديث ؛ وكلُّ هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة ،

(١) في كلتا السحتين « على وجه وتأمل » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في « مصالطهم » ، وفي « مصالطهم » ؛ وما أثبتناه هو أسب سياق العبارة .
والمسالطة معروفة . والمبالطة : المجادلة والمنازلة .

(٣) بسيطة ، أي مبسطة .

(٤) في « إلى العائدة والفارة » ؛ وهو تحريف .

وصورة حسناء أو قبيحة ، وتأليف مقبول أو ممجوج ، وذوق خلو أو مر^(١) وطريق سهل أو وعر ، واقتضاب مفضل أو مردود ، واحتجاج قاطع أو مقطوع ، وبرهان مستفير أو مظلم ، ومتناول بعيد أو قريب ، ومسموع مألوف أو غريب .

قال : فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفتنا فللنثر فضيلته [التي] لا تُنكر ، وللنظم شره [الذي] لا يُجحد ولا يُستّر ، لأن مناقب النثر في مقابلة مناقب النظم ، ومناقب النظم في مقابلة مناقب النثر ؛ والذي لا بد منه فيهما السلامة والدقة ، وتجنب العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص .

وقد قال بعض العرب : حيرُ الكلام ما لم يُحتج معه إلى كلام . (٧)

ووقف أعرابي على مجلس الأخفش سمع كلام أهله في النخو وما بدخل معه ، فحار وعجب ، وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما سمع يا أبا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا مما ليس من كلامنا .

وقال أعرابي آخر :

ما زال أخذهم في الجوى يُعْجِمُنِي^(٢) حتى سمعتُ كلام الزنج والرؤم .
وقال أبو سليمان : نخو العربِ فطرة ، ونخو بنا فطنة ؛ فلو كان إلى الكمال سبيلُ لكاتِ فطرتهُم لنا معِ وطنينَا ، [أو كانت فطنتنا لهم] معِ فطرتهُم .

وقال : لمّا غيّزت الأشياء في الأصول ، تلاقت ببعض التشابه في المروع ، ولمّا بابت الأشياء بالطبائع ، تألّمت بالمُشاكلة في الصنائع ، فصارت من

(١) في ١ : « أو كره » .

(٢) في كلتا السختين : « يعجبي » ؛ وسياق البيت يقتضي ما أثبتنا .

حيث أفرقت مُجْتَمِعَةً ، ومن حيثُ أَجْتَمَعَتْ مَفْتَرِقَةً ، لتكون قُدْرَةُ اللَّهِ — عزَّ وجلَّ — آتِيَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَحَكْمَتُهُ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَشِيئَتُهُ نَافِذَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وقد أنشدَ بعضُ الأعرابِ ما يَقتَضِي هذا المِكانُ رَسْمَهُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِمَا نَحْنُ فِيهِ فِي ذِكْرِهِ وَوَصْفِهِ .

قال :

ما دَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْنَعِرِ بَيْنَ وَمِنْ تَأْسِيسِ خَوَهِيمٍ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إِنْ مِلْتُ قَاطِبَةً فِيهِ يَكُونُ لَهَا مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا وَصَّعُوا
قَالُوا لَحَنْتُ وَهَذَا الْحَرْفُ مُنْخَصِصٌ وَدَاكُ تَصَنُّعٌ وَهَذَا أَيْسَرُ مَعَ
وَحَرَّسُوا بَيْنَ عَمَدِ اللَّهِ وَاحْتَدَّوْا وَبَيْنَ رَبْدٍ وَطَالِ الْعَصْرِيبِ وَالْوَحَمِ
إِنِّي نَشَأْتُ بِأَرْضٍ لَا تَنْتَهِي بَارِزِ الْحُمُوسِ وَلَا تَنْبُئِي بِهَا الْجَبَبِ
وَلَا يَطَّأُ الْقِرْدُ وَالْأَخِيرُ سَاحَتَهَا لَكِنْ هِيَ الْهَيْقُ وَالسَّيْدَانُ وَالصَّدَعُ^(١)
مَا كَلْتُ قَوْلِي مَعْرُوفٌ لَكُمْ خُذُوا مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا مَدْعُوا
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ مَدَّ أَحْتَالُوا لِمَنْطِقَتِهِمْ وَآخِرِينَ عَلَى إِعْرَاسِهِمْ طُودُوا
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَانَةً وَبَيْنَ قَوْمٍ رَوَوْا مَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا
هَذَا هَذَا .

(٨) وقال أبو سليمان : البلاغة ضروب : فمنها بلاغة الشعر (ومنها بلاغة الخطابة) [(٢)]

(١) الهَيْقُ : الظليم ، وهو دكر العام ، والسَّيْدَانُ : الدُّنَابُ ، الواحد سيد دكر الدين ، والصَّدَعُ من الوَعُولِ والظَّبَاءِ وَحَرُّ الْوَحْشِ وَالْإِبِلِ : النَّشَابُ الْفَتَى .

(٢) لم ترد هذه التكملة في كلتا النسختين ؛ وقد أثبتناها لما سيأتي بعد من الحديث عنها بعد تفصيل هذه الأنواع .

[ومنها بلاغة النثر ، ومنها بلاغة المثل ، ومنها بلاغة العقل] ، ومنها بلاغة البديهة ، ومنها بلاغة التأويل .

قال : فأما بلاغة الشعر فأن يكون نَحْوُهُ مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً ، واللفظ من الغرب بريئاً ، والكتابة لطيفة ، والتصريح احتجاجاً ، والمؤاخاة موجودة ، والمؤاماة ^(١) ظاهرة .

وأما بلاغة الخطابة ^(٢) فأن يكون اللفظ قريباً ^(٣) . والإشارة فيها غالبية ، والسجع عليها مستولياً ، والوهم في أعضائها سالحاً ، وتكون فقرها قصاراً ، ويكون ركانها شوارداً إبل .

وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً ^(٤) ، والمعنى مشهوراً ، والتهديد مستعملاً ، والتأليف سهلاً ، والمراد سلباً ، والرواقُ عالياً ، والخواشي رقيقة ، والتمناح مصقولاً ، والأمثلة حفيفة المأخذ ، والموادى متصلة ، والأعجاز مُفَصَّلة ^(٥) .

وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضباً ، والحذف محتتملاً ، والصورة محفوظة ، والمرعى لطيفاً ، والتلويح كاوياً ، والإشارة مُغْنِيَّة ، والعبارة سائرة ^(٦) .
وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن ، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع

(١) في ب : والمراعاة ، وفي أ : والمراقبة ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .
(٢) في كلتا النسختين « الكتابة » ؛ وهو تحريف ، لما فيه من التكرار ، لأنه سيتكلم فيما بعد عن بلاغة النثر .
(٣) في كلتا النسختين : « غرباً » بالعين ؛ ولعل صوابه ما أنشأ .
(٤) في كلا الأصلين : « متبدلاً » ؛ وهو تحريف .
(٥) في أ : « مفضاة » ؛ وهو تحريف .
(٦) في ب : « سائرة » .

اللفظ ، وتقنية الحروف ، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب ، ويكون المقصود ملحوظاً في عرض السّنن^(١) ، والمرمى يُتَلَقَّى بالوهم لحسن الترتيب .

وأما بلاغة البديهة فإن يكون أنحياش^(٢) اللفظ للفظ في وزن أنحياش^(٣) المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجبُ للسامع . لأنه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنه يظفر به كمن يعثر بأموله ، على غفلة^(٤) من تأمله ، والبديهة قدرة روحانية ، في جبلة بشرية ، كما أن الرؤية صورة بشرية ، في جبلة روحانية .

وأما بلاغة التأويل فهي [التي] تُخَوِّج لغوصها إلى الدبر والتفحص ، وهذان يفيدان من المسموع وجوهاً مختلفة كثيرة ناعمة ، وهذه البلاغة يُتَمَسَّعُ في أسرار [معاني] الدين والدنيا ، وهي [التي] تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله عز وجل وكلام رسوله — صلى الله عليه وسلم — في الحرام والحلال ، والحظر والإباحة ، والأمر والنهي ، وغير ذلك مما يكثر ؛ وسها تفأصلوا ، وعليها تجادلوا^(٥) ، وفيها تفأفأوا ، ومنها استملأوا ، وسها اشتغلوا ؛ واقد فُقدت هذه البلاغة لفقد الروح كله ، وتطل الاستنباط أوّله وآخراه ، وحولان النفس وأعتصار الفكر إنما يكونان هذا التعمق في أعماق هذا الفن ؛

(١) وردت هذه الكلمة في أهمية الحروف من الخط ، وفي ب « السب » ؛ وهو غير واضح المعنى ، وأمل صوابه ما أننا . والسب : الطريق .

(٢) في ب : « اختلاس » ، ولم تأت معناه ؛ وأمله محرف عما أنبأنا .

(٣) في أ ، ب « عقلة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أننا كما يقتضيه السياق ، وفي (١) أيضاً قبل هذه الكلمة قوله : « كن يعبر بمقوله » ، وهو تحريف كذلك .

(٤) في كلتا السختين « في حلية » ، وهو تصحيف .

(٥) في ب « يحاولوا » ؛ وهو تحريف .

وهاهنا تَنْثَالُ^(١) الفوائد ، وتكثرُ العجائب ، وتَتَلَاقُ الخواطر ، وتَتَلَاحِقُ^(٢) المهَم ، وَمِنْ أَجْلِهَا يُسْتَعَانُ بِقُوَى^(٣) البلاغاتِ المتقدِّمةِ بالصِّفَاتِ الْمُعْتَمَلَةِ^(٤) ، حتى تكون مُعِينَةً ورافِدةً في إثارة المعنى المدفون ، وإثارة المرادِ المخزون .
وأمثلة^(٥) هذه الأبواب موجودةٌ في الكتُب ، ولولا ذلك لَرَسَمْتُ في هذا المكان لكل فنٍّ مثلاً وَشَكَّلْتُ شَكْلاً ، ولو فعلتُ ذلك لَكُنْتُ مُكْرِّراً لما قد سُبِقَ إليه ، ومتكلِّفاً ما قد لُقِّنَ من قبل . على أن الزُّهْدَ في هذا الشَّانِ قد وَضَعَ^(٦) عَنَّا وعن غيرنا مؤوَّنةَ الخَوْضِ فيه ، والتعَنَّى به ، والتوفَّرَ عليه ، ونقدِّمُه على ما هو أَهَمُّ^(٧) منه ، أَغْنِي طالبَ القوتِ الَّذِي ليس إليه سبيل إلا يَبِيحَ الدِّينَ ، وإِخْلَاقِ المروءة ، وإِرافَةِ ماءِ الوجه ، وكَدِّ البدنِ ، [وتَجَرُّعِ الأُسى ، ومُقَاسَاةِ الحُرْقَةِ ، وَمَضِّ الحِرْمَانِ] ، والصَّبْرِ على ألوانٍ وألوانٍ ؛ واللهُ المُسْتَعَانُ .

وقد كان هذا البابُ يُتَنَاسَمُ فيه أَوَانُ كان للخلافةِ بِهِجَّةً ، وللنِّبَاةِ عنها بَهَاءً ، وللذِّيانَةِ مُعْتَقِدَ^(٨) ، وللمَرْوَةِ عاشقٍ . وللخَيْرِ مُنْتَهَزٍ ، وللصَّدَقِ مُؤَثِّرٍ ، وللأَدَبِ شُرَاةً^(٩) ، وللبيانِ سَوَقٍ ، وللصَّوَابِ طَالِبٍ ، وفي العلمِ رَاغِبٍ ؛ فأما

(١) في أ « تتقابل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « توقي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في أ المشتعلة ؛ وهو تحريف .

(٤) يظهر أن هذا وما بعده من كلام المؤلف لا من تنمة كلام أي سليمان .

(٥) في أ « رصع » ؛ وهو تحريف .

(٦) في أ « أعم » ؛ وهو تحريف .

(٧) في ب « معمد » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين « شارة » ؛ وهو تحريف .

[اليوم] واليدُ عنه^(١) مقبوضة ، والذَّيْلُ دُونَهُ مشمَّرٌ ، والمُتَحَلَّى بِجَمَالِهِ مَطْرُودٌ ،
والمُبَاهِي بِشَرِّهِ مُبْعَدٌ ، فَمَا يُصْنَعُ بِهِ ، وَلِلَّهِ أَمْرٌ هُوَ بِالْفُ .

(١) وقال ابنُ دُأْبٍ : قال لي [ابن] موسى : اجتمعنا عند عبد الملك بن سُرَوَّانٍ
فقال : أَيُّ الآدَابِ أَغْلَبُ عَلَى النَّاسِ ؟ فقلنا مَا كَثُرْنَا فِي كُلِّ نَوْعٍ : فقال
عبد الملك : مَا النَّاسُ إِلَى شَيْءٍ أَخْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى إِقَامَةِ السَّنَةِ التي بها يتعَاوَرُونَ
القول ، وَيَتَعَاطَوْنَ البيان ، وَيَتَهَادَوْنَ الْحُكْمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ الْعِلْمِ
مِنْ مَحَابِهَا^(٢) : وَيَحْجَمُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ إِنَّ الْكَلَامَ فَارِقٌ لِلْحُكْمِ بَيْنَ
الْخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو ظُلَمَ الْأَعْلِيَّاتِ ، وَحَاجَةٌ النَّاسِ إِلَيْهِ كَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ^(٣)
الْأَغْذِيَةِ .

وقد قال زهير :

لِسَانُ الْعَقِي صَفَتْ وَصَفَتْ مَوَادُّهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

وقلنا : لَمْ يَقُلْهُ زُهَيْرٌ ، إِمَّا فَالَهُ زِيَادُ الْأَعْجَمِ ؛ فقال : لَا ، وَلَهُ مِنْ هُوِ
أَعْظَمُ تَجَرِبَةً وَأَنْطَقُ لِسَانًا مَه^(٤) .

وقال أبو العَينَاءِ : سمعتُ العَبَّاسَ بْنَ الْحَسَنِ الْعَلَوِيَّ يَحْفُ كَلَامَ رَحُلٍ
[فقال] : كَلَامُهُ سَمِخٌ^(٥) سَهْلٌ ، كَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبٌ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ

(١) عنه ، أَي عَنْ هَذَا الدَّابِ السَّاقِ ذَكَرَهُ ، وَهُوَ التَّأْوِيلُ .

(٢) فِي « أ » مَحَابِهَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي « أ » مَوَادِّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي « أ » قَوْلُهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي « ب » شَيْخٌ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

سبب ؛ كأنما هو تُخَفَّةٌ^(١) قادم ، ودواء مريض ، وواسطة قِلادة .
 ورأيتُ أبا إسحاق الصابي وهو يعجب من فضلي قرأه من كتاب ورد
 عليه ، وهو : أشعر قلبك ياس مجاوز^(٢) السبيل ، مقصّر عن الشوط .
 وقال ابن ذكوان : سمعتُ إبراهيم بن العباس^(٣) الصولي يقول : ما سمعتُ
 كلاماً مُخَدَّثاً أَجْزَلَ في رِقَّة ، ولا أَضْعَبَ في سُهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من
 قول العباس بن الأحنف :

تَعَالَى نُجَدُّ دَارِسَ الْعَهْدِ بَيْنَنَا كِلَانًا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومٌ
 أَنَاسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَقَاطِعَةٌ حَبْلَ الصَّفَاءِ ظَلُومٌ
 وفي الجملة ، أحسن الكلام مَارَقَ لَفْظُهُ ، وَلَطَفَ مَعْنَاهُ ، وتَلَاَّ رَوْنَقُهُ ،
 وقامت صُورَتُهُ بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يُطِمِعُ مشهوده بالسَّمْعِ ،
 وَيَمْتَنِعُ مقصوده على الطَّبْعِ ؛ حَتَّى إِذَا رَامَهُ مُرْيَغٌ^(٤) حَلَقَ ، وَإِذَا حَلَقَ^(٥)
 أَسَفٌ ، أَعْنَى يَتَبَعُدُ عَلَى الْمُحَاوِلِ بَعْنُفٍ ، وَيَقْرُبُ مِنَ الْمُتَنَاوِلِ بِلُطْفٍ .
 وما رأيتُ أَحَدًا تَنَاهَى فِي وَصْفِ النَثْرِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ وَعَلَيْهِ غَيْرَ قُدَامَةِ
 ابن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه ؛ قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرضَ
 علي قُدَامَةَ كتابه سنة عشرين وثلثمائة ؛ واختبرته^(٦) فوجدته قد بالغَ وأحسنَ ،
 وتفرَّدَ في وَصْفِ فُنُونِ البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من

(١) في « حقه » .

(٢) في ب « مجاوزاً للشك مقصراً عن القنوط » ؛ وهو تحريف .

(٣) و ب « ابن ذكوان » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٤) في « مرثقم » ؛ وهو تصحيف . والمرغ : الطالب .

(٥) إذا حلق ، أي المريج .

(٦) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من القبط .

طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبي والمعيّب المجتنب . ولقد شاكه^(١) فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ؛ ولكنني وجدته هين اللفظ ، ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه . والعرب تقول : [فلان] يدل ولا يدل ، حكاه ابن الأعرابي ، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، وحسن التصور ، وتوارد المعنى ، ونقد الطبع ، وتصرف^(٢) القريحة . قال : ولولا أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه ، والفن الذي ملكه ، والكنز الذي هجم عليه ، والنمط الذي ظفر به ؛ قد^(٣) رز في أحسن معرض ، وتحلى بالطف كلام ، وماس في أطول ذيل ، وسفر عن أحسن وجه ، وطلع من أقرب نفق ، وحلق في أبعد أفق .

وابن المراغي يقول كثيراً — وهو شيخ من جلة العلماء ، وله سهم واف في زمرة البلغاء — : ما أحسن معونة الكلمات القصار ، المشتعلة على الحكم الكبار ، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توأمية عند الحاجة ، وتستصحب أخواتها على سهولة ؛ وهكذا مصاريم أبيات الشعر ؛ فإنها تختلط بالنثر متقطعة وموزونة ، ومنتيرة ومنصودة .

قال [لى] ابن عبيد الكاتب : بلغني [هذا الوصف] عن هذا الشيخ ؛ قبلوته بالتتبع فوجدته على ما قال ؛ وما أشبه ما ذكره إلا بالعشرة^(٤) المعدة

(١) في (١) « سأله » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين « وتصور » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « وقد رز » والواو زيادة من الناسخ كما هو ظاهر .

(٤) الصورة : كيس الدرام والديناير ؛ والذي في كلا الأصلين « الجرة » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به الكلام .

عند الإنسان ، لما يحتاجُ إليه في الوقت المهم والأمر المُلِم ؛ فهذا هذا .
فقال — أدام الله دولته ، وكبت أعداءه — : قدَّم هذا الباب [فقد
أتى] ^(١) على ما لم أظن أنه يؤتَى عليه ويُهتدى إليه — إذا شئت ؛ وأنصرفْتُ .

الليلة السادسة والعشرون

ثم قال : وما أمثلةُ الكلماتِ القصارِ التي أوَمَّا إليها ذلك الشيخ ؟
(١) فكان [من] الجواب : إن هذا الباب واسع ، نحو قول القائل : ما خابَ من
استخار ، ولا ندم من استشار . كلُّ عزيزٍ دَخَلَ تحتَ القُدرة فهو ذليل .
غَنِمَ من أدبتهُ الحكمة ، وأحكمتهُ التجربة . التضامن رائدُ التباين . المرء
ما عاشَ في تجريب .

الدهرُ [يومٌ ويومٌ] والعيشُ عَذْلٌ ولَوْمٌ

* وأكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مع اليأسِ *

من لم يُقدِّمه حَرَمٌ آخرَه عَجَز . كم مستدرجٍ بالإحسان إليه ، ومُغتَرٍّ
بالبُسرِ ^(٢) عليه . الحزبُ ^(٣) مُثْلِفَةُ العباد ^(٤) مُذهِبةُ للطارف والتلاد .

* ليس المُقِلُّ عن الزَّمانِ براصي *

من ضاق صدرُهُ اتَّسعَ لسانه .

* وحَسْبُكَ داءٌ أن تصِحَّ وتسَلما *

(١) هذه الكلمة لم ترد في كلا الأصلين ، وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) في كلتا النسختين « بالبسر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) « الحزن » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (١) العيال ؛ وهو محريف .

العيال سُوس المال . الموتُ القادِحُ خَيْرٌ من الزَّيِّ الفاضح . احذروا
نفادَ النِّعمِ ، فما كُلُّ شاردٍ مردود . خير الأمور أوساؤها . يَكْفِيكَ من شرِّ
سماعه . الكريمُ لا يَلِينُ على قَسْر ، ولا يُقْتَسَرُ على يُسْر . ما أَدْرَكَ النِّعمُ
ثاراً ، ولا نَحَا عاراً .

- * ومن يَبْكِ حَوْلَ كَامِلَا فَقَدْ أَعْتَذَرَ *
- * إِنَّ الْمَطَامِعَ فَقْرٌ وَالْفَنَى الْيَاسُ *
- * وَالْأَمْرُ تَحْقِيقُهُ وَقَدْ يَنْمَى *
- * [رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ *
- * ذَهَبَ الْقَصَا بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ]
- * وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ *
- * وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلْ *

من عُرِفَ بالحكمة لاحظته العيونُ بالهَيْبَةِ . البَطْنَةُ تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ ، إِنَّ
الْمَقْدَرَةَ ^(١) تَذْهَبُ الْحَمِيظَةُ . من ثَقُلَ على صديقه حَفَّ على عدوّه . زيادةُ
لسانٍ على عَقْلِ خُدْعَةٌ ، وزيادة عَقْلٍ على مَسْطَقٍ هُجْنَةٌ .

- * وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُصِي *

مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ، أَعْطَى عَدُوَّهُ مُنَاهُ

- * عِنْدَ الشَّدَادِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ *

إِحْذَرُ صَرَاعَاتِ الْبَغْيِ وَفَلَنَاتِ الْمِرَاحِ .

(١) كذا في جمع الأمثال للبيدائي ، والذي في الأصول « الطنة تذهب » الخ ، وهو
تدليل من الناسج .

* ومن يَسْأَلُ الصُّغْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ *

« المرءُ يَعِجُزُ لَا الْمَحَالَةَ »

ذُلُّ الطَّالِبِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ ، إِذَا أُرْذِحَ الْجَوَابَ خَفِيَ الصَّوَابُ . الْكَرِيمُ لِلْكَرِيمِ مُجَلٌّ . مَوْتُ فِي قُوَّةٍ وَعِزٌّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعِجْزٌ . عَدْلُ السُّلْطَانِ خَيْرٌ مِنْ خِصْبِ الزَّمَانِ . مَنْ تَوَقَّى سَلَمٌ ، وَمَنْ تَهَوَّرَ نَدَمٌ ، مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . الضَّرُّ^(١) خَيْرٌ مِنَ الْفَاقَةِ ، عَمَى صَامِتٌ خَيْرٌ مِنْ عَمَى نَاطِقٍ . رُبَّمَا سَوَّدَ الْمَالُ غَيْرَ السَّيِّدِ ، وَقَوَّى غَيْرَ الْأَيْدِ . وَهَلْ يَذْفَعُ رَبِّبَ الْمَنِيَّةِ الْحَيْلُ .

* الْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ *

كَبِيَ بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ عُذْرًا ، وَبِرَجَاءِ الْعَمْرِ شَافِعًا . قَلِيلٌ يُوعَى ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُنْسَى ، لَيْسَ عَلَى طَوْلِ الْجِدَمِ^(٢) نَدَمٌ ، وَمَنْ وَرَاءَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَعْلَمْ . مَرْوَةٌ تَانُ ظَاهِرَتَانِ : الرَّأْسَةُ^(٣) وَالْمَصَاحَةُ . مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ . لَا سَكَلَفُ مَا كُنَيْتَ ، وَلَا نُضَيِّعُ مَا وَلَيْتَ . احْتَمِلْ مِنْ أَدَلَّ عَلَيْكَ ، وَأَقْبَلْ مِمَّنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ .

* إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْقَطْبُ *

* إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى مَا نَابَهُمْ صَبْرٌ *

لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْأَخْتِلَافُ . لَا عُذْرَ فِي غَدْرٍ . لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الْعَبْر » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « الْحَيَاة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « الرِّيَاش » .

سُرْعَةُ الْعَذْلِ . أَقْبَحُ عَمَلِ الْمُقْتَدِرِينَ أَلَا نَتَقَامَ . شَرُّهُ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يُتَمَنَّى لَهُ
 الْمَوْتُ . مِنْ جَاعٍ جَشِيعٍ . الْمَكِيدَةُ فِي الْحَرْبِ أَبْلَغُ مِنَ النَّجْدَةِ . لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ،
 مَا أَصْلَحَ مَثْوَاكَ . مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَطَاعَ ، لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ ، إِذَا غَلِبَتْكَ نَفْسُكَ
 بِمَا تَظُنُّ ، فَأَغْلِبْهَا بِمَا تَسْتَيْقِنُ . الرَّدُّ الْجَلِيلُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَطْلِ الطَّوِيلِ . الْقَبْرِ
 خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . شَفِيعُ الْمُذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَتُهُ أَعْتِذَارُهُ . صُخْبَةُ الْأَشْرَارِ ، تَوْرَثُ
 سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ ، لَا كَثِيرَ مَعَ تَبْذِيرٍ ، وَلَا قَلِيلَ مَعَ تَقْدِيرٍ . مِنْ صَانَ لِسَانَهُ
 نَجَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .

- * وَلَرَبِّمَا نَفَعَ الْعَمَى كَذِبُهُ *
- * وَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ *
- * إِذَا مَزَعَ الْعَوَادُ فَلَا رُقَادُ *
- * مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ *
- * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ *
- * إِنَّ الْعِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ *
- * إِنَّ الشَّعِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَّعُ *

لَا تَبْسُلْ عَلَى أَمْكَةٍ ، وَلَا نَفْسَ سِرِّكَ إِلَى أُمَّةٍ . إِذَا أَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ
 أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . فِي التَّجَارِبِ
 عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ . قَدْ خَاطَرَ مَنْ أَسْتَغْنَى رَأْيِهِ . عَلَيْكَ لِأَحْيِكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ .
 الْحَقُّ ظِلٌّ ظَلِيلٌ . الْمَوَدَّةُ فَرَاةٌ مُسْتَعَادَةٌ . مُعْدِمٌ وَصُولٌ خَيْرٌ مِنْ مُكْتَرٍ جَافٍ . مِنْ
 الْقَرَاغِ تَكُونُ الصَّبُوةُ . مَنْ نَالَ أَسْتَطَالَ . فِي نَقَلِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ .
 الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ النِّقْمَةِ . اللَّبُّ مِصْبَاحُ الْعِلْمِ . مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ ، لَمْ يَأْمَنْ
 الْكَبُوتَ . إِزَالَةُ الرِّوَاسِي ، أَيْسَرُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ . قَارِبُ النَّاسِ فِي عَقُولِهِمْ ،

تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ، وَتَرْتَعُ فِي حَدَائِقِهِمْ . عَاشِرُ أَخَاكَ بِالْحُسْنَى . الْحَسَدُ أَهْلَكَ
الْجَسَدَ . خذْ عَلَى خَلَاثَتِكَ مِيثَاقَ الصَّبْرِ . خَيْرُ مَا رُمْتَ مَا يُنَالُ .

* كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي * .

[قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ]
غَمُّ الْفَقِيرِ لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . خِيفَةُ الظَّهْرِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . أُصُولُ
الْأَسْقَامِ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ . طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ . مَنْ عَزَّ النَّفْسَ إِشَارُ
الْقَنَاعَةِ . التَّوَاضُّعُ بِالْفَنَى أَجْمَلُ ، وَالْكِبَرُ بِالْفَقْرِ أَسْمَحُ . مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ
لَمْ يَزَلْ مَخْذُولًا . مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَاهُ طَالَ عَتَبُهُ عَلَى الدَّهْرِ .
عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ . الْعَجْزُ وَالتَّوَانِي يُنْتِجَانِ الْفَاقَةَ . إِنْ
صَبَرْتَ صَبَرَ الْأَحْرَارُ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلوُ الْأَغْمَارِ . الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ يَنْمُو . مَعَاشِرَةُ
الْإِخْوَانِ نَجَلُو الْبَصَرَ ، وَتَطَرُّدُ الْفِكْرِ . لَا تُوحِشْكَ الْغُرْبَةُ مَا أَنْسَتْ بِالْكَفَايَةِ ،
فَإِنَّ الْفَقْرَ أَوْحَشُ مِنَ الْغُرْبَةِ . الْغِنَى أَنْسَ فِي [غَيْرِ] ^(١) الْوَطَنِ . الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ
مَوْصُولُ ، وَالْفَقِيرُ فِي الْأَهْلِ مَفْرُومُ . أَوْحِشُ قَرِينِكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْشَايِهِ
أَنْسُكَ . إِذَا أُيسِرَتْ مَكَلُّ أَهْلِ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أُعْسِرَتْ فَأَنْتَ غَرِيبٌ فِي قَوْمِكَ .
مِنْ أَخْلَاقِ الصُّبْيَانِ ، إِلْفُ الْأَوْطَانِ ، وَالْحَنِينُ إِلَى الْإِخْوَانِ . مَنْ لَمْ يَأْنَفْ ،
لَمْ يَشْرُفْ . خَيْرُ الْمَوَدَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ حِذَارَ عَادِيَةٍ ، وَلَا رَجَاءَ فَائِدَةٍ . مَنْ حَمَلَ
الْأُمُورَ عَلَى الْقَضَاءِ اسْتَرَاخَ فِي الْإِفْهَالِ وَالْإِدْبَارِ حَتَّى يَنْتَهِيَا . لَوْ أَسْتَحْسَنَ
النَّاسُ مَا أَمَرَ بِهِ الْعَقْلُ اسْتَقْبَحُوا مَا نَهَى عَنْهُ الْعَقْلُ . أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى الْجَوَابِ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسباق يقتضيها ، ويقوى ذلك الكلمتان

السابقة واللاحقة .

من لا يَغْضِب . الكلامُ فى وَقْتِ السَّكُوتِ عِىَّ ، والسَّكُوتُ فى وَقْتِ الكلامِ
خَرَسَ . الهمُّ يَهْدِمُ البَدَنَ ، وينغصُ العَيْشَ ، ويقرَّبُ الأَجَلَ . الموتُ رَقِيبٌ
غيرُ غافل . المرءُ نَهَبُ الحِوَاثِ . إِذَا تَمَّ العَقْلُ نَقَصَ الكلامُ . هَبْ ما أَنْكَرْتَ ،
لما عَرَفْتَ ، وأَغْفِرْ ما أَغْضَبَكَ لما أَرْضَاكَ . اليأسُ إِحدى الرَّاخَتَيْنِ . المَطْلُ
أحدُ القَذايِنِ . الكَظْمُ مُرٌّ ، ولا يَتَجَرَّعُهُ إِلا حُرٌّ . الرأى لا يَصْلُحُ إِلا بالَشَّرِكةِ ،
واللَّكُّ لا يَصْلُحُ إِلا بالتَفَرُّدِ . من كَبُرَ عَنصرُهُ ، حَسُنَ مَحْضَرُهُ .

* وَلَرُبَّ مُطْمِئَةٍ ^(١) تَعُودُ رِيَا حَا * .

* وَالْحَدُّ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَثْمَانِ * .

* وَلَكِنْ نَكَءُ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَزْجَعُ * .

من أَزْهَرَ بَقَوْلٍ ، حَقِيقٌ أَنْ يُشْمَرَ بِفِعْلٍ . السَّلَامُ أَرْخَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى
لنُفُوسِ الرِّجَالِ . حَسْبُكَ مِنْ عَقْلِكَ ما أَوْضَحَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ . التَّسْوِيفُ
بطاعةُ اللَّهِ أَغْتَرَارٌ ، وَحَيَاةُ المرءِ كَالشَّى . ^(٢) الْمُعَارُ . من تَذَلَّ بَعْضَ عَنایتِهِ لَكَ ،
فاجْعَلْ جَمِيعَ شُكْرِكَ لَهُ .

* وَلِلْحُرِّ مِنْ مَالِ الْكَرِيمِ نَصِيبٌ * .

اليَوْمَ فِعلٌ ، وَغَدًا ثَوَابٌ .

الْحَسِيرُ مَخْتَارٌ شَهْوَى الْمُطَلَّبِ وَالشَّرُّ مُحْذُورٌ كَرِيهٌ مُجْتَنَبٌ

رُبَّ سَكُوتٍ مِنْ كَلَامٍ أَبْلَغُ وَرُبَّ قَوْلٍ مِنْ عَمُودٍ ^(٣) أَدْمَغُ

مَنْ سَلِمَ النَّاسُ عَلَى ^(٤) لِسَانِهِ أَصْبَحَ مَنْصُورًا عَلَى سُلْطَانِهِ

(١) فى (١) « مطمئة » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى كلتا النسختين « المعتاد » ؛ وهو تحريف .

(٣) يريد بالسود : الذى يضرب به فى الحرب .

(٤) على ما يعنى من .

من القليل يُجَمِّعُ الكثيرُ رُبَّ صَغِيرٍ قَدَرُهُ كَبِيرُ
 من باع ما يَفْنَى بما يَبْقَى غَنِمَ وآثَرَ الدنيا على الأخرى نَدِمَ
 قد يُحَرِّمَ الرَاجِي وَيُعْطِيَ الْقَانِطُ وَيُبْعَدُ الْأَذْنَى وَيُذْنِي الشَّاحِطُ
 من لَمْ يُنَلِّكَ الْبِرَّ^(١) فِي حَيَاتِهِ لَمْ تَبْكْ عَيْنَاكَ عَلَى وَفَاتِهِ
 الْمَالُ مَا تُنْفِقُ لَا مَا تَجْمَعُهُ وَالزَّرْعُ مَا تَحْصُدُ لَا مَا تَزْرَعُهُ
 يَا رَبَّ هَرَلٍ كَانَ مِنْهُ الْجِدُّ وَرُبَّ مَرْحٍ كَانَ مِنْهُ الْحِقْدُ
 الْبَحْرُ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْفُرَاتِ

مقال — أدام الله أيامه — هذا فنٌّ موفٍ على الغاية .

الليلة السابعة والعشرون

وقال — أدام الله أيامه — في ليلة أخرى : كنت أحبُّ أن أسمعَ كلاماً
 فِي كُنْهِ الْأُنْفَاقِ^(٢) وَحَقِيقَتِهِ ، بِإِنَّهُ مِمَّا يَحَارُّ الْعَقْلَ فِيهِ ، وَيَزِلُّ حَزْمُ الْحَازِمِ مَعَهُ ،
 وَأَحَبُّ أَيْضاً أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثاً غَرِيباً فِيهِ ؛ وَمَكَانٌ مِنَ الْجَوَابِ : إِنْ الرِّوَايَةُ فِي هَذَا
 الْبَابِ أَكْثَرُ وَأَمْشَى مِنَ الْأُطْلَاعِ عَلَى سِرِّهِ ، وَالظَّفَرُ بِمَكْنُونِهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ
 مَا يَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ . قُلْتُ : حَكَى لَنَا أَبُو سَلِيمَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ ثِيوْدُشْيُوسَ^(٣)
 مَلِكَ يُونَانَ كَتَبَ إِلَى كُنْتُسَ^(٤) الشَّاعِرِ أَنْ يَزُوْدَهُ^(٥) بِمَا عِنْدَهُ مِنْ [كُتُبِ]

(١) فِي (١) « مَنْ لَمْ يَبْكْ لَكَ لَسْكَرٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيدُ بِالْأُنْفَاقِ الْأُمُورَ الَّتِي تَحْدُثُ بِالمَصَادِفَةِ .

(٣) فِي (١) « قَوْمُودُوس » ، وَفِي ب « تُوْدُورِس » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ نَقْلًا عَنْ

كُتُبِ التَّارِيخِ . (٤) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « إِيْنَقُس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

.....

فلسفية ؛ فجمع ماله في عَيْبَةٍ ضَخْمَةٍ ، وارتحل قاصداً نحوَه ، فلقى في تلك البادية قوماً من قطاع الطريق ، فطَمَعُوا في ماله وهموا بقتله ، فناشدهم الله ألا يقتلوه وأن يأخذوا ماله ويُخْلَوْه ، فَأَبَوْا ، فتَحَيَّرَ ونَظَرَ يميناً وشمالاً يلتمس مُعِيناً وناصراً فلم يجد ، فرَفَعَ رأسه إلى السماء ، ومدَّ طَرَفَهُ في الهواء ، فرأى كَرَّاكِيَّ تطير في الجوِّ مُحَلَّمَةً ، فصاح : أيتها الكراكي الطائرة ، قد أعجزني المعينُ والناصر ، فسكوني الطالبة بدمي ، والآخذة بشأري . فصحك اللصوص ، وقال بعضهم لبعض : هذا أنقص الناس عقلاً ، ومن لا عقل له لا جناح في قتله ؛ ثم قتلوه وأخذوا ماله وأقتسموه وعادوا إلى أماكنهم ؛ فلما اتصل الحديثُ بأهل مدينته حَزَبُوا وأعظموا ذلك ، وتَبِعُوا أثرَ قاتله واجتهدوا فلم يُفْنُوا شيئاً ولم يَقْنُوا عَلَى شَيْءٍ ؛ وحَصَرَ اليونانيون وأهلُ مدينته إلى هيكلمهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعِظَةِ ، وحَصَرَ الناسُ من كلِّ قُطْرٍ وأُوبٍ ، وجاء القتلة وأختلطوا بالجمع ، وجلسوا عند بعضِ أساطين^(١) الهيكل ، مهم على ذلك إذ سرَّت بهم كراكيٌّ تناعى وتصيح ، فرمى اللصوصُ أعينهم ووجوههم إلى الهواء ينظرون ما فيه فإذا كراكيٌّ تصيح ويطير ، وتسدُّ الجوِّ ؛ فتصاحكوا ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء طالِبو دَمِ كُنُتْسِ الجاهل — على طريق الاستهراء — فسمعَ كلامهم بعضُ من كان مريباً منهم فأخبرَ السلطانَ فأحذم وشَدَّدَ عليهم ، وطالَبهم فأقرؤوا بقتله ، فقتلهم ؛ فكانت الكراكيُّ المطالبة بدميه ، لو كانوا يَعْقِلُونَ أَنَّ الطالِبَ لهم بالمرصاد .

وقال لنا أبو سليمان : إن كُنُتْسَ وإن كان خاطِبَ الكراكيِّ فإنه أشار به إلى ربِّ الكراكيِّ وخالقتها ، ولم يُطِلَّ اللهُ دَمَهُ ولا سَدَّ عنه بابَ إجابته ؛

(١) في كلتا السختين « أساطير » ؛ وهو تعريب .

فسيحانه كيف يهتئ الأسباب ، ويفتتح الأبواب ، ويرفع الحجاب بعد الحجاب .
فقال : هذا عجب :

قلتُ : قال لنا أبو سليمان : كل ما جهل سببه من ناحية الحسن بالعادة ،
ومن ناحية الطبيعة بالإمكان ، ومن ناحية النفس بالتهيئة ، ومن ناحية العقل
بالتجوير ، ومن ناحية الإله بالتوفيق — فهو مقجوب منه ، معجوز عنه ، مسلم
لن له القدرة المحيطة ، والمشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، والإحسان السابق .
ولقد حكى أبو الحسن الفَرَصِيُّ في أمر الأنفاق شيئاً ظريفاً عن بعض إخوانه (٢)
قال : خرجنا إلى بعض المتنزهات ومعنا جرٌّ (١) نصيد به السماني ، وكنا جماعة ،
فقال حدثٌ كان معنا — وكان أصغرنا سناً — : أتم تصيدون بجرٍّ (١) ، وأنا
أصيد بيدي ؛ نقول ذلك على جهة المزح ؛ فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثار
سماني ، فأسرع إليه ونحن لا نعلم أنه أخذ شيئاً ، فقلنا له على طريق العبث :
إحذر الخنزير — من غير أن نكون رأينا خنزيراً — فالتفت فرعاً وفر (٢)
مؤثراً ، فاتفق له أن رأى خنزيراً منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مسرعاً هارباً من
الخنزير والسماني بيده وقد صاده .

وكنت في البادية في صفر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ومعى (٣)
جماعة من الصوفية ، فلحقنا جهدٌ من عوز القوت وتعدُّر ما يمسك الرُّوح في

(١) الجرّ : الحبل . وفي نسخة : « بجر » ، وهو الحبل الذي يجر به أيضا .

(٢) وردت هذه العبارة في كلا الأصلين مهلة أكثر حروفها من القبط ، وما أثبتناه

هو أقرب الوجوه إلى ما في الأصول من الرسم وما يقتضيه السياق من الكلام .

(٣) في الأصل : « وبق » ؛ وهو تحريف .

حديث طويل — إلا أَنَا وَصَلْنَا مِنْ زُبَالَةٍ^(١) — بالحيلة اللطيفة مِنَّا ، والصَّنْع الجميل من الله تعالى — إلى شيء من الدقيق ؛ فانتعشتْ أَنْفُسُنَا بِهِ ، وَغَنِمْنَاهُ ، ورَأَيْنَاهُ نَفْحَةً مِنْ نَفَحَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْكَرِيمِ ؛ فجعلناه زَادَنَا ، وَسِرِّنَا ؛ فلما بَلَّغْنَا الْمَنْزَلَ قَعَدْنَا لِلْمَارِسِ ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، وَلَقَطْنَا الْبَعَرَ وَدُقَاقَ الْحَطَبِ ، فلما أَتَجَمَعْنَا عَلَى الْعَجْنِ وَالْمَلَكِ^(٢) لَمْ نَجِدِ الْحُرَاقَ^(٣) — وَكَانَ عِنْدَنَا أَنَّهُ مَعَنَا ، وَأَنَّنَا قَدْ اسْتَظْهَرْنَاهُ^(٤) — فَدَخَلْتُنَا حَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَرَكِبْنَا غَمًّا عَالِبًا ، وَسَفَقْنَا مِنْ ذَلِكَ الدَّقِيقِ شَيْئًا ، فَمَا سَاغَ وَلَا قَبِلَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، وَبِتْنَا لَيْلَتَنَا طَاوِينَ سَاهِرِينَ ، قَدْ عَلَانَا الْكَمَدُ ، وَمَلَسْنَا الْوُجُومَ وَالْأَسْفَ ؛ فَقَالَ بَعْضُنَا : هَذَا لِمَا وَجَدْنَا الدَّقِيقَ ؟ ! وَأَصْبَحْنَا وَرُكِبْنَا قَدْ اسْتَرْخَتْ ، وَعَيُونُنَا قَدْ عَارَتْ ، وَأَحَدُنَا لَا يَحْدُثُ صَاحِبَهُ غَمًّا وَكَرْبًا ؛ وَهَدُنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ قَبْلُ زِيَادَةً حَسْرَةٍ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الدَّقِيقِ ؛ وَقَالَ صَاحِبُنَا لَنَا : نَرْمِي بِجَرَابِ الدَّقِيقِ [حَتَّى يُلْقَى جِجْلُهُ وَثِقَلَهُ فِي طَوْلِ هَذَا الطَّرِيقِ] ؛ فَقُلْنَا : لَيْسَ هَذَا بِصَوَابٍ ، وَمَا يَضُرُّنَا أَنْ نَكُونَ مَعَنَا ، فَلَمَلْنَا أَنْ نَرَى رَكْبًا أَوْ نَلْقَى حَطَبًا . وَكَانَتِ الْبَادِيَةُ خَالِيَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِرُغْبِ لِحِقِ قَوْمًا مِنْ بَنِي كِلَابٍ مِنْ جِهَةِ أَعْدَائِهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ يَحْتَارُهَا [فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ] غَرِيبٌ . وَبَقِينَا كَذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَمَحْنُ نُلَاحِظُ^(٥) وَنُجَاهِدُ فِي الْأَمْرِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْعَصْرُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ كُنْتُ أُسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ أُجْرِمُهُمْ^(٦) وَأَسْأَلُهُمْ ،

(١) زبالة : بلد بالطريق من الكوفة إلى مكة .

(٢) الملك : إسماعيل العن .

(٣) الحراق : ما تقع فيه النار عند اقتداحها من حرق ونحوها .

(٤) قد استظهرناه ، أى حملناه معنا فوق أظهرنا .

(٥) في كلنا النسختين « نراجع » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٦) في كلتا النسختين « أجرمهم » ؛ وهو تحريف .

وكنْتُ كالحاطب^(١) لهم : « إِذَا عَثَرْنَا بِحُرَاقٍ^(٢) وَظَفِرْنَا بِفَتِيلَةٍ » ؛ فَوَجَدُوا خِرْقَةً مَلْفُوفَةً فِيهَا حُرَاقٌ ، فَهَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ، وَزَمَعُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ فَقُلْتُ كَلَّمْتُعَجَّبٌ : مَا الْخَبَرُ ؟ قَالُوا : الْبُشْرَى ؛ قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ خِرْقَةٌ مُلِثْتُ حُرَاقًا ، فَلَا تَسْلُ عَمَّا دَهَانَا مِنَ الْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ ؛ وَثَابَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّرُّورِ وَالِارْتِيَاكِ ، وَزَالَ عَنَّا مِنَ الْإِنْخِزَالِ وَالْأُنْكَسَارِ ، وَقَعَدْنَا فِي مَكَانِنَا ذَلِكَ ، وَلَقَطْنَا الْبَقَرِ ، وَأَثَرَنَا الْوَقُودِ ، وَأَجَّجْنَا نَارًا عَظِيمَةً ، وَمَلَكْنَا^(٣) الدَّقِيقَ كُلَّهُ مَلَكَةً وَاحِدَةً وَكَانَ أَرْبَعِينَ رِطْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِلَاغَتِنَا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ؛ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا تَلَقَّانَا بِشَرِّ مَنْ أَهْلِيهَا ، وَقَالُوا لَنَا : كَيْفَ سَلِمْتُمْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ مَعَ الْعَوَزِ وَالْخَوْفِ ؟ فَقُلْنَا : لَطْفُ اللَّهِ يُقَرِّبُ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُسَهِّلُ كُلَّ شَدِيدٍ ، وَيَصْنَعُ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَتَعَجَّبَ الْقَوِيُّ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَمْجِدُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيُنْكِرُ هَذَا الْفَضْلَ ، وَيَرْجِعُ إِلَى دِينٍ وَثِيقٍ أَوْ وَاهٍ (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) .
وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الرَّزَّجَانِيُّ الْقَاضِي صَاحِبُ الْمَذْهَبِ قَالَ : اصْطَحَبَ رَجُلَانِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَسَافِرَيْنِ : مَجُوسِيٌّ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَالْآخَرُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَرْضِ جَيْ^(٤) ؛ وَكَانَ الْمَجُوسِيُّ رَاكِبًا بَغْلَةً لَهُ عَلَيْهَا سَفْرَةٌ^(٥) مِنَ الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَسِيرُ مَرْفَعًا وَادِّعًا ، وَالْيَهُودِيُّ يَمْشِي بِلا زَادٍ وَلَا نَفَقَةٍ ؛ فَبَيْنَا هُمَا يَتَحَادَّثَانِ إِذْ قَالَ الْمَجُوسِيُّ لِلْيَهُودِيِّ : مَا مَذْهَبُكَ وَعَقِيدَتُكَ

(١) فِي (ب) « كَالْحَاطِبِ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « نَحْنُ » ؛ وَبِهِ تَحْرِيفٌ وَنَقْصٌ ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمَلَلْنَا ... مَلَّةً » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « حَى » بِالْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَضْعِيفٌ . وَحَى : مَدِينَةُ بَنَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ تَسْمَى

الْآنَ شَهْرَسْتَانَ ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ مَحَلَّةٌ فِي طَرَفِهَا ، فَلَمَّا خَرَبَتْ حَى بَقِيََتْ مَحَلَّتُهُمْ ، وَهِيَ الْيَهُودِيَّةُ .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِي سَفَرِهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

يا فلان ؟ قال اليهودي : أعتقدُ أنَّ في هذه السماء إلهًا هو إلهُ بني إسرائيل ، وأنا أعْبُدُهُ وأُقَدِّسُهُ وأُضْرَعُ إليه ، وأُطَلِّبُ فَضْلَ ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل ، مع صحَّة البدن ، والسلامة من كل آفة ، والنصرة على عدوِّي ، وأسأله الخيرَ لنفسي ولمن يُوافِقُنِي في ديني ومذهبي ، فلا أعْبَأُ بمن يُخَالِفُنِي ، بل أعتقدُ أنَّ من يُخَالِفُنِي دَمُهُ لِي يَحِلُّ ، وحَرَامٌ عليَّ نُصْرَتُهُ ونَصِيحَتُهُ والرحمةُ به .

ثم قال للجوسي : قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتي وما أشتغل عليه ضميري ، فخبِّرنِي أنت أيضًا عن شأنِك وعَقِيدَتِك وما تَدِينُ به رَبِّكَ ؟ فقال الجوسي : أمَّا عقيدتي ورأيي فهو أنَّي أريد الخيرَ لنفسي وأبناء جنسي ، ولا أريد لأحدٍ من عباد الله سُوءًا ، ولا أتمنَّى له سُوءًا ، لا لموافقي ، ولا لمخالفني . فقال اليهودي : وإن ظَلَمْتَ وتعدَّى عليك ؟ قال : نعم ، لأنِّي أعلمُ أنَّ في هذه السماء إلهًا حَيًّا عالمًا حكيمًا لا تَخْفَى عليه خافيةٌ من شيء ، وهو يَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ ، والناسِ بِإِسَاءَتِهِ . فقال اليهودي : يا فلان ، لستُ أراك تنصُرُ مذهبَكَ وتُحَقِّقُ رأيَكَ .

قال الجوسي : كيف ذاك ؟ قال : لأنني من أبناء جنسِكَ ، وبَشَرٌ مِثْلُكَ ، وتراني أمشي جائعًا نصيرًا مجهودًا ، وأنت رَاكِبٌ وادِعٌ مرفقةً شبعان . فقال : صدقت ، وماذا تَبْنِي ؟ قال : أَطْعِمُنِي من زادِكَ ، وأحلني ساعةً ، فقد كَلَلْتُ وَضَعُفْتُ .

قال : نعم وكرامة . فدخل ومَدَّ مِن سُفْرَتِهِ وأطعمه وأتبعه ، ثم أركبه ، ومشى ساعة يحدِّثُه ؛ فلما ملك اليهودي البَغْلَةَ وعَلِمَ أنَّ الجوسي قد أَعْيَا ، حرَّكَ البَغْلَةَ وسَبَّقه ، وجعل الجوسي يمشي ولا يَلْحَقُه ، فناداه : يا فلان ، قِفْ لِي وَأَنْزِلْ ، فقد أَنَحَسْتُ وَأَنْبَهَرْتُ . فقال اليهودي : أَلَمْ أَخْبَرَك عن مذهبِي وخبَرْتَنِي عن مذهبِكَ ، ونصرتَه وحَقَّقْتَه ؟ فإنا أريد أيضًا أن أحقق مذهبِي ، وأنصر رأيي وأعتقدِي . وجعل يحرك البَغْلَةَ ، والجوسي يَقْفُوهُ على ظَلَمٍ ويُنَادِي : قِفْ

يا هذا وأحلى ، ولا تتركني في هذا الموضع فيا كلني السبعُ وأموت ضياعاً ،
وأرحمني كما رحمتك . واليهودي لا يلوي على نداءه وأستغاثته ، حتى غاب
عن بصره ؛ فلما يئس المجوسى منه وأشفى على الملكة ، ذكر اعتقاده
وما وصف به ربه ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلهي قد علمت أني اعتقدت
مذهباً ونصرتُهُ ، ووصفتك بما أنت أهله ، وقد سمعت وعلمت ، فحق عند
هذا الباغي على ما مجدتك به ، ليعلم حقيقة ما قلتُ فما مشى المجوسى إلا
قليلاً حتى رأى اليهودى وقد رمت به البغلة ، وأندقت عنقه ، وهي واقفة ناحية
منه تنتظر صاحبها ؛ فلما أدرك المجوسى بغلته ركبها ومضى لسبيله ، وترك
اليهودى مُعالجاً لكرب الموت ؛ فناداه اليهودى : يا فلان ، إرحمني واحلني
ولا تتركني في هذه البرية أهلك جوعاً وعطشاً ، وانصُرْ مذهبك ، وحق
أعتقادك . قال المجوسى : قد فعلت ذلك مرتين ، ولكنك لم تفهم ما قلتُ لك
ولم تغفل ما وصفتُ . فقال اليهودى : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى وصفتُ لك
مذهبي لم تصدقني في قولي ، حتى حققته بفعل ، وذاك أنى قلت : إن في هذه
السماء إلهاً خبيراً عادلاً لا يخفى عليه شيء ، وهو وليُّ جزاء المحسن^(١) بإحسانه ،
والمسيء بإساءته . قال اليهودى : قد فهمت ما قلت ، وعلمت ما وصفت . قال
المجوسى : فما الذي منعك من أن تتعظ بما سمعت ؟ قال اليهودى : اعتقاد
نشأت عليه ، ومذهب تربيت به ، وصار ما لوقاً مُعتاداً كالجيسة بطول الدأب
فيه ، وأستعمال أبينته^(٢) ، اقتداء بالآباء والأجداد والمعلمين من أهل ديني
[ومن أهل] مذهبي ، وقد صار ذلك كالأس الثابت ، والأصل النابت ؛

(١) عبارة (١) جزاء المحسنين وبكافى السيئين .

(٢) ابنته ، أى أصوله التى أنى عليها . وفى (١) « بنته » ؛ وهو تحريف .

وَيَضُمُّ (١) مَا هَذَا وَصَفَهُ أَنْ يُتْرَكَ وَيُرْفَضَ وَيُزَالَ . فَرَحِمَهُ الْمَجُوسِيُّ ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ حَتَّى وَافَى الْمَدِينَةَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مُحَطَّمًا مُوجَعًا ، وَحَدَّثَ النَّاسَ بِحَدِيثِهِ وَقِصَّتِهِ ، فَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ شَأْنِهِمَا زَمَانًا [طويلا] .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِلْمَجُوسِيِّ [بَعْدُ] : كَيْفَ رَحِمْتَهُ بَعْدَ خِيَانَتِهِ لَكَ ، وَبَعْدَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ الْمَجُوسِيُّ : اِعْتَذَرَ بِحَالِهِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا ، وَدَأْبَ عُمُرِهِ فِي اعْتِقَادِهَا ، وَسَمَى لَهَا وَأَعْتَادَهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا شَدِيدُ الزَّوَالِ عَنْهُ ، وَصَدَّقْتُهُ وَرَحِمْتَهُ ، وَهَذَا مَنَى شُكْرًا عَلَى صُنْعِ اللَّهِ بِي حِينَ دَعَوْتُهُ عِنْدَ مَا دَهَانِي مِنْهُ ، وَبِالرَّحْمَةِ الْأُولَى أَعَانَنِي رَبِّي ، وَبِالرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ شَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَنَعَ بِي .

هَذَا كُلُّهُ سَرْدَنَاهُ اسَبَبَ الْأَمْرِ الَّذِي يَبْدُو مِنْ غَيْرِ جَنَانٍ ، وَالْعَارِضِ الَّذِي يَبْزُزُ مِنْ غَيْرِ تَوْحُّمٍ .

وَأَبُو سَلِيمَانَ يَقُولُ : الْأُمُورُ مَقْسُومَةٌ عَلَى الْحُدُودِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْقُوَى النَّفْسِيَّةِ وَالْبَسَائِطِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْغَرَائِبِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَبِالْوَاجِبِ ، مَا كَانَ هَاهُنَا مَأْلُوفًا لَهُ نِسَبَةً إِلَى الطَّبِيعَةِ ، وَنَادِرًا لَهُ نِسَبَةً إِلَى النَّفْسِ ، وَتَدْبِيعًا لَهُ نِسَبَةً إِلَى الْعَقْلِ ، وَغَرِيبًا لَهُ نِسَبَةً إِلَى الْإِلَهِ ؛ وَالْمَلَنَاتُ فِي الْأَحْوَالِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، أَغْنَى مَا يَتَخَلَّلُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ .

مَقَالَ [لَهُ] الْبَخَارِيُّ : أَيْقَالَ لِمَا يَعْذُرُ عَنِ الْإِلَهِ مَلْتَمَةٌ ؟ قَالَ : بِحَسَبِ مَصِيرِهِ إِلَيْنَا ، وَوَصُولِهِ إِلَى عَالَمِنَا ، لَا بِحَسَبِ صُدُورِهِ عَنِ الْبَارِي ، فَلَيْسَ هُنَاكَ هَذَا وَ[لَا] مَا يُشَبِّهُهُ ، لِأَنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ لَحِقَّتِ الْمُرَكَّبَاتُ ، مِنْ الْأَوَائِلِ

المُزْدَوِجَات^(١)، والثَّوَانِي الْمَكْرَرَات، والثَّوَالِثُ الْمُحَقَّقَات، والرَّوَابِعُ الْمُتَمَتَّات، والخَوَامِسُ الْمُدَبَّرَات، والسَّوَادِسُ الْمُضَاعَفَات، والسَّوَابِعُ الظَّاهِرَات، والثَّوَامِنُ الْمُعَقَّبَات، والتَّوَاسِعُ الْعَالِيَات، والمَوَاشِرُ الْكَامِلَات؛ وما بَعْدَ الْعَوَاشِرِ دَاخِلٌ فِي الْمَكْرَرَات.

قال له البخاريّ مستزيذاً: أكان^(٢) التوفيق من الاتفاق؟ فقال: هما يتوحدان من وجه، ويفترقان من وجه؛ فوجهُ تَوَحُّدِهما أَنَّ الاتفاقَ وليدُ التوفيق، والتوفيقُ عَايَةُ الْاِتِّفَاقِ؛ ووجهُ افتراقهما أَنَّ الاتفاقَ يَبْزُرُ إِلَى الْحَسَنِ، وَأَصْحَابُهُ يَشْتَرِكُونَ فِي التَّعْجُبِ مِنْهُ، وَالْاِسْتِطْرَافِ لَهُ؛ وَالتَّوْفِيقُ يُسْتَرُّ عَنْ الْحَسَنِ؛ وَلِهَذَا لَا تُسَلِّكُ^(٣) مَسَالِكُهُ. وَأما الوفاق والموَافَقةُ والتوفيق والاتفاق فتلايسةُ المعاني؛ ولما لم يكنْ بين المعنى والمعنى مَسَافَةً مُحْصَلَةً^(٤) حُسِبَ هَذَا فِي حَيْزِ هَذَا، وَعُدَّ هَذَا فِي مُجْلَةٍ هَذَا.

وقال — أَبْقَاهُ اللَّهُ وَأَدَامَ أَيْامَهُ — : مَا الْيُمْنُ وَالْبَرَكَهَةُ؟ وَالْمَالُ وَالطَّيْرَةُ^(٥) وَأَصْدَادُهَا؟

مكان الجواب: إِنَّ الْيُمْنَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ يَبْشُرُ بِهِ [وَيُبْتَنَى] ^(٥) وَيُرَادُ؛ وَيُقَالُ: فَلَانٌ مَيِّمُونَ النَّاصِيَةَ، وَمَيِّسُورُ النَّاصِيَةِ؛ أَيْ هُوَ سَبَبٌ ظَاهِرٌ فِي نَيْلِ مَأْمُولٍ وَإِدْرَاكِ مَحْبُوبٍ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْيَمِينِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ؛ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْيَسَارِ: شِمَالٌ، لِأَنَّهَا أَوْضَعُ مِنْهَا، وَتُسَمَّى أَيْضاً: الشُّؤْمَى. وَيُقَالُ: يُمِّنُ فَلَانٌ عَلَيْهِمْ،

(١) لعله «التوحيّدات».

(٢) في (١) «فإن التوفيق»؛ وهو تحريف. ومهزلة الاستفهام لم ترد في الأصول.

(٣) الذي في كلتا السحتين «لهذا لا يسأل مالكة».

(٤) في (١) «خاصة».

(٥) في (١) «ما يراد ويبتنى».

وَشُؤْمٌ ، وهو ميمونٌ ومَشْتُومٌ ؛ جُمِلَ الفِعْلُ على طريقِ ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ ،
لأنَّه شَيْءٌ موصولٌ به من غيرِ إرادته واختيارِهِ . وإنما نزعوا إلى قولهم : فلان
مَشْتُومٌ ليكون الفعل واقِعاً به — أعنى المَكْرُوه — وإلا فهو شائمٌ في الأصل .
ويقال : شائمٌ فلانٌ قومه ، وكذلك يَمْنَهُم ؛ وكأنَّهما قوتان علويتان تصحبان
مزاجين مختلفين ، وإذا أُعْتِيدَ منهما هذان العَرَضَانِ اللذان يَصْدُران عن
هاتين القوتين العلويتين ، قيل : فلان [كذا] ، وفلان كذا .

وأما البركة فهي النماء والزيادة والرفعُ ، من حيث لا يوجد^(١) بالحسِّ
ظاهراً مكشوفاً يُشار إليه ، فإذا عُهِدَ من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحسِّ
قيل : هذه بركة ، وأشتقاقها من البروك ، وهو اللزوم والسَّعة ؛ ومن ذلك :
البركة . والبركة يوصف بها كلُّ شيء . وليس لصِدِّها اسمٌ مشهور ، لذلك
يقال : فليلُ البركة .

وأما القائلُ ففسَّرَ ما به جريان الذكر الجليل على اللسان معرُولاً عن
القصد ، إمامين القائل ، وإمامين السامع . وقد سَمِعَ النبيُّ — صلى الله عليه
وسلم — لما نزل المدينة على أبي أيوب الأنصاري — أنا أيوبُ نقول لفلان
له : ياسالمُ يا عامم . فقال لأبي بكر : « سَلِمْتُ لما الدَّارُ في غنمٍ إن شاء الله » . وهذا
مشهورٌ بين النَّاسِ .

وَصِدِّه الطَّيْرَةُ والإشعار^(٢) . ويُروى أنه سَمِيَ عن الطَّيْرَةِ ، وكان

(١) لا يوجد ، أى النماء وما عطف عليه .

(٢) لم نجد فيما راحناه من كتب اللغة التي بين أيدينا من ذكر الإشعار بهذا المعنى
الذي أراده المؤلف هنا . غير أن المراد به ينضج مما نقلناه عن اللسان في الحاشية الآتية رقم ٣
من صفحة ١٦٤ من قصة عمر مع رامي الجمار وتطير الرجل اللهي بما حدث ، فانظرها ثم .

يُحِبُّ الْفَأْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس لها عِلَلٌ رَاتِبَةٌ ، ولا أسبابٌ مُوجِبَةٌ ، ولا أوائلٌ معروفةٌ ؛ ولهذا كَرِهَ الإفراطُ في التَّطْيِيرِ والتَّعْوِيلِ على الْفَأْلِ ، لأنَّهما أمرانِ يَصَحَّانِ وَيَبْطُلَانِ ، والأقلُّ منهما لا يُمَيِّزُ من الأكثرِ ؛ والمزاجُ من الإنسانِ فيهما أثرٌ غالبٌ ، والعادةُ أيضاً تُعِينُ ، والوَلُوعُ يزيدُ ، والتَّحَفُّظُ مما هذا شأنُهُ شديدٌ . ولقد غَلَبَ هذا حتى قيل : فلانٌ مَدَوَّرُ الْكَعْبِ ، وفلانٌ مشثومٌ ؛ وحتى تَعَدَّى هذا إلى الدَّابَّةِ والدارِ والعَبْدِ ؛ وكلُّ هذا ظهر في هذه الدارِ حتى لا يكونَ للعَبْدِ طُمَأْنِينَةٌ إِلَّا بِاللَّهِ ، ولا سُكُونٌ إِلَّا مَعَ اللَّهِ ، ولا مَطْلُوبٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ؛ ولهذا — عزّاً وجلّاً — يُطْلَعُ الخوفُ من ثَنِيَّةِ الْأَمْنِ ، وَيَسُوقُ الْأَمْنُ من نَاحِيَةِ الخوفِ ، وَيَبْعَثُ النَّصْرَ وقد وَقَعَ اليأسُ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ وقد أُسْتَدَّ البأسُ . وأعمالُ اللَّهِ عَالِي خَفِيَّةِ الْمَطَالِيعِ ، جَلِيَّةِ الْمَوَافِعِ ، مَطْلُوبَةُ الْمَذَامِعِ ؛ لِأَنَّهَا تَسْرِي بَيْنَ الْغَيْبِ الْإِلَهِيِّ ، وَالْعِيَانِ الْإِنْسَانِيِّ ، وكلُّ ذَلِكَ لِيَصِحَّ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ، والتَّسْلِيمُ لَهُ ، وَاللِّيَازُ بِهِ ، وَبِعَرَجٍ عَلَى كَنَفِ مُلْكِهِ ، وَيُنَبَّوْا مَعَانٍ^(١) خُلْدِهِ ، وَيُنَالَ مَا عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ .

فقال انورير — كَبَتَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ ، وَبَلَغَهُ مُنَاهُ — : هذا كلامٌ ليس عليه كلامٌ ، أَرَى النَّعَاسَ يَحْطُبُ إِلَى عَيْنِي حَاجَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ فَأُجْمَعُ لِي فَقَرًا مِنْ هَذَا الصَّرْبِ الَّذِي مَرَّ مِنْ حَدِيثِ الطَّيْرَةِ وَالْمَالِ وَالْأَنْفَاقِ .

الليلة الثامنة والعشرون

وَعُدْتُ لَيْلَةً أُخْرَى وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ .

منها : عَقَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الْجُرَشِيِّ أَيَّامَ التَّرْكِ ، فَقَالَ (١)

(١) اللعان : المنزل .

سعيد : يا فَتَحُ ، يا نَضْرُ ، خُذَا اللّوَاء . فقال هشام : أَعْمَدًا قَلْتَ هَذَا ؟ قال : لا ، ولكنهما غلاماي دَعَوْتُهُمَا . قال هشام : هو الْفَتَحُ وَالنَّضْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وكان ذلك كذاكَ .

وكان عمرُ بنُ الخطّاب — رضى الله عنه — يَغْرِضُ ، فَمَرَّ بِهِ حَيَّةُ بنُ نَكَّازٍ ، فقال : لا حاجة لنا في هذا ، هذا حَيَّةُ وأبوه يَنْكُزُ^(١) .

ورمى رجلُ الجِجَارَةِ ، فأصابَ صَلْعَةَ عمرَ بِمَحْصَاةٍ فَشَجَّهَ . فقال رجل : أَتُشْعِرَتُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) لا يقوم عمر هذا المَقَامَ أَبَدًا . فكان ذلك كذلك^(٣) .

وخرج رجل ينظر الحسن بن علي — صلوات الله عليه — فلقى رجلاً ، فقال له : ما أَسْمُكَ ؟ قال : عِقَالٌ . قال : إِبْنُ مَنْ ؟ قال ابنُ عَقِيلٍ . قال : مِنْ بَنِي مَنْ ؟ قال : مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ . قال عَقَلْتَهُ عَقَلَكِ اللَّهُ .

(٢) هذا الجزء أيُّهَا الشَّيْخُ — أَبَقَكَ اللَّهُ مَا تَمَنَّيْتُ الْبَقَاءَ — هو الجزء الثاني ، والثالثُ يُتْلَوُهُ ، وَالظَّنُّ الْجَمِيلُ بِكَ ، يَعِدُّنَا بِالْحَسَنِ مِنْكَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ الْغَرَضَ فِي جَمْعِ هَذَا كُلِّهِ وَالتَّعَبِ فِيهِ ، وَأَرْجُو أَلَّا يَحْبِيبَ الْأَمَلُ ، وَلَا يَبُورَ الْعَمَلُ ،

(١) يَنْكُزُ ، مِنَ الْكَرِّ ، وَهُوَ لَسَعُ الْحَيَّةِ بِأَمْعَاهَا ، وَمِنْهُ أَحَدُ اسْمَيْ هَذَا الرَّجُلِ « نَكَار » كَمَا أَنَّ الْكَارَ نَوْعٌ مِنْ أَحَبِّتِ الْحَيَاتِ .

(٢) فِي (١) « أَمِ الْمُؤْمِنِينَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي اللِّسَانِ مَادَّةَ شَعْرٍ وَبَعْضُهَا : « أَنَّ رَجُلًا رَمَى الْجِمَارَاتِ فَأَصَابَ صَلْعَتَهُ بِخَجَرٍ فَسَالَ الدَّمُ فَقَالَ رَجُلٌ أَشْعَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَتَنَادَى رَجُلٌ آخَرُ يَا خَلِيفَةُ ، وَهُوَ اسْمُ رَجُلٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَهَبٍ : لِيَقْتُلَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَجَرَعَ فُقُتْلَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . وَلَهَبُ قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ فِيهِمْ عِيَاةٌ وَزَجَرٌ . وَتَشَاءُ هَذَا الْإِلَهِيُّ يَقُولُ الرَّجُلُ : أَشْعَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : لِيَقْتُلَنَّ ، وَكَانَ مِرَادُ الرَّجُلِ أَنَّهُ اعْلَمْ بِسِيلَانِ الدَّمِ عَلَيْهِ مِنَ الشَّحَةِ كَمَا يَشْعُرُ الْهَدْيُ إِذَا سَبَقَ لِلنَّحْرِ . وَذَهَبَ بِهِ إِلَهِيُّ إِلَى الْقَتْلِ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَقُولُ لِلْمَلُوكِ إِذَا قَتَلُوا : أَشْعَرُوا وَتَقُولُ لِسُوقَةِ النَّاسِ : قَتَلُوا . وَلَمَّا قَالَ الرَّجُلُ : أَشْعَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَهُ إِلَهِيُّ قَتْلًا فِيمَا تَوَجَّهَ لَهُ مِنْ عِلْمِ الْعِيَاةِ وَإِنْ كَانَ مِرَادُ الرَّجُلِ أَنَّهُ دَمَى كَمَا يَدْمَى الْهَدْيُ إِذَا أَشْعَرَ . وَحَقَّتْ طَبِيرَتُهُ ، لِأَنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَصُدْرَ مِنَ الْحَجِّ قَتْلٌ ، وَالْإِشْعَارُ : الْإِدْمَاءُ بِطَعْنٍ أَوْ رَمَى أَوْ وَجَعٌ بِمَحْدِيدَةٍ . اهـ

وإن كان ذلك لا يخلو من بعض الحلل والزلل . فإذا أخذت بحكم الفضل الذي هو عادتك وديدتك مع الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، فازقذحي ، وصدق نوثي ، وصح زجري وفألي . حرس الله نفسك ، وصان نعمتك ، وكبت كل عدو لك .

الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

بسم الله الرحمن الرحيم

- (١) أيها الشيخ وصل الله قولك بالصواب ، وفعلك بالتوفيق ، وجعل أحوالك كلها منظومة بالصلاح ، راجعة إلى حميد العاقبة ، متألقة بشوارد الشُّرُور ، ووفر حظك من المدح والثناء ، فإنهما ألدُّ من الشَّهْدِ والسُّلُوى ، ومدِّي عمرك لسكِّب الخير ، وأستدامة النعمة بالشُّكر ؛ وجعل لذتك باصطناع المعروف ، وعرفك عوائب الإحسان إلى المُستَحِقِّ وغير المستحق ، حتى تكلف بث الجميل ، وتُشغفَ بذكر الأيادي ، وحتى تجد طعم الثناء ، وتطربَ عليه طرب السُّوانِ على مدح الفناء . لا طرب^(١) البرداني على غناء علوة جارية (٢) أن علويه في درب السلق^(٢) إذا رفعت عَقيرتها فغتب بأبيات السُّروى^(٣) :

بالورد في وجنتيك مَنْ لطمك	ومن سقاك المدام لم ظلمك ؟
خلأك لا تستفيق من سُكرٍ	توسعُ شتاً وجفوة خدامك
مُعقرب الصُّدغ قد ثملت فما	يمنعُ من لثم عاشيقك فك ؟

(١) في (١) « ولا طرب » .

(٢) في كلتا النسخين « السلق » ، والياء زيادة من الناسخ . ودرب السلق محلة ينفذاد .

(٣) في ب « الفه » . « بالعمدة » .

[تَجَرُّ فَضْلَ الْإِزَارِ مُنْخَرِقَ النَّفْلَيْنِ قَدْ لَوَّثَ الثَّرَى قَدَمَكَ
أَظْلُ مِنْ حَيْرَةٍ وَمِنْ دَهْشٍ أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُ مَبْتَسَمَكَ]
بِاللَّهِ يَا أَقْحَوَانَ مَضْحَكَهِ عَلَى قَصِيبِ الْعَقِيقِ مَنْ نَظَمَكَ ؟
وَلَا طَرَبَ ابْنِ فَهْمٍ ^(١) الصُّوفَى عَلَى غَنَاءِ « نَهَايَةِ » جَارِيَةِ ابْنِ الْمَغْنَى إِذَا
انْدَمَسَتْ بِشَدْوِهَا ^(٢) :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قُرْأً بِالكَرْنِخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَعْتُهِ وَبَوْدَى لَوْ يَوْدَعُنِي صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَيُّ لَا أُوَدِّعُهُ
فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا مِنْهَا صَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَتَمَرَّعَ فِي التَّرَابِ وَهَاجَ
وَأَزِيدَ ، وَتَعَرَّ ^(٣) شَعْرَهُ ؛ وَهَاتِ ^(٤) مِنْ رِجَالِكَ مِنْ بَصُطِهِ وَيَمْسِكُهُ ،
وَمَنْ يَجْسُرُ عَلَى الدُّنُومِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَعْضُ بِنَابِهِ ، وَيَنْخَمِشُ بِظُفْرِهِ ، وَيُرْكَلُ بِرِجْلِهِ
وَيَحْرِقُ الْمَرْقَمَةَ فِطْعَةً قِطْعَةً ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ أَلْفَ لَطْمَةٍ [فِي سَاعَةٍ] ، وَيَخْرُجُ فِي
الْعَبَاءَةِ ^(٥) [كَأَنَّهُ] عَبْدُ الرَّارِقِ الْمَجْنُونِ صَاحِبُ الْكِيلِ فِي جِيرَانِكَ بَابِ الطَّاقِ .
وَلَا طَرَبَ ابْنِ عِيْلَانَ الْبِرَازِ عَلَى تَرْجِيَعَاتِ « بَلَوْر » جَارِيَةِ ابْنِ الْيَزِيدِ
الْمُؤَلِّفِ بَيْنَ الْأَكْبَادِ الْمَحْرَقَةِ ، وَالْمُحْسِنِ إِلَى الْقُلُوبِ الْمُتَعَدِّعَةِ وَالْعَيُونِ الْبَاكِيَةِ
إِذَا غَمَّتْ .

(١) فِي نَسْخَةِ « ابْنِ قَنِيم » .

(٢) فِي (١) « اَشْدُوْهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « وَتَعَرَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي

(ب) مَطْمُوسَتِي الْحُرُوفِ تَتَعَدَّرُ قِرَاءَتُهُمَا .

(٤) فِي (١) « وَهَاتِ وَجَالِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ كَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) عِبَرِ

وَاضِحَةٍ .

(٥) فِي (١) « الْحَكَايَةِ » وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ فِي « ب » ، وَلَعَلَّ

صَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أَثْبَتْنَا بِدَلِيلٍ مَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ « وَيَخْرِقُ الْمَرْقَمَةَ » الْح .

أعطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ ما دُمْتَ تُعَذِّرُ بالشَّبَابِ
 وأنتم بأيام الصَّبِي وأُخْلَعْ عِذارَكَ في التَّصَابِي
 فإنه إذا سمع هذا منها أنقلبت كحاليق عَيْنَيْهِ ، وسَقَطَ مَغْشِيَا عليه ، وهاتِ
 الكافور وماء الورد ، وَمَنْ يقرأ في أذنه آيَةَ الْكُرْسِيِّ والمعوذتين ، وَيُرْفِي
 بِهِمَا شَرَاهِيَا^(١) .

ولا طربَ أبي الوزير الصوفي [القاطن] في دار القطن^(٢) عند جامع المدينة على
 « قَلَمِ الْقُضِيْبِيَّةِ^(٣) » إذا نَنَآوَات^(٤) في استهلالها ، وتضاجرت^(٥) على ضُجْرَتِهَا ،
 وتذكَرت شجوها الذي قد أضناها وأنصاها ، وسلبها منها^(٦) وأنساها إياها^(٧) .
 ثم أندمعت وغنَّت بصوتها المعروب [بها] .

أقولُ لها والصبحُ قد لاح نورُهُ كما لاح ضَوْهُ الْبَارِقِ المتألقِ
 سَبِيْهِكَ قد وَافَى وحان^(٨) امتراقنا مهل لك في صَوْتِ وَرِطْلٍ مُرَوِّقِ

(١) هيا شراهيا كلمة عبرانية معناها ياحى ياقيوم كما في الصباح وفي القاموس مادة شره .
 أشهر إياها بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها الأزل الذي لم يزل والناس يعلطون ويقولون
 أهيا شراهيا وهو خطأ على ما يزعّمه أحبار اليهود .
 (٢) في كلتا النسختين القطن ؟ والذي وجدناه في محلات بغداد دار القطن لا القطن ،
 وإليها ينسب الدارقطني .

(٣) القضيبيّة نسبة إلى القضيبي الذي توقع به .

(٤) في (١) « تناوت » وفي ب « تبارت » ، وهو تحريف في كلتا النسختين ، والصواب
 ما أثبتنا كما يدل عليه الكلام الآتي بعد ، وتناوأت أى تناقلت وتظاهرت بالإغواء والتعب من
 ناء بالمثل بواء .

(٥) وتضاجرت على ضجرتها أى تظاهرت بالضجر زيادة على ما فيها منه ، وفي كلتا
 النسختين وتماطرت مكان قوله وتضاجرت وهو تحريف لا معنى له . وفي (١) على صخرتها ،
 وهو تحريف أيضاً .

(٦) سلبها منها نظير قول المؤلف في وصف بعض العلماء المغنين (من ١٧٥ سطر ٣

من هذا الجزء) « يسرقك منك » .

فقلت حياتي في الذي قد ذكرته وإن كنت قد نَقَصْتَهُ بالتفرُّق
ولا طرب الجراحى أبى الحسن مع قفائه في السكرخ وِرْدَائِهِ الْمُحَشَّى، وكميَّه
المُقدَّرِين^(١) ووجنتيه المتخلَّجَتَيْن^(٢)، وكلامه الفخْم، وإطراجه الدائم؛ فإنه يَغْمِزُ
بالحاجب إذا رأى مِرْطَا^(٣)، وأمل أن يُقْبَلَ خَدًّا وقرطاً^(٤)؛ على غناء شُعْلَةٍ :
لا بدَّ للمشتاقِ مِنْ ذِكْرِ الوطنِ واليأس والسَّلْوَةِ مِنْ بَعْدِ الحزنِ
وقيامتُه^(٥) تقوم إذا سمعها ترجع في لحنها

لو أن ما تبتليني^(٦) الحادثاتُ به يُلقَى على الماء لم يُشْرَبِ من السكدرِ
فهناك ترى شَيْبَةً قد أبتلت بالدموع، ومُوَادًّا قد نَزَا^(٧) إلى اللهاة، مع
أَسْفٍ قد ثَقَبَ القلب، وأَوْهَنَ الرُّوح، وجابَ الصَّخْر^(٨)، وأداب الحديد،
وهناك ترى والله أحداقَ الحاصرين باهتة، ودموعهم متحدرة، وشهيقهم قد علا
رَحْمَةً لَهُ، ورقةً عليه، ومساعدةً لحاله، وهذه صورة [إذا] أَسْتَوْلَتْ على أهلِ مجلس
وَجَدَتْ لها عَدُوًى لا تُمَلِّكُ، وعَايَةً لا تُدْرِكُ، لأنَّه قَلَّمَا يَخْلُو إنسان من صَبْوَةٍ
أو صباية، أو حسرة على فائت، أو مكرٍ في مُتَعَتَّى، أو خوفٍ من قَطِيعَةٍ،

(١) كذا في كلتا النسختين ولعله من التفسير في الثوب، أي الريادة والفضيل؛ وهو
دخيل كما يظهر لنا إذ لم نجد في كتب اللغة، غير أن ذلك مستعمل في بعض بلاد مصر
ويطلقون عليه القَدَار بفتح الفاء أي الريادة أو لعل صوابه: «المفررين» بالراء المشددة،
أي المشقوقين فإن شق الكمين لا يزال معروفاً حتى اليوم في أقبية أهل العلم وانقضاء.

(٢) المتعلجتان، أي المضطربتان المرتعشتان ويكون ذلك من الضعف وكبر السن.

(٣) المِرْط من ملابس النساء معروف. وفي كلتا النسختين «نرطاً»؛ وهو تحريف
إذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٤) في كلتا النسختين «وفرطاً» بالفاء؛ وهو تصحيف.

(٥) في (١) و«قيامه يقوم». ووردت هذه العبارة في «ب» غير واضحة الحروف.

(٦) في (١) «تتأبني»؛ وهو تحريف.

(٧) في (١) «نزل»؛ وهو تحريف.

(٨) جاب الصخر: قطعه.

أَوْ رَجَاءَ لِمَنْتَظَرٍ ، أَوْ حُزْنَ عَلَى حَالٍ ، وَهَذِهِ أَخْوَالُ مَعْرُوفَةٍ ، وَالنَّاسُ [مِنْهَا] عَلَى جَدِيلَةٍ ^(١) مَعْهُودَةٍ .

وَلَا طَرَبَ ابْنُ غَسَّانَ الْبَصْرِيُّ الْمُتَطَلِّبُ إِذَا سَمِعَ ابْنَ الرَّفَاءِ يُغَنِّي :
وَحَيَاةٍ مَنْ أَهْوَى فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَبَدًا لِأَخْلَفَ كَاذِبًا بِحَيَاتِهِ
لَأُخَالِفَنَّ عَوَازِلِي فِي لَذَنِي وَلَأُسْعِدَنَّ أَخِي عَلَى لَذَانِهِ
وَإِنَّ غَسَّانَ هَذَا مَلِيحُ الْأَدَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي ابْنِ نَصْرِ الْعَامِلِ
— وَقَدْ عَالَجَهُ مِنْ عِلَّةٍ فَلَمْ يَتَمَقَّدَهُ وَلَمْ يَقْضِ حَقَّهُ — :

هَبِ الشُّعْرَاءُ تُعْطِيهِمْ رِقَاعًا مُرَوَّرَةً كَلَامًا عَنْ كَلَامٍ
وَلِمِ صَلَةِ الطَّبِيبِ نَكُونُ زُورًا وَفَدَا أَهْدَى الشِّعَاءِ مِنَ السَّقَامِ
عَجِبْتُ لِمَنْ عَمَّتْهُ ^(٢) أَرْضُ لَوْثٍ وَبُحْلِ لِمَ يُعَدُّ مِنَ السَّكِرَامِ
أُسَيْدَتْ إِلَى السَّاجَةِ لَا شَيْءَ سِوَى نَقْصَانِ لَوْثِكَ فِي اللَّثَامِ

عَمِيَ سَهَا أَنَّهُ مِنْ أَصْبَهَانَ ^(٣) ، وَكَانَ آخِرَ حَدِيثِ ابْنِ غَسَّانَ مَا عَرَفْتَهُ ^(٤) ،
فَإِنَّهُ غَرَّقَ ^(٥) نَفْسَهُ فِي كِرْدَابٍ ^(٦) كُلُّوَاذِي ، وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ تَجَمَّعَتْ عَلَيْهِ مِنْ صَفَرِ
الْيَدِ ، وَسُوءِ الْحَالِ ، وَجَرَبِ أَكْلِ بَدَنِهِ ، وَعِشْقِ أَخْرَقَ كَبْدِهِ عَلَى غُلَامِ
(الْأَمْدِيِّ الْخَلَاوِيِّ) بِيَابِ الطَّاقِ ، وَحَيْرَةِ عَزَبٍ مَعَهَا عَقْلُهُ ، وَخَذَلَهُ رَأْيُهُ ، وَمَلَكَهُ
حِينُهُ ، وَنَسَأَلَ اللَّهُ حَسَنَ الْعُقْبَى بِدَرْكِ الْعُنَى ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ ،

(١) الجديلة : الطريقة . (٢) في (١) « نموت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير إلى شهرة أهل أصبهان بالبخل .

(٤) في ب « علمته » .

(٥) في (١) « عرف » ؛ وهو تصحيف .

(٦) في (١) كردان بالنون ؛ وهو تحريف . والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء وهي وسط البحر وبلته التي يدوم عليها الموج . وهي بالجيم ، ولعل العرب كانوا ينطقونها بالكاف .

وما هو آئض^(١) إليه فهو مملوكٌ عليه ، يُصَرِّفُهُ فَمَا يُصَرِّفُ فَيَظُنُّ أَنَّهُ أَتَى مِنْ قَبْلِهِ ،
ولعمري مَنْ غُلِّطَ غَلِطَ ، ومن غُولِطَ غَالَطَ ، والكلام في هذا غاشٌّ^(٢) والإغراقُ
فيه مُوسوسٌ ، والإعراضُ^(٣) عنه أَجْلَبُ لِلْأَنْسِ ، وما أَحْسَنَ ما قال القائل :
إذا استَغْفَيْتُ مِنْ أَشْرِ اللَّيَالِي تُصَرِّفُنِي فَأُسْرِى فِي خَلَاصِي^(٤)
ولولا طَيْشُ^(٥) القَلَمِ وتَسَحُّبُ الخاطر ، وشُرُودُ الرَّأْيِ ، ما عَثَرْتُ بهذا الموضع
ولا عَلِقْتُ بهذا الحبل ، نعم .

ولا طَرَبَ ابنُ نُبَاتَةَ الشَّاعِرِ عَلَى صَوْتِ الخاطِيفِ إِذَا غَنَّتْ .
تَلْتَهِبُ الكَفُّ مِنْ تَلْهِبِهَا وَتَحْشُرُ العَيْنُ إِنْ تَقْصَاها
كَأَنَّ نَارًا بِهَا مَحْرُشَةٌ^(٦) تَهَابُهَا^(٧) مَرَّةً وَتَفْشَاها
نَاخِذَهَا تَارَةً وَتَاخُذُنا فَتَحْنُ مُرْسائِها وَصَرَعاها
ولا طَرَبَ ابنُ العَوْدِيِّ^(٨) إِذَا سَمِعَ غَنَاءَ تَرَفٍّ^(٩) الصَّابِئَةِ فِي صَوْتِها ، عِنْدَ
نشاطِها وَمَرَجِها ، وهواها حَاضِرٌ ، وطَرَفُها إِلَيْهِ ناظِرٌ :

- (١) آئضٌ ، أى راجع .
(٢) فى (١) « حاش » بالخاء والشين المعجمة ؛ وفى « ب » حاش بالخاء واسين المهملة ؛
ولم نجد لواحدة منهما معنى يناسب السياق ؛ وامل الصوت ما أئمتنا .
(٣) فى كلتا السحتين : « والإفراج » ؛ وهو تخريب .
(٤) ورد هذا البيت فى (١) هكذا :
إذا استغفرت رقى من أيلان تُصَرِّفُنِي فَأُسْرِى فِي خَلَاصِي
وفيه تخريب ظاهر .
(٥) فى (١) « طيش » ؛ وهو تخريب .
(٦) حرث النار : حركتها . وفى كلتا السحتين « محرشة » بالشين ؛ وهو تصحيف .
(٧) فى (١) « تهابها » ؛ وهو تخريب .
(٨) لعله نسبة إلى العود من بنى أسد . والذى فى كلتا السحتين ابن العودى بالذال
المهملة ، ولم نجد هذه النسبة فيما راجعنا من كتب الأنساب .
(٩) فى (١) « شرف » ؛ وما أثبتناه عن « ب » وهو الأرجح أن يكون من أسمائهن .

لَبَّ الهوى كلِّما دَعَاكَ ولاح في الحبِّ من لحَاكَ
 مَن لَامَ في الحبِّ أَوْنَهَا فزده في غَيِّكَ أُنْهَمَا
 إِن لَمْ تَكُنْ في الهوى كَذَاكَ نال^(١) لذاته سِوَاكَ
 ولا طَرَبَ المَعْلَمُ غلام الحُصْرَى شيخ الصُّوفِيَةِ إذا سمع ابن بُهلولٍ يَغْنَى في
 رحبة المسجد بعد الجمعة وقد خَفَّ الزحام :

وقال لي العَدُولُ تَسَلَّ عنها فقلتُ له : أتدرى ما تَقُولُ ؟
 هي النفسُ التي لا بُدَّ منها فكيف أزيل عنها أو أُحُولُ ؟
 ولا طَرَبَ ابنُ الغاري على جارية العَمَى^(٢) في مجلسها الفاصِّ بنبلاء الناس
 بين السُّورَيْنِ^(٣)

يَلْحَى ، ولو أَرْقَهُ مِيعَادُ أَوْ رَاعَهُ الإِعْرَاضُ وَالْإِبْعَادُ
 أَوْ هَرَّهَ الأَعْدَاءُ وَالْحُسَادُ أَوْ سَلَقَتْهُ الأَلْسُنُ الحِدَادُ
 ما^(٤) لَامَ مَن لَيْسَ له فُؤَادُ

ولا طَرَبَ ابنُ صُبَيْرٍ^(٥) القاصي قبلَ القضاء على غناء درّة جارية أبي بكر
 الجراحِيَّ في درْبِ الزعفرانيّ التي لا نَقْعُدُ في السَّنةِ إلَّا في رَجَبٍ ، إذا غَنَّتْ :
 لستُ أَتَسَى تلكَ الزَّيَّارَةَ لَمَّا طَرَقْتُنَا وَأَقْبَلْتُ تَلْتَنِي
 طرقتُ ظبيّةَ الرُّصافةِ ليلاً فهي أحلى من جَسٍّ عُوداً وَغَنِّي

(١) في كلتا النسخين : « فإِن لذاته » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) في كلتا النسختين « عمى » بدون ألف ولام ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا ، والعمى نسبة إلى العمّ بطن من عميم .

(٣) بين السورين : محلة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالها وأعمرها وقد وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين بعد قوله « العمى » . واللائق إثباتها في هذا الموضع .

(٤) في « ب » « من لام » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا ضبط هذا الاسم بالعبارة في شرح القاموس .

كم ليالٍ بَتْنَا نَلَدُ ونَلَهُو ونُسَقَى شرَابَنَا ونُقَى
 هَجَرْنَا فَمَا إِلَيْهَا سَبِيلُ غيرَ أَنَا نقولُ : كانت وكُنَّا
 وإذا بلغتُ « كانت وكُنَّا » رأيتَ الجيبَ مَشْقُوقًا ، والدَّيْلَ مَخْرُوقًا ،
 والدَّمْعَ مُنْهَمَلًا ، والبالَ مُنْخَذِلًا ، ومكتومَ السَّرِّ في الهوى باديا ، ودليلَ العشقِ على
 صاحبه مُناديا .

ولا طرب ابن حَجَّاج الساعر على غناء فِنَوَة البُضْرِيَّة ، وهي جَارَتُهُ ^(١)
 وَعَشِيقَتُهُ ، وله معها أحاديث ، ومع زوجها أعاجيب : وهناك مكائِدات ، وَرَفَى
 ومُعَايِرَات ، وإِمْشَاء نِكَات ؛ إِذَا أُتْشِدَّتْ :

يَا لَيْتَنِي أَحْيَا نُقْرِئُهُمْ وَيَا مَدَّتْهُمْ أَتَقْصِي عَمْرِي
 نَمِ ثَلَّتْ بِحَوْنِهَا ^(٢) الْآخِرُ :
 هَيْبِي أَمْرًا إِمَّا يَرِيثَا ضَمْنَهُ وَإِمَّا مَسِيئًا تَابَ تَوَدُّ وَغَتْمَا
 مَكْنَتُ كَذِي دَاءَ تَغْفِي لِدَائِهِ طَبِيبُ مَا لَمْ يَحْدُهُ بَطْلِبِيَا

ولا طرب ابن معروف قاصي المصاة على غناء غَانِيَة إِذَا رَحَعَتْ لَحْفَهَا فِي
 حَلَقِهَا الْحَلَوِ ^(٣) الشَّجْبِي بِشِعْرِ أَنْ أَى رَبِيعَة :
 أَنْيَرِي مَكَانَ الْبَذْرِ إِنْ أَقْلَ الْبَذْرُ وَفَوِي مَنَامَ الشَّمْسِ مَا أُسْتَأَحَرَ الْعَجْرُ
 فَمَيْكٍ مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ نُورُهَا وَلَيْسَ هَا مِنْكَ الْحَاجِرُ وَالشَّعْرُ ^(٤)
 وَلَا طَرَبَ ابْنِ إِسْحَاقَ الطَّبْرِيَّ عَلَى صَوْتِ [دُرَّة] الْمَصْرِيَّة إِذَا غَنَّتْ :

(١) في (١) جَارِيَتُهُ ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) صَوْرَتُهَا .

(٣) هنا كلمة مطبوسة في (١) قبل هذه الكلمة .

(٤) في (١) « والشعر » .

يا ذا الذى زار وما زارا كأنه مُقْتَبِسٌ نارا
فامَ ببابِ الدارِ مِنْ زَهِوهِ ما ضَرَّه لو دَخَلَ الدارا
لو دَخَلَ الدارَ فكلَّمْتُهُ بحاجتى ما دَخَلَ النارا
نَفْسِي يَدَاهُ الْيَوْمَ مِنْ زَائِرٍ ما حلَّ حتى قيلَ قد سَارَا

ولا طَرَبَ ابْنُ الْأَزْرَقِ الْجَرَجَرَانِيَّ عَلَى غِنَاهُ سُندُسَ جَارِيَةِ ابْنِ يَوْسُفَ
صَاحِبِ دِيْوَانِ السَّوَادِ إِذَا تَشَاجَتْ وَتَدَلَّلَتْ ، وَتَقَتَّلَتْ^(١) وَتَقَتَّلَتْ ، وَتَكَسَّرَتْ
وَتَيَسَّرَتْ ، وَقَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ كَسَلَانَةٌ مَشْغُولَةٌ الْقَلْبِ بَيْنَ أَحْلَامٍ أَرَاهَا رَدِيثَةً ،
وَبَحْتٍ^(٢) إِذَا أُسْتَوَى التَّوَى ، [وَأَمَلٍ] إِذَا ظَهَرَ عَثَرٌ ؛ ثُمَّ انْدَمَعَتْ وَغَنَّتْ :

مَحَلْسُ صَبَّيْنِ عَمِيدَيْنِ لَيْسَا مِنَ الْحُبِّ بِمُخْلَوَيْنِ
قَدْ صَيَّرَا رُوحَيْهِمَا وَاحِدًا وَاقْتَسَمَا بَيْنَ جِسْمَيْنِ
تَنَازَعَا^(٣) كَأَسَا عَلَى لَذَّةٍ قَدْ مَرَّجَاهَا بَيْنَ دَمْعَيْنِ
الْكَأْسُ لَا تَحْسُنُ إِلَّا إِذَا أَدْرَتْهَا بَيْنَ مُحِبَّيْنِ

وَلَا طَرَبَ ابْنُ سَمْعُونِ [الصُّوفِيَّ] عَلَى ابْنِ^(٤) بَهْلُولٍ إِذَا أَخَذَ الْقَضِيبَ وَأَوْقَعَ^(٥)
بَيْنَانَهُ الرَّخْصَ ، ثُمَّ زَلَزَلَ الدُّنْيَا بِصَوْتِهِ النَّاعِمِ ، وَغَفَّتِهِ الرَّخِيمَةِ ، وَإِشَارَتِهِ الْخَالِبَةِ ،
وَحَرَكَتِهِ الْمَدْغَدِغَةَ^(٦) ، وَظَرْفِهِ الْبَارِعَ ، وَدَمَائِثَهُ الْحُلُوءَةَ ، وَغَنَّى :

- (١) تفتلت ، أى بلوت ، وفى كلنا السحتين « وتقبلت » وهو تصحيف إذ لا ياسب معناه
سياق ما هنا ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله بعد : « وتقبلت » أى شفت فى مشيتها .
(٢) فى (١) « ونحيب » ؛ وهو تصحيف .
(٣) هذه الكلمة مطموسة فى (١) .
(٤) على ابن بهلول ، أى على عاء ابن بهلول .
(٥) فى (١) « ورفع » ؛ وهو تصحيف .
(٦) المدغدة والرمزغة كلا اللفظين بمعنى واحد وقد استعارها هنا لما يلزم ذلك من
معنى الحمة والسرور وابسط النفس .

ولو طابَ لي غَرَسٌ لطابتْ ثمارُهُ ولو صحَّ لي غَيْبٌ لصَحَّتْ شهادتي
تَزَهَّدْتُ في الدنيا وإني لراغِبٌ أرى رَغْبَتِي ممزوجةً بزهادتي
أيا نَفْسٍ ما الدنيا بأهلٍ لِحُبِّها دَعِيها لأقوامٍ عليها تَعَادَتِ
ولا طرب ابن حَيَّوِيَه^(١) على غلام^(٢) الأسماء إذا غَنَّى :

قد أشهدُ الشاربَ العَذْلَ^(٣) لا معروضةً مُنْكَرَ ولا حَصْرُ
في فِتْنَةٍ لَيْسَى المَآزِرِ لا يَنْسَوْنَ^(٤) أَحْلَاقَهُمْ^(٥) إذا سَكروا
وغلامُ الأسماء هو الذي يقول فيه القائل :

أوالعاس قد حَجَّجَ ومدَّ عَدَّ وقد غَنَّى
ومدَّ عَنَّقَ عَنَدْرًا^(٦) بهذا هُمُ كما كُنَّا

وأصحابنا يَسْتَمْلِحُونَ مَوْلَه (هُمُ) هَاهُنَا ، وَيَرْوُونَهُ مِنَ الْعَمَى الْمَصِيح .
ولا طَرَبَ أَبِي سَلَمَانَ الْمَطْقِيَّ إِذَا سَمِعَ غِنَاءَ هَذَا الضَّيِّقِ الْمَوْصَلِيِّ الذَّانِعِ الَّذِي
قد قَتَلَ النَّاسَ وَمَلَأَ الدُّنْيَا عِيَارَةً^(٧) وَحَسْرَةً ، وَافْتَضَحَ بِهِ أَصْحَابُ النِّسْلِكِ وَالْوَقَارِ ،
وَأَصْنَافُ النَّاسِ مِنَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَجَهَّهَ الْحَسَنُ ، وَغَرَّهَ الْمُبْتَسِمُ ، وَخَدَّشَهُ
السَّاحِرُ ، وَطَرَّفَهُ الْغَائِرُ ، وَقَدَّهَ الْمَدِيدُ^(٨) ، وَامْطَلَعَهُ الْحَاوُ ، وَدَلَّهُ الْخُلُوبُ ، وَنَشَّعَهُ

(١) في (١) « حيومه » بالهمزة ، وهو تحريف .

(٢) على غلام ، أي على غناء ، غلام .

(٣) وردت هذه الكلمة في كتابنا في حديثين بالمدال المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٤) ورد هذا ثبت في (١) أكثر حروفه مهملة من النقط .

(٥) في (ب) « أحلامهم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) العنَّار طيل كان يطلقه المحسنون وأصحاب الغناء في أعرافهم . والذي في (١) « وقد عانق عيارا » .

(٧) العبارة : تحلية المرء نفسه وهوأها لا ردعها ولا يزجرها .

(٨) في (١) المدير ؛ وهو تصحيف .

المطمع ، وإطاعه الممنع^(١) وتشكيكه في الوصل والهجر، وخلفه الإياء بالإجابة ،
ووقوفه بين لا ونعم . إن صرّخت له كفى ، وإن كُنيت له صرّح ؛ يسرّك
منك ، ويرُدّك عليك ، يعرّك منكراً لك ، ويُنكرُك عارفاً بك ؛ فخاله
حالات ، وهِدائته ضلالات ، وهو فتنة الحاضرِ والبادي ، ومُنْيَة^(٢) السائق
والهادي ؛ في صوته الذي هو من فلائده :

عرفت الذي بي فلا تلحنى فليس أخو الجهل كالعالم
وكنت أخوفه بالدُّعا^(٣) وأحشى عليه من المائيم
فلو كنت أبصرت مثلاً له إذا لمت نفسي مع اللائم
لمّا أقام على ظلمه تركت الدُّعاء على الظالم
ولا طرب أبي عبد الله البصريّ على إقاع ابن العصبى إذا أوقع بقضيه
وغنى بَعَوته :

أنسيت الوصل إذ يد لنا على مرّقدٍ وزد
واعنمتنا ككواسح وانظمتنا نظم عقْد
ومعظمتنا كغضنين قدّانا^(٤) كقدّ

وبسب^(٥) هذا ونظائره عابه^(٦) الواسطى ، وقدّح في دينه ، وألصق به
الرّبة^(٧) ، وأستحلّ في عِرْصِه الغيبة ، ولقّبه بالمنقّر عن المذهب ، وقاطع
الطريق على المُستترّد .

(١) في كلتا السحتين «المتع» بالناء ؛ وهو تصحيف، وما أثبتناه هو مقتضى سياق الكلام .

(٢) في (١) وفنة ؛ وهو تبديل من الساسح لتكرره مع ما قبله .

(٣) كذا في «ب» . والذي في (١) ولست أخوفه باللقا ؛ والمعنى عليه غير مستقيم .

(٤) في (١) «مدا» ؛ وهو تحريف . (٥) في (١) وليست ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) «باية» ؛ وهو تصحيف . (٧) في (١) «الرّبة» ؛ وهو تصحيف .

ولا طَرَبَ ابن الورَاقِ على رَوْعَةٍ^(١) جارية ابن الرّضى في الرّصافة
إذا غَنَّتْ :

وَحَقٌّ مَحَلٌّ ذِكْرِكَ مِنْ لِسَانِي وَقَلْبِي حِينَ أَخْلُو بِالْأَمَانِي
لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَغْبِطُ كُلَّ عَيْنٍ تَعَانِيهَا فَتَسْعُدُ بِالْعِيَانِ

ولا طَرَبَ السُّنْدَوَانِي^(٢) على ابن الكَرْخِي إذا غَنَى :

هَجَرَنِي نَمَ لَا كَلَمْتَنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
فَلَا أَتَجَنُّ نَجِيًّا فِي حَيَاتِنَاكُمْ وَلَا حَرَّتْ حَطَرَةٌ مِنْهُ^(٣) عَلَى نَالٍ
مَسَوِّغِنِي الْمُنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا نَمَ أَحْبَسِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي
أَوْ أَبْعَثِي تَلَفًّا إِنْ كُنْتَ قَاتِلِي إِلَى مِنْكَ بِإِحْسَانٍ وَإِجْمَالٍ

ولا طَرَبَ الحَرِيرِيُّ الشَّاهِدَ على حِلْيَةِ جارية أَبِي عَائِدِ الْكَرْخِي « إذا
أَخَذَتْ فِي هَرَارِهَا »^(٤) ، وَاشْتَعَلَتْ بِنَارِهَا وَغَنَّتْ :

قَالَتْ بُبَيِّنُهُ لِمَا جِئْتُ رَائِرَهَا^(٥) سَبَحَانَ حَالِقِنَا مَا كَانَ أَوْفَاكَ
وَعَدْتَنَا مَوْعِدًا تَأْتِي^(٦) لَنَا عَجَلًا وَقَدْ مَصَى الْحَوْلُ عَنَّا مَا رَأَيْنَاكَ
إِنْ كُنْتَ ذَا غَرَضٍ أَوْ كُنْتَ دَامِرَ ضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا حُسْلَةٍ أُخْرَى عَدْرُنَاكَ

ولا طَرَبَ أَنَّى سَعِيدُ الصَّائِغِ على جَارِبَتِهِ ظَلُومٍ إِذَا قَلَبَتْ لِحْمَهَا إِلَى خَلْقِهَا
وَاسْتَنْزَلَتْهُ^(٧) مِنَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ أَوْفَعَتْ وَغَنَّتْ :

(١) في (ب) زرعة ؛ وهو تعريب . وروعة من أسمائها .

(٢) في (أ) السودي . وفي (ب) : « السودي » . ولم نجد هاتين المستيتين فيما
راجعناه من كتب الأساطير ولعل الصواب ما أثبتناه والسدواني نسبة إلى السدية وهي قرية
ببواحي بغداد (٣) في (أ) مني ؛ وهو تعريب .

(٤) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلا الأصلين ؛ ولم ننبه معناها
ولعله تحريف صوابه « إذا خلعت من عذارها » .

(٥) كذا في ب والذي في (أ) أكبرها ؛ وهو تعريب .

(٦) في (ب) يتأبنا ؛ وفي (أ) فتأتنا ؛ وهو تعريب في كلتا السحتين .

(٧) عبارة « أ » واسترسلت من الرأس .

فِيَا لَكَ نَظْرَةً أَوْدَتَ بِعَقْلِي وَغَادَرَ سَهْمَهَا مِنِّي جَرِيحَا
 مَلَيْتَ مَلِيكَتِي جَادَتْ بِأُخْرَى وَأَعْلَمَ أَنَّهَا تَنَكَّا الْقُرُوحَا
 بَاقَا أَنْ يَكُونَ بِهَا شِفَانِي وَإِنَّمَا أَنْ أَمُوتَ فَاسْتَرِيحَا
 وَلَا طَرِبَ الزُّهْرَى^(١) عَلَى خَلُوبٍ جَارِيَةٍ أَبِي أَيُّوبَ الْقَطَّانِ إِذَا أَهَلَّتْ
 وَأَسْتَهَلَّتْ ، ثُمَّ انْدَمَعَتْ وَغَنَّتْ :

إِذَا أَرَدْتُ سُلوًا كَانَ نَاصِرَكُمْ قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ
 مَا كَثُرُوا أَوْ أَتَلَوْا مِنْ إِسَاءَتِكُمْ^(٢) فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدَرِ
 وَصَعْتُ حَدِي لِأَدْنَى مَنْ يُطِيفُ بِكُمْ حَتَّى احْتَقَرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمَحْتَقَرٍ
 وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ شَيْخُنَا إِذَا سَمِعَ هَذَا جُنَّ وَاسْتَفْثَ ، وَشَقَّ الْجَيْبَ
 وَحَوْلَقَ^(٣) وَقَالَ : يَا قَوْمُ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، مَا يَكْفِيهِ أَنْ يَفْجُرَ
 حَتَّى يَكْفُرَ ؟ مَتَى كَانَتِ الْقُبَاحُ وَالْفَضَاحُ وَالْعِيُوبُ وَالذُّنُوبُ^(٤) مَحْمُولَةً عَلَى
 الْقَدَرِ ؟ وَمَتَى قَدَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَقَدَّ نَهَى عَنْهَا ، وَلَوْ قَدَّرَهَا كَانَ قَدْ رَضِيَ
 بِهَا ، وَلَوْ رَضِيَ بِهَا لَمَا عَاقَبَ عَلَيْهَا ، لَعَنَ اللَّهُ الْعَزَلَ إِذَا شِيبَ بِمَجَانَةٍ ، وَالْمَجَانَةَ
 إِذَا قُرِئَتْ بِمَا يَقْدَحُ فِي الدِّيَانَةِ . وَرَأَيْتُ أَبَا صَالِحٍ الْهَاشِمِيَّ يَقُولُ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ
 يَا شَيْخَ ، فَلَيْسَ هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَا تَظُنُّ ، الْقَدَرُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَتَعَلَّقُ
 بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَجْرِي بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ سِرُّ اللَّهِ الْمَكْتُومُ ، كَالْعِلْمِ^(٥) الَّذِي يَحِيطُ

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) الرَنْدِيرِيُّ . ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِأَدَلَّمَ هَذِهِ النِّسْبَةَ
 فِيهَا رَاجِعًا مِنْ كِتَابِ الْأَسَابِ

(٢) فِي (أ) « مِنْ أَسَى نَكَمٍ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) حَوْلَقَ ، أَيُّ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(٤) فِي (أ) « مِنَ الذُّنُوبِ » .

(٥) هَذِهِ السَّاقِطَةُ مِنْ (أ) .

بكل شيء ؛ وكلُّ ما جازَ أَنْ يَحِيطَ بِهِ عِلْمٌ جازَ أَنْ يَجْرِيَ بِهِ قَدَرٌ ، وإذا جازَ
هذا جازَ أَنْ يَنْشُرَهُ خَبَرٌ ، وما هذا التصابقُ والتَّحَارُجُ في هذا المكان ، والشاعرُ
يَهْزِلُ وَيَجِدُّ ، وَيَقْرُبُ وَيَبْعُدُ ، وَيُصِيبُ وَيُخْطِئُ ، ولا يُوَاخِذُ بما يُوَاخِذُ به
الرَّجُلُ الدِّينَانِ ، والعالمُ ذو البَيَانِ .

ولا طَرَبَ ابنُ المَهْدِيِّ على جاريةٍ نَتِ خاقانَ المشهورة بَعْلَوَة إذا غَنَتْ :
أُرْوَعُ^(١) حينَ يَأْتِينِي الرِّسُولُ وَأُكْمَدُ^(٢) حينَ لَا يَأْتِي الرِّسُولُ
أُؤْمَلُكُمْ وقد أَيقَنْتُ أَنِّي إلى تَكْذِيبِ آمَالِي أُؤُولُ
ولا طَرَبَ أَبِي طَاهِرٍ بنُ المَقْتَنِى^(٣) المَعْدَلُ على عَلَوَانِ^(٤) غلامِ ابنِ عُرْسٍ فإِذَا
إِذَا حَضَرَ وَأَلْقَى إِرَارَهُ ، وَحَلَّ أَرْزَارَهُ ، وَقَالَ لِأَهْلِ الْمَحَلِّسِ : افْتَرَحُوا وَأُسْتَفْتِحُوا
فإِنِّي وَلَدُكُمْ بَلْ عَبْدُكُمْ لِأَحَدُكُمْ^(٥) نَفْتَانِي ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكُمْ بَوْلَانِي ، وَأُسَاعِدُكُمْ^(٦)
على رُحْصَى وَغَلَانِي ؛ مَنْ أَرَادَنِي مَرَّةً أَرَدْتُهُ مَرَّاتٍ . وَمَنْ أَحَبَّنِي رِيَاءً أَحْبَبْتُ
إِخْلَاصًا ، وَمَنْ بَلَغَ بِي بَلَفْتُ بِهِ ؛ لَمْ أَتَحَلَّ عَلَيْكُمْ بِحُسْنِي^(٧) وَظُرْفِي ، وَلَمْ أَنْفَسْ^(٨)
بِهِمَا عَلَيْكُمْ ، وَإِنَّمَا خُلِقْتُ لَكُمْ ، وَلَمْ أَغَاصِبْكُمْ^(٩) وَأَنَا أُمْلَسُكُمْ غَدًا إِذَا ثَقُلَ^(١٠)

(١) في كلتا السحتين « أودع » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وأكره » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) ابن الميمى ، وهو تحريف ؛ إذ لم نعد هذه اللمة فيما راحناه من معجمات السب

(٤) في (١) « علون » ، وهو تحريف .

(٥) في (١) « وأقدمكم » وفي ب « أفديكم » وما أثبتناه هو ما كتبه المصحح في ب

حاشية الصفحة .

(٦) في (١) « وأشاعركم » ، وهو تحريف .

(٧) في (١) « تحصى » ، وهو تحريف .

(٨) أنفس بهما عليكم ، أى أضى .

(٩) في ب « أغاصبكم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٠) في (١) « ثقل » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف . ونقل وجه السلام ، أ

خرجت لحيته .

وَجِئِي ، وَتَدَلِّي سِبَالِي ، وَوَلِّي جَمَالِي ، وَتَكَسَّرَ حَدِّي ، وَتَعَوَّجَ قَدِّي ، مَا أَصْنَعُ ؟
 حَاجَتِي وَاللَّهِ إِلَيْكُمْ غَدَا أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِكُمْ إِلَى الْيَوْمِ ، لَعَنَ اللَّهُ سُوءَ الْخَلْقِ ، وَعُسْرَ
 الطَّبَاعِ ، وَقَلَّةَ الرِّعَايَةِ ، وَأُسْتَحْسَانَ الْقَدْرِ . فَيَمُرُّ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا يَبْقَى مِنَ الْجَمَاعَةِ أَحَدٌ إِلَّا وَيَنْبِضُ عِرْقُهُ ، وَيَهْشُ فُوَادُهُ ، [وَيَذْكُو طَمَعُهُ]
 وَيَفْكُهُ قَلْبُهُ ، وَيَتَحَرَّكُ سَاكِتُهُ ، وَيَتَدَغْدَغُ رُؤُوسُهُ ^(١) ، وَيُؤْمِي إِلَيْهِ بِقُبْلَتِهِ ،
 وَيَغْمِزُهُ بِطَرْفِهِ . وَيَخُصُّهُ بِتَحِيَّةٍ ، وَعِدَّةٍ بَعْطِيَّةٍ . وَيُقَابِلُهُ بِمُدْحَةٍ ، وَيَضْمَنُ لَهُ
 مَنَحَةً ، وَيَعُوِّذُهُ بِسَلْسَابِهِ ، وَمَعْلَلَهُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَيَرَاهُ وَاحِدًا أَهْلَ زَمَانِهِ ؛ يُرَى
 ابْنُ الْمُقَنَّنِيِّ وَقَدْ طَارَ فِي الْجَوِّ ، وَخَلَقَ فِي الشَّكَاكِ ^(٢) ، وَلَقَطَ بِأَمَامِهِ النُّجُومَ ؛
 وَأَقْتَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بَعْرَحَ الْهَشَاشَةِ ^(٣) ، وَمَرَّحَ الْبَشَاشَةَ ^(٤) ، فيقول : كيف ترون
 أَحْتِيَارِي ^(٥) وَأَيْنَ فَرَاسَتِي مِنْ فَرَاسَةِ غَيْرِي ، أَبِي اللَّهِ لِي إِلَّا مَا يَزِينُنِي ،
 وَلَا يَشِينُنِي ، وَيُرِيدُ فِي جَمَالِي ، وَلَا تَنْقُصُ مِنْ حَالِي ؛ وَبُقُرْ عَيْنِي وَلُبِّي ، وَيَقْصِمُ
 ظَهْرَ عَدُوِّي ؛ هَاتِ يَا غَلَامُ ذَلِكَ الثَّوبَ الدَّبِيقَ ^(٦) ، وَذَلِكَ الْبُرْدَ الشَّطْوِيَّ ^(٧) ،
 وَذَلِكَ الْفَرُوجَ ^(٨) الرُّومِيَّ . وَتِلْكَ الشُّكَّةُ ^(٩) الْمُطَيَّبَةُ ، وَالتَّبَخُورَ الْمَذْخَرُ فِي
 الْحَقَّةِ ^(١٠) ، وَهَاتِ الدَّنَارَ الَّذِي فِيهِ مَائَةٌ مِثْقَالٍ أَهْدَاهُ لَنَا أُمُّسُ أَبُو الْعَلَاءِ الصَّيْرَفِيُّ

(١) الدَّعْدَعَةُ وَالرَّعْرَعَةُ كَلَا اللَّمَظِينَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْمَرَادُ هَا أَبْطَاطُ الرُّوحِ وَهَشَاشَتُهُ .

(٢) الشَّكَاكُ : الْجَوُّ . وَفِي (١) الشَّكَاكُ ثَالِثِينَ الْمِجْمَعَةَ وَوَبَّ « الشَّكَال » بِاللَّامِ فِي آخِرِهِ

وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا السَّحْتَيْنِ .

(٣) وَ (١) « السِّيَاسَةُ » مَكَانُ « الْهَشَاشَةِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) « أَخَارِي » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) الدَّبِيقُ مِنْ دَقِ الثِّيَابِ ، مَنْسُوبٌ إِلَى قَرْيَةٍ بِمِصْرَ كَانَ يَبْسُجُ فِيهَا اسْمُهَا دَبِيقٌ .

(٦) الشَّطْوِيُّ سَبَّةٌ إِلَى شَطَا قَرْيَةٍ بِمِصْرَ كَانَتْ تَنْسُجُ فِيهَا هَذِهِ الثِّيَابُ .

(٧) الْفُرُوجُ قَبَاءٌ فِيهِ شَقٌّ مِنْ خَلْفِهِ .

(٨) فِي « ب » « الشُّكَّةُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالسُّكَّةُ : صَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ

ذَكَرَهُ صَاحِبُ نَهَايَةِ الْأَرْبِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي عَشَرَ الطَّبَعَةِ الْأُولَى وَذَكَرَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ وَتَوْسِيعَ

فِي ذَلِكَ فَانْظُرْهُ . (٩) فِي (١) « مَعَ الْحَقَّةِ » وَقَوْلُهُ « مَعَ » خَطَأٌ مِنَ النَّاسِجِ .

فإنه يكفيه لنفقة أسبوع ؛ ما أحسن سِكَتَه ، وأخلى نَقْشَه ! ما رأيتُ في حُسْنِ
 أَسْتِدَارَتِهِ شَيْهَا ^(١) ، وَعَجَّلَ لَنَا يَا غَلَامُ مَا أَدْرَكَ عِنْدَ الطَّبَّاخِ ، من الدَّجَاجِ
 والفِرَاحِ ؛ والبَوَارِدِ ^(٢) والجَوَزِيَّاتِ ^(٣) وتَزَايِينِ المائدة ؛ وصِلْ ذلك بِشراءِ أَقْرَاطٍ ^(٤)
 وَجُبْنٍ ^(٥) وزَيْتُونٍ من عند كَيْلٍ ^(٦) البَقَالِ في الكَرْنِخِ ، وقِطَائِفِ حَبَشٍ ، وفَالُودَجٍ
 عُمَرٍ ، وفُقَّاعٍ ^(٧) زُرَيْقٍ ، ومُخَلَّطٍ ^(٨) حُرَاسَانٍ من عِنْدِ أَبِي زُنْبُورٍ ، ولو كُنَّا نَشْرَبُ
 لَقُلْنَا : وَشَرَابِ صَرِيْمِينَ ^(٩) مِنْ عِنْدِ ابْنِ سُورِينَ ^(١٠) ، وَلَكِنْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُخْضِرَ
 بِسَبَبِكُمْ وَمَنْ أَجْلِكُمْ فَلَيْسَ فِي الْفُتُوَّةِ أَنْ أَمْنَعَكُمْ مِنْ أَرَبِكُمْ ^(١١) بِسَبَبِ ثِقَلِ رُوحِي
 وَقِلَّةِ مُسَاعَدَتِي ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّهَادَةَ ، فَقَدْ حَجَبْتَنِي عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ ؛
 وَمَا أَغْرِفُ فِي الدَّالَةِ ، إِلَّا مَوْتَ الطَّلَبَةِ ^(١٢) وَالْعُلَّالَةَ .

وما أحسن ما قال مَنْ قال :

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ فَإِنْ تَوَلَّى مُجَنُونِ الْمُدَامِ
 هَذَا كُلُّهُ يَمُرُّ وَمَا هُوَ أَشْجَى مِنْهُ وَأَرْقُ ، وَأَعْجَبُ وَأَظْرَفُ ، ثُمَّ يَنْدَفِعُ
 عَلَوَانٍ وَيَغْنَى فِي أُبْيَاتِ بَشَارِ :

(١) في كلنا السخيتين « شيئا » .

(٢) في ب « والواد » . ولعل المراد بالبوارد ما يؤكل من الأطعمة بارداً .

(٣) الحوزيات أنواع من الأطعمة تصنع من الحور . وفي كلنا السخيتين والحوزيات ، وهو تحريف . (٤) في كلنا السخيتين « قيراط » . ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، والأقراط جمع قرط بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهو نوع من الكرات يقال له كرات المائدة . (٥) في (١) و « خبز » ، وهو تحريف .

(٦) كذا ورد هذا الاسم في كلنا السخيتين ولم تبين وجه الصواب فيه بعد طول

المراجعة والبحث . (٧) الفقاع ، شراب يتخذ من الشعير .

(٨) مخلط خراسان طعام يصنع من أنواع شتى .

(٩) صريفيين : من قرى بغداد تنسب إليها الحُر . (١٠) لذا ورد هذا الاسم

في كلنا السخيتين . (١١) في ب « من لدنكم » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٢) في كلنا السخيتين « الطينة » ، وهو تحريف .

ألا يا قَوْمُ خَلُونِي وشَانِي فليستُ بتَارِكٍ حُبِّ الغَوَانِي
 نَهَوْنِي يَا عُبَيْدَةَ عَنْ هَوَاكُم فلمَ أَقْبِلْ مَقَالَةَ مَنْ نَهَانِي
 فَإِنْ لَمْ تُسْعِفْنِي فِعْدِي وَمَنِّي خِدَاعًا لَا أُمُوتُ عَلَى بَيَانٍ^(١)
 وَلَا طَرَبَ أَبِي سَعِيدِ الرَّقِّيِّ عَلَى غِنَاءِ مَذْكَورَةٍ إِذَا اندَفَعْتَ وَغَنَّتْ :
 سِرَرْتُ بِهِجْرَكَ لِمَا عَلِمْتُ بَانَ لِقَلْبِكَ فِيهِ سُرُورَا
 وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَّتْنِي وَلَا كَانَ قَلْبِي عَلَيْهِ صَبُورَا
 وَلَكِنْ أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكَ سَهْلًا يَسِيرَا
 وَلَا طَرَبَ ابْنِ مَتَّاسٍ عَلَى غِنَاءِ حَبَابَةِ جَارِيَةِ أَبِي تَمَامٍ إِذَا غَنَّتْ :
 صَدَدْنَا كَأَنَّا لَا مَوَدَّةَ بَيْنَنَا عَلَى أَنَّ طَرْفَ الْعَيْنِ لَا بُدَّ فَاضِحُ
 وَمَدَّ إِلَيْنَا الْكَاشِحُونَ عُيُونَهُمْ فلمَ نَبْدُ مِنَّا مَا حَوَتْهُ الْحَوَانِحُ
 وَصَاحَتْ مِنْ لَأَقَيْتُ فِي الْبَيْتِ غَيْرَهَا وَكُلُّ الْهَوَى مِثْلِي لَنْ لَا^(٢) أَصَافِحُ
 وَحَبَابَةُ هَذِهِ كَانَتْ تَنُوحُ أَيْضًا ، وَكَانَتْ فِي النَّوْحِ وَاحِدَةً لَا أُخْتَ لَهَا ،
 وَالنَّاسُ بِالْعِرَاقِ تَهَالَكُوا عَلَى نَوْحِهَا ، وَلَوْلَا أُنَى أَكْرَهَ ذِكْرَهُ لَرَقَعْتُ الْحَدِيثَ
 بِهِ . وَفَدِمَ مِنْ شَاشٍ^(٣) خُرَاسَانَ أَبُو مُسْلِمٍ — وَكَانَ فِي مَرْتَبَةِ الْأَمْرَاءِ —
 فَاشْتَرَاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِعْرِيَّةً^(٤) ، وَحَرَجَ بِهَا إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَقِيلَ : إِنَّهَا لَمْ
 تَعِشْ بِهِ إِلَّا دُونَ سَنَةٍ لِكَعْدٍ لَحِقَها ، وَهَوَى لَهَا بِبَغْدَادَ مَاتَتْ مِنْهُ .

(١) بيان مكسر الباء : مصدر باي به أى فارقه ، أى لا أُموت على قطيعة وفرقه .

(٢) عبارة (١) : « مى لم أصافح » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى كلتا النسختين : « ساس » بمهملتين ؛ وهو تصحيف . والشاش بمجمعتين :

قرية بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون .

(٤) فى (١) : « عرية » ؛ وفى (ب) : « عزية » ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين

إد لم نجد ذلك فيما راجعناه من الكتب المؤلفة فى القود ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والمعزية نسبة إلى معز الدولة البويهى .

ورأيتُ لها أُختًا يُقال لها صَبَابَةٌ ، وكانت في الحُسن والجمال فَوَقَّتْهَا ، وفي الصَّنْعَةِ والحِذْقِ دونَهَا ، وزَلَزَلَتْ هَذِهِ بَغْدَادَ فِي وَقْتِهَا ، ولم يَكُنْ لِلنَّاسِ غَيْرُ حَدِيثِهَا ، لنَوَادِرِهَا ، وحَاضِرِ جَوَابِهَا ، وَحِدَّةِ مِرَاجِهَا ، وسُرْعَةِ حَرَكَتِهَا ، بغير طَيْشٍ ولا إِفْرَاطٍ ، وهذه شِمَائِلُ إِذَا اتَّفَقَتْ فِي الْجَوَارِي الصَّانِعَاتِ الْمُحْسِنَاتِ خَلْبِنَ الْعُقُولِ ، وَخَلَسْنَ الْقُلُوبَ ، [وَسَعَرْنَ الصُّدُورَ] ، وَعَجَّلْنَ نَعْشَاتِهِنَّ إِلَى الْقُبُورِ .
ولا طَرَبَ الْكِنَانِيُّ الْمُقَرَّئُ الشَّيْخُ الصَّالِحُ عَلَى غِنَاءِ هَذِهِ ^(١) فِي صَوْتِهَا ^(٢) المعروفِ بِهَا :

عهدُ الصَّبِيِّ هَاجَتْ لِي الْيَوْمَ لَوْعَةٌ وَذَكَرُ سُلَيْمَى حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
بَارِضٍ بِهَا كَانَ الْهَوَى غَيْرَ عَازِبٍ لَدَيْنَا وَغَضُّ ^(٣) الْعَيْشِ مُهْتَصِرٌ نَضْرُ
كَأَنَّ لَمْ نَعِشْ يَوْمًا بِأَجْرَاعِ بَيْشَةٍ بَارِضٍ بِهَا أَنْشَأَ ^(٤) تَبَيَّبَتْنَا الدَّهْرُ
بَلَى إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَأَيُّ حَمِيمٍ لَا يَمُرُّهُ الدَّهْرُ
ولا طَرَبَ غَلَامٌ أَبَا عَلَى جَارِيَةٍ [أَبِي] طَلْحَةَ الشَّاهِدِ ^(٥) فِي سُوقِ ^(٦)
الْعَطَشِ إِذَا غَنَّتْ :

لَيْتَ شِعْرِي بِكَ هَلْ تَه لَمْ أَتَى لَكَ عَالِي
فَلَقَدْ أَسْرَزْتُهُ مِنْ لَكَ وَأَطْلَعْتُ الْأُمَانِي
وَتَوَهَّمْتُكَ فِي نَفْ سَيِّ فَنَاجَاكَ لِسَانِي
فَاجْتَمَعْنَا وَأَفْتَرَقْنَا بِالْأُمَانِي فِي مَكَانٍ

(١) هذه ، أي صباية السابق د لرها .

(٢) في (ب) : « وصرىها » ؛ وهو تحريف . (٣) في (١) : « وعص » .

(٤) في (١) : « أنشأ » ؛ وهو تصحيف . وأنشأ ، أي أنشأ بالهمز .

(٥) عبارة (١) : « الساهيق » ؛ وهو تحريف .

(٦) سوق العطش : محلة كبيرة كانت ببغداد بالجانب الشرقى بين الرصافة ونهر المثلج ،

وقيل : إن سوق العطش كانت بين باب الشماسية والرصافة .

ولو ذُكِرَتْ هُذِهِ الْأَطْرَابُ مِنَ الْمُسْتَمِيعِينَ ، وَالْأَغَانِي مِنَ الرِّجَالِ وَالصَّبَّيَانِ
وَالْجَوَارِي وَالْحَرَائِرِ — لَطَالَ وَأَمَلَّ ، وَزَانَحَتْ كُلٌّ مِنْ صَنَفٍ كِتَابًا فِي الْأَغَانِي
وَالْأَلْحَانِ ، وَعَهْدِي ^(١) بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَةً سِتِّينَ وَثَلَاثُمِائَةً .

. وَقَدْ أَحْصَيْنَا — وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ فِي الْكَرَّخِ — أَرْبَعُمِائَةٍ وَسِتِّينَ جَارِيَةً
فِي الْجَانِبَيْنِ ^(٢) ، وَمِائَةً وَعِشْرِينَ حُرَّةً ، وَخَمْسَةً وَتِسْعِينَ مِنَ الصَّبَّيَانِ الْبُدُورِ ،
يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْحِذْقِ وَالْحُسْنِ وَالظَّرْفِ وَالْعِشْرَةِ ، هَذَا سِوَى مَنْ كُنَّا لَا نَنْظُرُ
بِهِ وَلَا نَصِلُ إِلَيْهِ لِعِزَّتِهِ وَحَرَسِهِ وَرُقْبَائِهِ ، وَسِوَى مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ مِمَّنْ لَا يَتَظَاهَرُ
بِالْفِئَاءِ وَبِالضَّرْبِ إِلَّا إِذَا نَشِطَ فِي وَقْتٍ ، أَوْ ثَمَلَ فِي حَالٍ ، وَخَلَعَ الْعِذَارَ فِي
هَوًى قَدْ حَالَفَهُ وَأَضْنَاهُ ، وَتَرْتَمَّ وَأَوْقَعَ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَصَعَّدَ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْرَبَ
جُلَاسَهُ ، وَأَسْتَكْتَمْتَهُمْ حَالَهُ ، وَكَشَفَ عَنْهُمْ حِجَابَهُ ، وَأَدَّعَى الثِّقَةَ بِهِمْ ،
وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى حِفَاطَتِهِمْ .

ثُمَّ إِنِّي أَرْجِعُ إِلَى مُنْقَطَعِ الْكَلَامِ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ ^(٣)
وَأُصِلُهُ بِالْذِّعَاءِ الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنِّي ، وَيَحَقِّقَهُ لَكَ وَبِكَ ، وَأَقُولُ :
وَأَبْقَاكَ لِي خَاصَّةً ، فَقَدْ نَعَصَبْتُ لِي غَائِبًا وَشَاهِدًا ، وَتَعَمَّمتَ ^(٤) بِسَبَبِي سِرًّا
وَجَهْرًا ، وَبَدَأْتَ بِالتَّفْصِيلِ ، وَعُدْتَ بِالْإِفْضَالِ ، وَتَظَاهَرْتَ بِالْفَضْلِ ؛ فَإِنْ
أَسْتَزِدْتُكَ فَلَنُفِّمَ ^(٥) الَّذِي قَلَّمَا يَخْلُو ^(٥) مِنْهُ بَشَرٌ ، وَإِنْ تَظَلَّمْتُ فَلِلدَّالَةِ الَّتِي تَغْلَطُ بِهَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « طَمَعْدِي » وَاللَّامُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) فِي (١) : « الْحَتَيْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) : « وَتَعَمَّمتَ بِسَبَبِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا اللَّفْظَيْنِ . وَالْمُرَادُ تَعَمَّمتَ
وَتَعَصَّبْتَ وَاحِدًا ، إِذْ أَنْ مَأْخُذَ اللَّفْظَيْنِ مِنَ الْعَصَاةِ وَالْعِمَامَةِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا تَلْبِيسَانِ فِي الْحَرْبِ يَعْلَمُ
بِهِمَا الْفَارِسُ نَفْسَهُ بَيْنَ الْأَقْرَانِ . فَتَجُوزُ فِي مَعْنِيهِمَا وَاسْتِعْمَلَا فِي انْتِصَارِ الْمَرْءِ لِعَصِيدِهِ وَدِفَاعِهِ
عَمَّا فِي الْحَرْبِ وَفِي غَيْرِهَا . (٤) فِي نَسْخَةٍ : « فَلِلْعَصْرِ » . وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٥) فِي (ب) : « يَخْلُسُ » . وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

الْخَدَمَ^(١) ، وَإِنْ خَاشَنَتْ^(٢) فَلِلثَقَّةِ بِحُسْنِ الْإِجَابِ^(٣) ، وَإِنْ غَالِظَتْ^(٤) فَلِلْعَلْمَى
بِغَالِبِ الْحِلْمِ وَفَرَطِ الْأَحْتِمَالِ ، وَمَا أَفْتَرَقَ الْكَرَمُ وَالتَّغَافُلُ قَطَّ ، وَمَا أَفْتَرَقَ
الْمَجْدُ وَالْكَيْسُ قَطَّ ، وَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَظْلَمَ السَّيِّدُ نَفْسَهُ لِعَبْدِهِ فِي الْحَقُوقِ
الْأَلَزِمَةِ وَغَيْرِ الْأَلَزِمَةِ ، وَيُعْرِضَ عَنِ الْحِجَّةِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ؛ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ :
الْحَقُّ مَرَّةً ، وَأَنَا أَقُولُ : السُّؤْدُودُ مَرَّةً ، وَالرَّئِيسَةُ ثَقِيلَةٌ ، وَالتَّزْوُلُ تَحْتَ الْعَبْنِ
شَدِيدٌ ؛ لَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَنْبِئُ الْعِزِّ ، وَدَلِيلُ عَلَى صِحَّةِ الْأَصْلِ ، وَبَابٌ إِلَى
اِكْتِسَابِ الْحَمْدِ ، وَإِشَادَةِ الذِّكْرِ ، وَإِبْعَادِ الصَّيِّتِ ؛ وَمُكْرِمُ النَّفْسِ بِإِهَانَةِ
الْمَالِ وَبَذْلِ الْجَاهِ وَإِثَارِ^(٥) التَّوَاضُّعِ أَرْبَحُ تِجَارَةً ، وَأَحْمَى حَرِيمًا ، وَأَهْزُ
نَاصِرًا مِنْ مُهِنِ النَّفْسِ بِصِيَانَةِ الْمَالِ وَحُبْسِ الْجَاهِ وَأُسْتِعْمَالِ التَّكْبَرِ ؛ هَذَا
مَا لَا يَشْكُ فِيهِ أَحَدٌ وَإِنْ أَبَاهُ طِبَاعُهُ ، وَلَمْ يُسَاعِدْهُ أَحْتِيَارُهُ ، وَكَانَ فِي طَبِئِهِ
يُبْسٌ ، وَفِي مَنْبِئِهِ شَوْكٌ ، وَفِي عِرْقِهِ حَوَرٌ ، وَفِي حُلُقِهِ تَيْهٌ .

وَقَدْ رَأَيْتُ نَاسًا مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْفَصْلِ وَالْمُرُوءَةِ عَابُوا مَذْهَبَ الرَّجُلِ الَّذِي
مَا كَسَى فِي شَيْءٍ تَامَهُ يَسِيرُ اسْتِرَاهُ . فَيَلِ لَهُ : أَنْتَ تَهَبُّ أَضْعَافَ هَذَا ، [فَمَا هَذَا
الْمِكَاسُ] ؟ ! فَقَالَ : هَذَا عَقْلِي أَمْخَلَّ بِهِ ، وَتِلْكَ مُرُوءَتِي أَجُودُ بِهَا .
وَأَكْثَرُ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَغُورُوا فِي التَّجَارِبِ ، وَلَا أَنْجَدُوا^(٦) فِي الْحَقَائِقِ ،
يَرَوْنَ هَذَا حِكْمَةً تَامَةً ، وَفَصِيلَةً شَرِيفَةً .

(١) فِي (١) : « يَمْلُطُ بِهَا الْحَزْمُ » . وَلِهَذِهِ الْعِبَارَةُ مَعْنَى عَيْرِ مُسْتَبْعِدٍ ، غَيْرَ أَنْ مَا أُثْبِتْنَا
فِي صِلِ الْكِتَابِ أَطْهَرَ وَأَشْهَرُ . (٢) فِي (١) : « حَاسِبَتْ » . وَفِي (ب) :
« حَاشَيْت » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ لِإِذْ لَا مَعْنَى لِكِلَا اللَّفْظَيْنِ بِمَاسَبِ السِّيَاقِ . وَلَعَلَّ
الصَّوَابَ مَا أُثْبِتْنَا . (٣) الْإِحَابُ (يَهْمُزُ خِيمًا) : الْإِجَابَةُ .
(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « عَالِظَتْ » بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٥) فِي (١) : « وَلَمَاتِيَانِ » . (٦) فِي (١) : « وَلَا اتَّحَدُوا » ؛ وَوَرَدَتْ
هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مَطْبُوسَةً الْحُرُوفِ يَتَعَدَّرُ قِرَاءَتُهَا ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أُثْبِتْنَا .

فأما الذين ذكرتهم في أوّل الحديث فإنهم قالوا : لا تتمُّ المروءةُ وصاحبها
يُنظرُ في الدقيق الحقيق ، ويُعيدُ القولَ ويُبدئُه في الشيء التَّزَرُّ (١) الذي
لا مرَدَّ له ظاهر ، ولا جدوى حاضرة .

وذكرُوا أيضاً أنَّ العقلَ أشرفُ من أن يُذالَ (٢) في مثل هذه الحال ،
ويُستخدَم على هذا الوجه ، قالوا : هذا وما هو في بابهِ بالكَيْسِ أشبه ،
والكَيْسُ يُحمَد في الصَّبَّيان ، وهو من مبادئ اللُّؤم ، ومَوَاحِ صدِّ الخلق ،
وقد قال الأوّل :

وقد يَتَغَابَى المرءُ عن عَظَمِ مالِهِ ومن تَحْتَ بُرْدَيْهِ المَغِيرَةُ أو عَمْرُو (٣)
ولذلك يقال للحيوان الذي لا يَنْطِقُ : هو كَيْسٌ .

هذا والله الصَّدق ، فإني سمعتُ بِمَكَّةَ أَعْرَابِيًّا يقول : مَا أَكَيْسَ هَذَا
الْقَطْ (٤) ؟ !

قالوا : ولذلك لا يقال للشَّيْخِ المَجْرُبِ والحَكِيمِ البليغِ والأصِيلِ في الشَّرَفِ
والمَشْهُورِ بِالزَّمَانَةِ (٥) والسَّكِينَةِ : كَيْسٌ . والكَيْسُ هو حَدَّةُ الحِصِّ في طَلَبِ
الْمَثَالَةِ ودَفْعِ الكَرِيهَةِ وبلوغ (٦) الشَّهْوَةِ . والحِصُّ بعيدٌ من العقل ، والعالي
في الحِصِّ كأنَّهُ يرْتَقِي في وادِي الحيوان الذي لا نطق له (٧) ، والعالي في العقلِ

(١) في (أ) : « المتردد » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (أ) : « يذال » بالهملة ؛ وهو تصحيف .

(٣) يريد المعيرة بن شعبة وعمر بن العاص ؛ ويشير إلى ما كانا يعرفان به من الدهاء
والدكاء . وفي (أ) : ابن عمرو ؛ وهو تحريف .

(٤) في (أ) : القَطْ ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (أ) : بالزمانية ؛ وهو تصحيف . وفي (ب) : بالديانة ؛ وما أثبتناه أنسب

بقوله بعد : والسكينة . (٦) في (ب) : واتباع .

(٧) في (أ) : الذي يطلق له ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

كَأَنَّهُ مَطْمَئِنٌّ فِي وَادِي الْمَلِكِ الَّذِي لَا حِسَّ لَهُ ، وَالْمَلِكُ لَمْ يَعْدَمَ الْحِسَّ لِنَقْصِهِ ، وَلَكِنْ لِكَمَالِهِ ، لِأَنَّهُ غَنِيَ عَنْهُ ، كَمَا أَنَّ الْحَارَّ لَمْ يَعْدَمَ الْعَقْلَ لِكَمَالِهِ ، وَلَكِنْ لِنَقْصِهِ [وَلَمَّا لَمْ يُرَدَّ مِنَ الْحَارِّ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا جُبِلَ عَلَى مَا هُوَ لَهُ وَبِهِ كَامِلٌ فِي نَقْصِهِ ، أَيْ هُوَ كَامِلٌ بِمَا هُوَ بِهِ حَارٌّ وَنَاقِصٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ إِنْسَانًا] ؛ وَلَمَّا لَمْ يُرَدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَارًّا حُفِظَ عَلَيْهِ مَا هُوَ بِهِ إِنْسَانٌ ، وَدُرِّجَ إِلَى كَمَالِ الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ بِهِ شَبِيهِ ؛ وَهَذَا التَّدْرِيجُ طَرِيقُهُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ [الْجَيِّدِ] وَالتَّوْفِيقِ السَّابِقِ .

وَبَعْدَتْ — جَعَلَنِي اللَّهُ مَدَاكَ — عَنْ مَهْجِ الْقَوْلِ وَسَنَنَ^(١) الْحَدِيثِ ، وَأَطَعْتُ دَاعِيَةَ الْوَسْوَاسِ ، وَذَهَبْتُ مَعَ سَارِحِ الْوَهْمِ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ » .

وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاقِ الْعَطِيِّ الْأَبَاطِحِ
فَأَرْجِعُ [وَأَقُولُ] :

قَدْ أَوْصَلْتُ إِلَيْكَ الْجَرَائِنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ عَلَى يَدِ غَلَامِكَ فَاتَّقِ ؛ وَهَذَا الْجَرْءُ — وَهُوَ الثَّالِثُ — قَدْ وَاللَّهِ نَفَثْتُ^(٢) فِيهِ كُلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ جِدَرٍ وَهْزَلٍ ، وَغَثٍّ وَسَمِينٍ ، وَشَاحِبٍ وَنَصِيرٍ ، وَفُكَاهَةٍ وَطَيِّبٍ ، وَأَدَبٍ وَاحْتِجَاجٍ ، وَأَعْتِذَارٍ وَأَعْتِلَالٍ وَأَسْتِدْلَالٍ ، وَأَشْيَاءَ مِنْ طَرِيفِ^(٣) الْمُمَالَحَةِ عَلَى مَا رُسِمَ لِي ،

(١) فِي (١) : « عَنِ سَبِّ » ؛ وَقَوْلُهُ : « عَنِ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي (١) : « بَقِيت » ؛ وَهُوَ نَصَحِيْبٌ .

(٣) فِي نَسْخَةِ : « مِنْ حَدِيثٍ » .

وطلُبَ مِنِّي ؛ ولأنَّه آخِرُ الكتابِ خَتَمَتْهُ بِرِسَالَةٍ وَصَلَتْهَا بِكَلَامٍ فِي خَاصِّ
أَمْرِي سَتَقِفُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَأْنِفُ نَظْرًا فِي حَالِي ، يَكُونُ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ —
كَظَنِّي بِكَ ، وَرَجَائِي فِيكَ ؛ وَفِيهِ بَعْضُ الْعَرَبِيَّةِ^(١) لَمْ أَخْرِجْ مِنْهُ إِلَى كُفْرَانٍ
لِنِعْمَةٍ ، وَلَا جَعْدٍ لِإِحْسَانٍ ، وَلَا سِتْرٍ لِيَدٍ ، وَلَا إِنكَارٍ لِمَعْرُوفٍ ، وَلَا شَكَّ
فِي عِنَايَةٍ ؛ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ عَلَى مَذْهَبِ الْمُدِلِّ الْمُقِلِّ الَّذِي يَنْبَغُهُ إِقْلَالُهُ عَلَى
تَجَاوُزِ قَدْرِهِ بِالذَّالَةِ ، وَيَرِيعُ^(٢) إِيَّاهُ إِذْ لَالَهُ عَنْ حُسْنِ أَدَبِهِ بِفِرَاطِ الثَّقَةِ ؛ وَرُبَّ وَائِقٍ
خَجِلٍ ؛ وَبِاللَّهِ الْمَعَاذُ مِنْ ذَلِكَ ، وَفِي الْحَالَيْنِ صَاحِبُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْلُو مِنْ
وَلَاءٍ صَحِيحٍ الْمُتَقَبِّ ، وَعَقِيدَةٍ كَسِيكَةِ الذَّهَبِ ؛ وَأَنْتَ بِكَرَمِ^(٣) طِبَاعِكَ ،
وَسَعَةِ بَاعِكَ ، تَجَبَّرَ تَقْصِي ، وَتَأَسَّوْ مَا غَثَ^(٤) مِنْ جِرَاحِي ، وَأَمَاتَ أَهْتَامِي ؛
وَمَنْ كَانَ إِحْسَانُكَ إِلَيْهِ مَشْكُورًا ، وَتَعْذِيرُكَ^(٥) عِنْدَهُ مَسْتُورًا ، لَخَلِيقٌ
أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِكَ خَاطِرًا ، وَبِلِسَانِكَ مَذْكُورًا ، وَالسَّلَامُ .

وها أنا آخِذٌ فِي نَشْرِ مَا جَرَى عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا مَا أَقْتَضَى مِنَ الزِّيَادَةِ
فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَالشَّرْحِ وَالنَّكْشِيفِ .

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ ، لِيَكُونَ حَظُّكَ
مِنَ الْكَرَمِ وَالْمَجْدِ مَوْفُورًا ، وَبَصِيْبِي مِنْ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي وَجَذْبِكَ بِبَاعِي

(١) فِي (١) : « الْعَرَبِيَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيعُ ، أَيْ رَجَعَ . وَفِي (١) : « وَيَرِيعُ » ؛ وَلَا مَعْنَى لَهُ يَنَاسِبُ السِّيَاقَ .

(٣) فِي (١) : « تَكْثُرُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « مَا غَبَّ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَغَثَ الْحَرَجُ ، أَيْ سَالَ عَثِيثُهُ ، وَهُوَ

مُدَّتُهُ وَفِيحُهُ .

(٥) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ . وَوَرَدَتْ فِي (ب) :

« وَتَعْذِيرُكَ » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . وَالتَّعْذِيرُ : التَّقْصِيرُ .

وإنقاذك إيتاي من أسري تاماً ، فظنني واعدتُ بأنك تبُلغ بي ما آمُلُه فيك
وتتجاوزُه وتتطاولُ إلى ما مَوته ، لأزدادَ عَجَباً ممَّا خَصَّكَ اللهُ به ، وأفردَكَ
فيه ؛ وأتحدَّثَ على سرِّ الأيتام بغريبه ، وأُحِثَّ كلَّ مَنْ أراه بعَدكَ على
سُلوِكِ طَرِيقِكَ في الخير ، ولزُومِ مِنهاجِكَ في الجَمِيل ، والدَّيْنُونَةِ بِمَذْهَبِكَ
المستقيم ، وأُكَيِّدُ أَصْحَابَنَا بِبَغْدَاد ؛ وأقول [لهم] : هل كان في حُسابنكم أن
يَظْلُعَ عليكم مِنَ المَشْرِقِ من يَزِيد^(١) ظَرْفُهُ على ظَرْفِكُمْ ، « وَيَبْعُدُ^(٢) بَعْلُهُ على
عَلَمِكُمْ » ، وَيُبَرِّزُ هذا التَّبَرُّيزَ في كلِّ شَيْءٍ تَفْخَرُونَ^(٣) به على غَيْرِكُمْ ، فأناظِرُهم
فيكَ وبِسَبَبِكَ^(٤) ، لا مُناظَرَةَ الحَنْبَلِيِّينَ مع الطَّبَرِيِّينَ ؛ وأتَعَصَّبُ لَكَ ،
لا تَعَصَّبَ المَفْضَلِيِّينَ^(٥) والْبَرْعَوِيِّينَ^(٥) ؛ وأجادِلُ من أَحْلَكَ ، لا جَدَلَ
الزَّيْدِيِّينَ^(٦) مع الإمامِيِّينَ^(٦) ؛ وأدْعِي في مَصائِلِكَ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ دَعْوَى أَقْوَى
مِنْ دَعْوَى الشَّيْعِيِّينَ ، وَأَصْرِبُ في ذلكَ كلِّ مَثَلٍ ، وَأُسْتَعِينُ بِكُلِّ سَجْعٍ ،

(١) في (١) : « يرتد طرفه على طرفكم » ؛ وهو تصحيف في هذه الكلمات الثلاث .

(٢) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في (١) والمعنى عليها « مستقيم .

والذي في (ب) : « ويفقد علمه في علمكم » ؛ وفي قوله : « ويبعد » بالفاء والذال تصحيف
صوابه : « ويبعد » . (٣) في (ب) : « محرون » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وسدك » ؛ وهو تصحيف .

(٥) المفضليون فرقة تنسب إلى المفضل بن عمرو من الشيعة الإمامية يقولون بأن الإمامة بعد

موسى بن جعفر قد انتقلت إلى ابنه محمد بن موسى . والمفضليون أيضاً فرقة أخرى تنسب إلى المفضل
الصيرفي ، وهذا قد قال : إن جعفر بن محمد له ؛ فطرده ولعه . والبرعوثيون فرقة من الجارية
أصحاب محمد بن الحسين البجار والبرعوثية هذه تنسب إلى محمد بن عيسى الملقب برعوث . والذي
في كلتا النسختين والمرعوشيين وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر (الملل والنحل) (وحديثة
الأكوان) (ومعالم الدين) .

(٦) الزيديون أصحاب زيد بن علي بن الحسين رضى الله تعالى عنهم وهذه الفرقة تقول :

إن الإمامة لأولاد فاطمة لا يشاركهم فيها أحد ولا يسوّعون لإمامه غيرهم . والإمامية فرقة من
الشيعة تقول إن الإمامة لعلي بن أبي طالب بعد محمد صلى الله عليه وسلم نصاً وتصريحاً وإشارة
إليه بالعين .

وَأَرْوِي كُلَّ خَبَرٍ ، وَأَنْشِدُ كُلَّ بَيْتٍ ، وَأَعْبُرُ كُلَّ رُؤْيَا ، وَأَقِيمُ كُلَّ بَرْهَانٍ ،
وَأَسْتَشْهَدُ كُلَّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ ، وَأَتَأَوَّلُ كُلَّ مُشْكِلٍ وَغَامِضٍ ، وَأُضِيفُ إِلَيْكَ
الآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ ، وَالْمُعْجَزَةَ بَعْدَ الْمُعْجَزَةِ ، وَأَنْصَلْتُ ^(١) لِكُلِّ ضَرْبَةٍ ، وَأُدْعِي كُلَّ
غَرِيبَةٍ ؛ هَذَا وَلَا أُخْطِ كَلَامِي بِالْهَزْلِ ، وَلَا أَشِينُ دَعْوَايَ بِالْمُحَالِ ، وَلَا أُبْعِدُ
الشَّاهِدَ ، وَلَا أَتَمَلَّقُ بِالْمُسْتَعْجِمِ ، وَلَا أَجْنَحُ إِلَى التَّلْفِيْقِ وَالتَّلْزِيْقِ ؛ وَكَيْفَ
لَا أَمْعَلُ هَذَا وَلِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ فِيكَ مَنَدُوحَةٌ ، وَفِي تَقْدِيمِ الصَّدَقِ عَلَى غَيْرِهِ
كَفَايَةٌ ، وَفِي نَشْرِ الْمَطْوِيِّ مِنْ فَضْلِكَ بَلَاغٌ ؟ وَإِنَّمَا يَمِيلُ إِلَى الْكَذِبِ مَنْ قَعَدَ
بِهِ الصَّدَقُ ، وَيَتَيَمَّمُ بِالصَّعِيدِ مَنْ فَاتَهُ الْمَاءُ ، وَيَحْلُمُ بِالْمُنَى مَنْ عَدِمَ الْمَتْنَى
فِي الْيَقَظَةِ ؛ فَأَمَّا أَنْتَ وَقَدْ أَلْبَسَكَ اللَّهُ رِداءَ الْفَضْلِ ، وَأَطْلَعَكَ مِنْ مُنْبِتِ
كَرِيمٍ ، وَدَرَجَكَ مِنْ بَيْتِ ضَخْمٍ ، وَآتَاكَ الْحِكْمَةَ ، وَفَتَقَ لِسَانَكَ بِالْبَيَانِ ،
وَأَثَرَعَ ^(٢) صَدْرَكَ بِالْعِلْمِ ، وَخَلَطَ أَخْلَاقَكَ بِالذَّمَامَةِ ، وَشَهَرَكَ بِالكَرَمِ ، وَخَفَّفَ
عَلَيْكَ النُّهُوضَ بِكُلِّ مَا يُكْسِبُكَ الشُّكْرَ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَبِكُلِّ
مَا يَدَّخِرُ لَكَ الْأَجَرَ عِنْدَ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ ، حَتَّى صِرْتَ كَهْفًا لِأَبْنَاءِ الرَّجَاءِ ،
وَمَفْرَعًا لِبَنَى الْأَمَالِ ؛ فَبَابُكَ مَغْشَى مَزُورٍ ، وَفِنَاؤُكَ مُنْتَابٌ وَخِوَانُكَ ^(٣)
مَحْضُورٌ ، وَعِلْمُكَ مُقْتَبَسٌ ، وَجَاهُكَ مَبْذُولٌ ، وَضَيْفُكَ مُحَدَّثٌ ، وَكُتُبُكَ
مُسْتَعَارَةٌ ، وَغَدَاؤُكَ حَاصِرٌ ، وَعَشَاؤُكَ مُعْجَلٌ ، وَوَجْهُكَ مَبْسُوطٌ ، وَعَفْوُكَ
مَحْذُورٌ ، وَجِدُّكَ مَشْكُورٌ ، وَكُلُّ أَمْرٍ قَائِمٌ عَلَى النِّهَايَةِ ، وَبَالِغٌ الْغَايَةِ ، وَاللَّهُ
يَزِيدُكَ وَيَزِيدُنَا بِكَ ، وَلَا يَبْتَلِينَا بِفَقْدِ مَا أَلْفَنَاهُ مِنْكَ ، بِمَنَّةٍ وَجُودِهِ .

(١) فِي (١) : « وَأَنْصَلْتُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « وَدَعَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيْبٌ .

(٣) فِي (١) : « وَجَوَابُكَ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

الليلة التاسعة والعشرون

(١) قال الوزير — أعز الله نصره^(١) ، وأطاب ذكره ، وأطار صيته — ليلة : أحب أن أسمع كلاماً في قول الله عز وجل : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ، فإن هذا الإيحاء لم يفهم في كلام البشر .

مكان من الجواب : إن الإشارة في « الأول » إلى ما بدأ الله به من الإبداع والتصوير ، والإبراز والتكوين : والإشارة في « الآخر » إلى المصير إليه في^(٢) العاقبة على ما يجب في الحكمة من الإنشاء والتصريف ، والإعلاء والتعريف ، والهداية والتوقيف . وقد بان بالاعتبار^(٣) الصحيح أنه عز وجل لم يكن محجباً عن الأنصار ، ظهرت آثاره في صفحات العالم وأحزانه ، وحواشيه وأثنائه^(٤) ، حتى يكون لسان الآثار داعياً إلى معرفته ، ومعرفته طريقاً إلى^(٥) قصده ، وقصده سبباً للمسكاة عنده والحظوة لديه . على أنه في احتجابه بآر ، كما أنه في بروره فحجب : وبيان هذا أن الحجاب من ناحية الحسن ، والبروز من ناحية العقل ، فإذا طلب من جهة الحسن وجد محجوباً ، وإذا لحظ من جهة العقل وجد بارزاً ، وهاتان الجهتان ليستا له تعالى ، ولكنهما الإنسان الذي له الحسن والعقل ، صار بهما كالناظر من مكانين ؛ ومن نظر إلى شيء واحد من مكانين كانت نسبتته إلى المنظور إليه مفترقة .

(١) في (١) : « رهظه » .

(٢) في (١) : « والعاقبة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « الاعتبار » بسقوط الباء ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « وأثباته » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : « في » مكان « إلى » ؛ وهو تحريف .

وإنما شقَّ هذا الأمرُ على أكثر الناس وأختلفوا فيه ، لأنهم راموا تحقيقَ ما لا يُحَسُّ بالحِسِّ ، ولو راموا داك بالعقل المَحْصِي بغيرِ شَوْبٍ من الحِسِّ ، لكان المرُومُ يَسْبِقُ الرَّائِي ، والمَطْلُوبُ يَلُوحُ قُبَالَةَ الطَّالِبِ مِنْ غيرِ شكٍّ [لا بَسِّ ، ولا ريبٍ مُوحِشٍ ، لأنه ليس في العقل والمعقول شكٌّ] . وإنما الرَّيْبُ والشَّكُّ والظَّنُّ والتَّوَهُّمُ كلُّها من علائق الحِسِّ وتَوَابِعِ الخِلْقَةِ ، ولولا هذه العوارِضُ لَمَّا أَغْنَتْ وَجْهَ العقلِ ، ولا عَلَاهُ شُحُوبٌ ، وَلَبَقِيَ عَلَى نَضْرَتِهِ وَجَمَالِهِ ^(١) وَخُسْنِهِ وَنَهْجَتِهِ . ولَمَّا كان الإنسان مَعِيشَ ^(٢) هذه الأعراض في الأوَّلِ ، صار مَعِيشَ ^(٣) هذه الأحوالِ في الثَّانِي ، فاستعارَ مِنَ العقلِ نُورَهُ في وَصْفِ الأشياءِ - الجُسْمِيَّةِ جَهْلًا مِنْهُ وَحُطًا ، واستعارَ مِنَ ظِلَامِ الحِسِّ في وَصْفِ الأشياءِ الرُّوحَانِيَّةِ عَجْزًا مِنْهُ وَنَقْصًا ، ولو وُقِّقَ لَوَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى شَكْلِهِ ، ولم يَرَفَعَ الوَضِيعَ إِلَى مَحَلِّ الرَّمِيعِ ، ولم يَصْعَ الرَّمِيعَ فِي مَوْضِعِ الوَضِيعِ .

فلَمَّا بلغ الحديث هذا الحدَّ ، عَجِبَ الوزيرُ وقال : ما أَعَذَّبَ هذا المُوَرِّدُ ! وما أَعْجَبَ هذا المشْهَدُ ! وما أَبْعَدَ هذا المقْصِدُ ! وما أَرَى لِمَصْنُفٍ ^(٤) مِنَ المُوَحِّدِينَ مُتَصَرِّقًا فِي هَذَا التَّنَوُّعِ إِلَّا لَهُدَى الْعِصَابَةِ الْكَرِيمَةِ الْخُصُوصَةِ بِالْيَقِظَةِ ^(٥) .

وسأل عن جُشَمَ فِي أَسْمِ الرَّجُلِ مَا مَعْنَاهُ ؟

فكان من الجواب : إنَّ أبا سعيد السَّيرافيَّ الإمامَ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ

أَنَّهُ يَقَالُ : « رَجُلٌ عَظِيمُ الْجُشَمِ » ، يَعْنِي وَسَطَهُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ جُشَمٌ .

(١) فِي (١) : « وَكَمَالِهِ » .

(٢) مَعِيشَ فَمَنْعَ الْمِيمِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَيْ مَوْضِعَ فِيمِ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ وَتِلْكَ الْأَحْوَالِ .

(٣) فِي (١) : « لِمَصْنُفٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « بِالْيَقِظَةِ » .

وقال : ما الحِمْحِم ؟ وما الخَمَخَم ^(١) ؟ ف قيل أما الحِمْحِمُ فبَقْلٌ يَهِيحُ في أوَّلِ الصيف وَيَنْبِتُ فيؤكل في ذلك الوقت ؛ وأما الخَمَخَمُ فبَقْلٌ آخِرُ خَيْثٍ مُنْتِنُ الرِّيحِ ^(٢) .

وقال : فَأَرَّةُ الْمِسْكِ ، أَنْقَوْلُهَا بِالْهَمَزِ ؟

فكان من الجواب : حكاه ابن الأعرابي بالهمز .

قال : عَارِضًا الرَّجُلُ مَا يُعْنَى بِهِمَا ؟

قيل : قال أبو سعيد السَّيرافي : هما شَعْرُ حَدَّيْهِ ، ولو قلت [لأَمْرَد] : إِمْسَخْ عَارِضِيكَ كان خطأ .

وقال : سمعتُ اليومَ في كلامِ ابنِ عُبيدٍ : لَأَيْتَهُ ، وظننتُ أَنَّهُ أرادَ : لاوْثَهُ من اللَّوْثِ [لَوْث] العامة .

ف قيل : بل يقال : لاَيْتَهُ إذا تَشَبَّهَ بِاللَّيْثِ .

وقال : ما الشَّاكِد ؟

ف قيل : الْمُعْطَى من غير مكافأة .

قال : أَوْتَهْمِرُ الْكَلِمَةَ ^(٣) ؟

(١) كذا ذكر المؤلف في تفسير هذين اللفظين . وقال أبو حبيبة : الحِمْحِمُ والحَمْحَمُ واحد . وقال ابن البيطار في الخَمَخَمِ بالخاء المعجمة . هو اسم عربي لسان شكله شكل الأبحرة السوداء إلا أنه أشد خضرة منها وأعصانه حمر كأعصانها إلا أنها أصلب . ومما يته الوديان والمسابل وعليه شوك دقيق أصاق بكل ما يعلق به من ثوب أو غيره ولا يؤدي انلامس وكثيراً ما تنبت هذه البتة بظاهر القاهرة تحت الجبل الأحمر في مسيل هناك بالقرب من قلعة الجبل . وذكر في الحِمْحِمِ بالمهملتين . أنه هو النبات المعروف بلسان الثور عند أهل الشام وديار بكر . وقال في التعريف بلسان الثور لأنه نبات خشن أسود ، يشبه في شكله ألسنة الفرس . وذكر في الحِمْحِمِ أنه سمعهم يطقونه بضم المهملتين . وفي نسخة : « ما الجَمَجَم » بجمعين مكان الحِمْحِمِ بجمعين مهملتين . والجَمَجَم بجمعين عروق تشبه في شكلها ومقدارها عروق الحزر البري المسمى عند أهل الشام الشقاقل .

(٢) يريد بالكلمة : المكافأة .

ف قيل : إني لو لم أَهْمِزْ لكان مُفَاعَلَةٌ من كَفَيْتُ .

قال : والثانية ^(١) ؟ تكونُ من كَفَأْتُ الإِنَاءَ . فما معناه ؟

قيل : قال أبو سعيد : كأنَّه قَلَبَ الحَالِ إليه بالمِثْلِ .

قال : الذَّوْدُ ، ما قَدَّرَ عَدَدَهُ من الإبل ؟ فكان من الجواب : أَنَّ ابنَ الأَعْرَابِيِّ قال : الذَّوْدُ ما بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إلى العَشْرَةِ . وإذا بَلَغَتْ العَشْرِينَ أَوْ قَارَبَتْ هِيَ قِطْعَةٌ وَصُبَّةٌ وَفِرْقَةٌ وَصِرْمَةٌ حَتَّى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ . ثُمَّ هِيَ حُدْرَةٌ وَعَسْكَرَةٌ وَعَجْرَمَةٌ حَتَّى تَبْلُغَ مِائَةَ . ثُمَّ هُنَيْدَةٌ . فإذا بَلَغَتْ مِائَتَيْنِ هِيَ خِطَرٌ ^(٢) . وكذلك الثَّلَاثِمِائَةَ . فإذا بَلَغَتْ أَرْبَعِمِائَةَ هِيَ عَرَجٌ إلى الأَلْفِ ، وَالْجَمَاعَةُ عُرُوجٌ . وإذا كَثُرَتْ عن الأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ مَبْلَغَتْ مِائَةً وَزَادَتْ هِيَ جُرْجُورٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ حُرْجُورًا لَجَرَّاجِرِهَا وَأَصْوَاتِهَا . وقد تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ بَعْضَ هَذَا فَتَجْعَلُهُ في بَعْضٍ .

وقال : ما الْفَرَقُ بَيْنَ الْقَبْصِ وَالْقَبْضِ ؟ فقيل : الْقَبْصُ لَعَدِيدٍ مَا كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا ؛ قال ابنُ الأَعْرَابِيِّ : وَأَنْشَدَنِي الْعَامِرِيُّ لِابْنِ مَيْيَادَةَ

عَطَاؤُكُمْ قَبْصٌ وَيَحْفَنُ غَيْرُكُمْ وَلَلْحَفْنُ أَغْنَى لِلْفَقِيرِ مِنَ الْقَبْصِ

وقال : الْقَبْصُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضُ بِالْكَفِّ ، وَالْحَفْنُ بِالْكَفِّ وَالرَّاحَةُ إِلَى فَوْقِ مَفْتُوحَةٍ قَلِيلًا . هَذَا لَفْظُهُ .

وقال : الإِلْكُ الَّذِي هُوَ الْعَهْدُ هَلْ يُجْمَعُ ؟ فقيل : حَكَّى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي

(١) ورد في كلتا النسختين قوله ف قيل بعد قوله والثانية ؛ وهي زيادة من الناسخ لا مفضى لها هنا .

(٢) في (أ) « حطرة » . وفي (ب) « حطم » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

تَجْمَعُهُ ، فَقَالَ : إِيَّالَهُ وَأُلُولَهُ ^(١) .

وقال : آمَ الرجل ماذا ؟ فقيل : هذا على وجوه ؛ يقال : آمَ الرَّجُلُ يَوْمُ أَوَامًا مِنَ الْعَطَشِ ؛ ويقال آمَ الرَّجُلُ يَوْمَ إِيَّامًا ^(٢) ، وهو الدُّخَانُ . وآمَ الرَّجُلُ يَتِيمٌ إِذَا بَقِيَ بغير حليمة ، والأَيِّمُ مستعملٌ في الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ .

قال : هذا تَمَطُّ مفيد ، ويجب أن يُجْمَعَ منه جُزْءٌ أو جُزْآنٍ لِيَسْهَلَ على الطَّرْفِ الْمَجَالُ فيه ، فإن الْكُتُبَ الطَّوَالَ مُسْتِثْنَةٌ ، وإذا تَدَاخَلَ اللَّطِيفُ بِالْكَثِيفِ وَمَا رَقَّ بِمَا غُلِظَ تَبَتَّ النَّفْسُ ، وَدَبَّ الْعَمَلُ ^(٣) وَالْإِنْسَانُ كَسَلَهُ مِنْ طِينِهِ ، وَنَشَاطُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالطَّيْنُ أَغْلَبُ مِنَ النَّفْسِ .

مكان الجواب : التَّسْمَعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَمْرِ الْمُشْرِفِ .

قال : هاتِ حَدِيثًا يَكُونُ مَقْطَعًا لِلْوَدَاعِ ، فإنَّ اللَّيْلَ قَدْ عَبَسَ وَجْهَهُ ، وَجَنَحَ كَاهِلُهُ ، وَأَهْدَى إِلَى الْعَيْنِ سِنَّةً تَسْرِقُ الدَّهْنَ وَتَسْبِي الرُّأْيَ .

مكان من الجواب أنه مَرَّ في اليوم حَدَثٌ يُصَارِعُ مَا جَرَى مُنْذُ لَيْالٍ فِي مَسَادِرِ النَّاسِ وَخُؤُولِ الرِّمَانِ ، وَمَا ذَهَبَ الْحَاصِ وَالْعَامُ فِي حَدَثِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ الْعُمُودُ وَالِدُّعَامَةُ فِي عِمَارَةِ الدَّارَيْنِ ، وَمَدَّ طَالَ بَعْجَتِي مِنْهُ ، وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ الدَّاءَ فِي هَذَا قَدِيمٌ ، وَالْوَجَعُ فِيهِ أَلِيمٌ .

(١) لم حد الأول جمعاً للزناً بمعنى معها فيما واحدها من أكتاف النعمة والذي وحدناه إلال كما هو الحال .

(٢) الإيام بالياء بمعنى الدخان أصله الواو ، ثم دلت الواو ياء كما في كتب النعمة .

(٣) في (١) « ورت الحال » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

قال : فهات فتشيبك^(١) قد رَغَبَ شديداً ، وغرامك^(٢) قد بعث^(٣) جديداً .
 فكان [من ذلك] الحديث أن محمد بن سلام قال فيما حَدَّثَنَا به أبو السائب
 القاضى عُتْبَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ قال : حَدَّثَنَا السَّكْرِيُّ أبو سعيد قال : قال محمد بن
 سلام : سمعتُ يونسَ يقول : وكُرتُ في أمرٍ فأسمعوه . قلنا : هاته . قال : كلُّ
 من أصبح على وجه الأرض من أهل النار إلا أُمَّتَنَا^(٤) هذه ؛ والسلطان ومن
 يُطِيف به هُلْكِي إلا قليلا ، فإذا قَطَعْتَ هذه الطبقة حتى يبلغ الشَّامُ
 ما كَلَةُ رِثًا وباغيةً وشريرةً خَمِرٍ وباعثها إلا قليلا ، فإذا خَلَفْتَ هذا الرَّمْلَ حتى
 تأتي رَمْلَ يَبْرِينَ وأعلام الرُّومِ فلا غِسلَ من حَنَانَةٍ ، ولا إسباغَ وُضوءٍ ،
 ولا إتمامَ صَلَاةٍ ، ولا عِلْمَ مُحَدُّودٍ ما أنزل الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم
 إلا قليلا ؛ فإذا صِرْتَ إلى الأمصار فأصحابُ هذه الكراسي ليس منهم إلا دُثْبُ
 مُسْتَنْفَرٍ^(٥) نَذَسَهُ ، يَحْتَلِكُ^(٦) عن دينارك وِدْرَهَمِكَ ، يَكْذِبُ ، وَيَبْخُسُ في الميراثِ ،
 ويَطْفَفُ في الْمِكْبَالِ ، إلا قليلا ؛ فإذا صِرْتَ إلى أصحاب الغلات الذين كَفُوا
 العَوْنَةَ وأُنْعِمَ عليهم | وَجَدْتَهُمْ | نَمَسَى أَحدهم سكرانٌ وَيُغْبِجُ مَخْمُوراً ، إلا
 قليلا ، ومعى والله منهم^(٧) قَطِيعٌ في الدار ، فإذا صِرْتَ إلى قومٍ لم يُنْعَمَ عليهم بما أُنْعِمَ

(١) في (ب) « فسدك » ؛ والمعنى يستقم عليه أيضاً .

(٢) في كلتا النسختين : « وعرامك » نالبا ؛ وهو محرم .

(٣) ق- بعث جديداً ، أى بعث عراما جديداً في نفسه . والذي في (أ) : « بعث » .

ووردت هذه الكلمة في (ب) . مهذلة الحروف من القبط . والصواب ما أثبتنا كما يهتضيه السياق .

(٤) يريد نذاه . هنا أهل طيبته كما يدل على ذلك سياق القصة .

(٥) مسترٌ أى يطلب عِرة الناس وعملتهم .

(٦) في (أ) « يحيلك » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في (أ) « منهم » ؛ وهو خريف .

على هؤلاء ، وهم يشتهون ما يشتهى هؤلاء ، فواحد لص ، وآخر طرار^(١) ،
وآخر مستقف^(٢) إلا قليلا ، فإذا صيرت إلى أصحاب هذه السوارى^(٣) ، فهذا
يشهد على هذا بالكفر ، وهذا يبرأ من هذا ، والله لئن لم بعثنا الله برحمته
إيها للفضيحة .

فقال الوزير : لقد شرذبت النوم عن عيني ، وملأت قلبي عجباً ، فإن الأمر
لكما قال ، فإذا كان هذا موله في عصره ، وشجرة الدين على نصارة أغصانها
وخضرة أوراقها ، ونسج ثمارها ، فما فوله — توى — فينا لو أحققنا ، وأدرك
زماننا ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

الليلة الثلاثون^(١)

وقال الوزير — [أدام الله أتممه] — : سراويل يُذكر أم يُؤث ،
ويُصرف أم لا ؟

فكان الجواب : أن علي بن عيسى حديثاً عن شيخه ابن السراج قال :
سألت المبرد فقلت : إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يُصنع | به | في الصرفِ

(١) في كلتا السحتين « طرار » الراى المعجمة في آخره ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا
و« طرار » مهملتين هو الذي يشق نمّك ويستل ما فيه ، وهو المعروف عندنا بالندال .
(٢) يقال : استقفاه إذا جاء من خلفه وصربه بالعضا على قفاه ويشير إلى هؤلاء الذين
يقومون في الطرق المقطعة حتى إذا مر بهم من بطون معه مالا صربوه من خلفه بالعضا على قفاه
حتى يعتد الحس والشعور فيستولون ما معه ويهربون ؛ أو لعل صوابه مستحب بالخاء .
(٣) يريد سوارى المسند وعمده . ويريد بأصحابها العلماء الذين يجلسون إلى جانبها
يقرأون أعلم على الناس .

(٤) يلاحظ أنه لم يرد في كلتا السحتين ما يشير إلى أنه ابتدأ ليلة جديدة بمسد الكلام
السابق لهذا العنوان . وقد رأينا أن الكلام الآتي بعد انما وقع في ليلة جديدة غير السابقة
بدليل قوله فيما تقدم : « هات حديثاً يكون مقطعا للوداع » الخ .

في مثل شعره^(١) هَراميل [وهذه] سراويل وما أشبهه ، فقال : ألحقه بالجمع فامتنعه الصَّرف ، لأنه مثله وشبيهه .

قال : وسألتُ أحمد بن يحيى عن ذلك ، فقال : أخبرنا سلمة عن الفراء قال : ألحقه بأحمد فامتنعه الصَّرف في المعرفة ، وأصره في النكرة حتى يكون بين الواحد والجمع فرق .

وسأل فقال : ما واحد المناحيب والمناحيب وما حكمهما ؟

فكان من الجواب : واحد المناحيب منجاب ، يُمدح به ونُذَمُّ ، فإذا كان مدحاً فهو مأخوذ من النخب^(٢) ، وهو الاختيار ، وإذا كان ذمّاً فهو مأخوذ من النخبة ، وهي الأست قال : وهكذا المنجاب تكون مدحاً وذمّاً ، فإذا كان مدحاً فهو مأخوذ من الأتجاب ، وهو الاختيار ، وإذا كان ذمّاً فهو مأخوذ من النجب ، وهو فشرُّ الشجر .

قال : ما معنى فولهم : امرأة عروث ؟

فكان من الجواب أن محمد بن يزيد قال - على ما حدثنا به أبو سعيد وابن السراج عنه - إنه من الأضداد ، وهي المتجسّبة إلى زوجها ؛ وهي الفاسدة ، مأخوذ من فولهم : عرّبت مَعِدَنُه إذا فسدت .

وقال : الصَّهْناء يُمَدُّ وُبُقَصَرُ ؟

فكان من الجواب أن ابن الأعرابي قال : الذي حَصَلَتْهُ عن الأعراب

(١) في (ب) « صيغة » ؛ وهو تحريف . ويقال : شعره هراميل ، إذا سقط .

(٢) في الأصل : من النخبة ، وهي الاختيار ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في كتب

اللغة إذ النخبة من القوم الجماعة المختارة ، لانفس الاختيار .

أَنَّ الصَّهْنَاءَ المَمْدُودَةَ هِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ ^(١) ، وَأَنَّ المَقْصُورَةَ هِيَ الْيَاسَمِينَ ^(٢) ،
وَجَمْعُ الْأَوَّلِ صُهُىٌّ وَجَمْعُ المَقْصُورِ ضَهَايَا ^(٣) .

قال : مَا مَعْنَى المَمْدُودِ المَطِيرِ ؟

مَكَانٌ مِنَ الجَوَابِ : أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : هُوَ مَقْلُوبُ المَطَرِ ^(٤) .

(٢) وقال : أَنشِدْنِي غَزَلًا ، فَأَنْشِدُهُ مَا حَصَرَ فِي الْوَقْتِ لِأَعْرَابِي :

أَمْرٌ مُحْتَبَا عَنْ بَيْتِ سَلَمَى وَلَمْ أَلِمْ بِهِ وَهِيَ الْغَلِيلُ
أَمْرٌ مُحْتَبَا وَهَوَاىَ فِيهِ طَرَفِي عَنْهُ مُتَكَبِّرٌ كَنِيلُ
وَقَلْبِي فِيهِ مُقَنَّسٌ هَلْ لِي إِلَى قَلْبِي وَهِيَ تَلِيدٌ سَبِيلُ

(٣) وقال : أَتَحْفَظُ الْأَبْيَاتَ الَّتِي فِيهَا :

تَكْفِيهِهِ فَلَدْتُ كَيْدَ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي سُرْبَهُ الْغَمْرُ
فَأَنْشِدَهُ أَنْ نَبَاهَا . وَدَاكْ لَا بِي دَت : مَا أَحْفَظُ إِلَّا هَذَا الْمَثْلَ سَاهِدًا ،
وَهُوَ لَأَعْشَى بَاهَاةٍ يَرْتُبِي الْمُنْشِيرَ ^(٥) :

(١) وَأَيْضًا لَقِيَ لَابِرًا لَهَا بَدَى .

(٢) « نَحْدَوْنِ رَاحِمَاءَ مِنْ كَثَبِ اللُّغَةِ أَنْ يَصْبِيَا بِمَقْصُورَةٍ يَاسَمِينَ كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ هُنَا . وَلَدَى بَنِي اللَّاتِ أَنْ يَصْبِيَا شَجَرًا مِنْ مَقْصُورَةٍ كَبِيرَةٍ تُقَالُ ثَوْبٌ ، وَغَضَبَتُهُ هَرَاءٌ شَدِيدَةٌ حَمْرَةٌ ، وَوَرْنُهُ كَوْرِيٌّ سَمَرٌ . »

(٣) فِي قَلْبِهَا « سَجَنٌ » صَبَا : وَهُوَ تَجَرُّبٌ بِمَعْنَى جَرِّهَا وَتَجَرُّبُهَا بِمَقْصُورَةٍ رَاحِمَاءَ مِنْ كَثَبِ اللُّغَةِ : وَالصَّوَابُ أَنَّهَا لَمْ يَتَّصِفْ بِوَادِعَةٍ صَبْرَةٍ وَفِي مَا أَحْدَثَ أَلْفَ دَائِبَتٍ بِمَقْصُورَةٍ وَكَانَ عَلَى هَذَا الْوَرْدِ يَجْمَعُ عَلَى مَعْنَى مَتَّحٍ بِمَعْنَى كَبِيرَةٍ ، كَقَوْلِهِ وَدَمَرِي .

(٤) فِي الْأَصْلِ « إِلَى المَطَرِ » . وَقَوْلُهُ « إِلَى » زِيَادَةٌ مِنَ التَّسْبِيحِ إِذِ المَطَرُ هُوَ المَقْلُوبُ إِلَى مَطِيرٍ ، وَالمَطِيرُ مَقْلُوبٌ إِلَيْهِ . وَالمَطَرِيُّ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ بِالصَّغَاءِ طَرِيًا . وَالمَمْدُودُ : المَعْدُودُ مِنَ الطَّيِّبِ تَجَرُّبُهُ مَعْنَى المَمْدُودِ المَطِيرِ : مَعْدُودُ الرَّمْلِ .

(٥) الْمُنْشِيرُ ، هُوَ ابْنُ وَهْبٍ مِنْ سُلَيْمَةِ السَّهْلِ . قَالَ الْأَمْدِيُّ : وَهُوَ أَحَدُ الْأَعْشَى لِأُمِّهِ . وَرَوَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلدَّعْمَاءِ أُخْتِ الْمُنْشِيرِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا سَابِحُ خِرَاطَةِ الْأَدَبِ ، وَغَدَاةُ آيَاتِهَا أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ بَيْتًا فِيهَا : وَفِي شَعْرِهَا بَاهَاةُ المَطْبُوعِ فِي أَوْرَاسِهِ وَأَرْسُومٌ بَيْتًا . وَقِصَّةُ الْمُنْشِيرِ هَذَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ مِنْ عِلْمَةٍ قَدِيمَةٍ بِمَعْنَى الْمَاهِيَةِ بِمَعْنَى الْكَفَّةِ —

إِنِّي أَتَنَّى لِسَانٍ لَا أَسْرُ بِهَا مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سُخْرُ^(١)
فَبِتُّ مَرْتَعًا لِلنَّجَسِ أَرْقُبُهُ حَيْرَانًا ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ (تَثْلِيثٍ) مُعْتَمِرٍ^(٢)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يُلَوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَلْتَقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا (مُضَرُّ)
نَعَيْتَ^(٣) مَنْ لَا تُقَبُّ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ إِذَا الْكُوكَبُ أَخْطَا نَوَّاهَا الْمَطَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ بِكَدَّرَهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَّرَ
طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٍ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(٤)
لَا تُنْكِرُ الْبَازِلُ الْكُومَاءَ ضَرْبَنَهُ بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أُجْلَوَذَ السَّفَرُ^(٥)

التيامة — وكان هو فيل بن عمرو بن كلاب أعداء له ، وقد رأوا محرجه وعوره وما يطلبه به
هو الحارث بن كعب وطريقه عليهم . فسار المتسر ، حتى إذا كان بهضب النباع أنذر هو فيل
بن الحارث بن كعب بالمشعر ، وكان المشعر قد أسر رجلا من بني الحارث بن كعب يقال له هند بن
أسماء بن ربيع ، فسأله المشعر أن يمدى يده ، فأبطأ عليه هند فقطع أمانته ثم سأله فأطأ فقطع
يده أخرى ، وقد أتمته القوم ووضع سلاحه ، فقال هند بن أسماء : أتؤمسون مقطعا (بشديد
الطاء مكسورة) « وإلهي لا أؤمسه » ثم قتله وقتل عائلته . انتهى ملخصا من خزنة الأدب .
(١) اللسان : الرسالة ، وجمعه ألس . أما اللسان بمعنى الحارحة فجمعه ألسة . وعلو
روى تثلث الواو ، يريد أعلى نحد كما في خزانة الأدب . وى شعر أعشى باهلة المطبوع
في أوربا : « لا كذب » مكان قوله : « لا عجب » .

(٢) في رواية : « فلهم » مكان قوله : « جمعهم » . ومعتمر ، أي راثر . يقال :
اعتمر إذا قصد مكانا بعينه راثرا له . وتثلث : موضع بالحجاز قرب مكة ، كما في ياقوت .

(٣) في كلتا النسختين : « يعين من لا يعين » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن شعر
أعشى باهلة المطبوع في أوربا وخزانة الأدب . ولا تقبُ الحيَّ جمعته ، أي أنه دائم الإطعام
لقومه لا تعب عنهم حفته . وهي القصص في زمن الحدب وقلة الأمطار . والبوء : سقوط
نجم في العرب عند الفجر وظلوع نجم آخر يقابله في المشرق ، وكانت العرب تنسب الأمطار
والرياح والحر والبرد إلى الأنواء ويقولون : مطرنا سوء كذا .

(٤) العراء : الشدة والجهد . ومصلت بالقوم ، أي منجرد مشمر .

(٥) في كلتا النسختين : « المطر » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا معنى له في هذا البيت .
والتصويب عن ديوان أعشى باهلة المطبوع في أوربا وخزانة الأدب . والبارل من النوق : التي =

وتَفَرَّعَ^(١) الشَّوْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَغْنَاقِهَا الْجِرَارُ
لَا يَضْعُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَبَّتْ يَرْكَبُهُ وَكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمِرُ
يَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلِذَاكَ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْغَمَرُ^(٢)
لَا يَتَأَرَّى^(٣) لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ^(٤) عَلَى شَرْسُوفِهِ الصَّفَرُ
لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبٍ^(٥) وَلَا يَرَالُ^(٦) أَمَامَ الْقَوْمِ يَتَقَفِرُ
مَهْفَهْتَ أَهْضَمُ الْكَاشِحِينَ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ بِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّمَحُ دَوِ النَّعَّائِينَ بِمَكْسِرِ
لَا تَأْمَنُ النَّاسُ مُنْمَسَاهُ وَمُصْبَحَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٦) وَإِنْ لَمْ نَأْتِ بُدْتَظَرُ
إِنَّمَا بُجِبْكَ عَدُوًّا فِي مُنَاوَاةٍ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلَى وَتَنْتَصِرُ

== دخلت في السِّتة التاسعة . والكوماء . الدقة العظيمة . واحلود اسفر . أى طال وامتد .
وفي رواية : « إذا ما اخرووط » ؛ وهو غمام .

(١) يقول إن الباقى تفرع منه بحافة أن يعقرها وتسحر حررها في أعناقها حتى تنقطع .
والحرر جمع حررة (بالكسر) ، وهى ما يحتتره السير معروف . وفي رواية : « قد تكظم
البرن منه من محافته » حتى تقطع ... الخ .

(٢) الحزة : القطعة من اللحم تقطع طولاً . والميلدان : جمع فيدة ، وهى القطعة من
الكبد واللحم . والعمر : أصغر الأقداح . يقول : لأنه يكتنى بالليل من صغاره وشرايه لإشاراً
لغيره على ربه ، وكانت العرب كثيراً ما تتمدح بذلك .

(٣) لا يتأرى ، أى لا يتحسس ولا يتمكن .

(٤) ورد في كلا الأصلين هذان الشطران اللذان تحت هذا الرقم كل منهما مكان الآخر ؛
وهو خطأ من الناسخ صوابه ما أثبتنا نقلنا عن المصادر التى بين أيدينا . والشرسوف : طرف
الضلع . والصفر رعموا أنها دوية مثل الحية تكون فى البطن تغترى من « شدة جوع . وفى
كلماتنا السخيتين : « ولا يراه » مكان قوله : « ولا يزال » ؛ وهو تحريف . ويقتصر ، أى
يقتنى ويتسع .

(٥) فى رواية : « ألم به » مكان قوله : « ومن وصب » . يصمه بالصبر على السير .

(٦) فى رواية : « من كل فج وإن لم يمز » الخ .

لو لم تَخْنُهُ نُفَيْلٌ^(١) وهى خائنةٌ أَلَمَّ بالقومِ وِزْدٌ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ
وَرَّادُ حَرْبٍ شِهَابٌ يُسْتَقْصَاءُ بِهِ كَمَا يُضَىءُ سَوَادَ الطُّخْيَةِ الْقَمَرِ^(٢)
إِنَّمَا سَلَكَتْ سَبِيلًا كُنْتَ سَارِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرٌ
مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتَهُ رَهَقٌ^(٣) وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرٌ^(٤)

الليلة الواحدة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً حَدِيثُ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ وَالْحَزْمِ وَالتَّيَّةِظِ وَفَلَدِ الْأَسْتِهَانَةِ بِالْخَصْمِ ،
فَقَالَ ابْنُ عُبَيْدِ الْكَأَبِ : أَنَا أَسْحَسُنُ كَلَامًا جَرَى أَتَامَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، وَذَاكَ
أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ لَمَّا وَجَّهَ إِلَى حَرْبِ طَاهِرٍ | مِنَ الْحُسَيْنِ | مِنْ بَغْدَادَ ،
سَأَلَ فَوْمًا وَرَدُّوا مِنَ الرَّأْيِ عَنْ طَاهِرٍ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ مُجِدٌّ^(١) . فَقَالَ : وَمَا طَاهِرٌ ؟ إِنَّمَا
هُوَ شَوْكَةٌ مِنْ أَغْصَانِي ، وَشَرَارَةٌ مِنْ بَارِي : ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ مَا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ أَنْ تَنْقُصَ أَقْصَافَ الشَّجَرِ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِمَةِ إِلَّا أَنْ يَنْبُلُغَهُ عُبُورُنَا
عَقَبَةَ هَمْدَانَ ، لِأَنَّ السَّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى النَّطَاحِ ، وَالتَّعَالِبَ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى
إِلْقَاءِ الْأَسُودِ ، وَإِنْ يُبْقِمُ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ تَكُنْ أَوَّلَ مَعْرَضٍ لَطْفَاتِ السَّيُوفِ
وَأَسَنَّةِ الرَّمَاكِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ [لِعَلِيٍّ] بْنُ عِيسَى : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْعَسَاكِرَ
لَا تُسَاسُ بِالسَّوَابِي ، وَالْحُرُوبُ لَا تُدَبَّرُ بِالْأَغْتِرَارِ ، وَإِنَّ الشَّرَارَةَ الْخَفِيَّةَ رُبَّمَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لَوْ لَمْ تَحِبَّهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : « لَا سَتْرَ بِهِ *
وَرَدَ بِلَمْ يَهْدِ الْبَاسُ أَوْ صَدَرَ . وَيُرِيدُ نَفِيلَ بْنَ هَمْرُو بْنِ كَلَابِ .

(٢) الطُّخْيَةُ (بَصْمُ الطَّاءِ) : الظِّلَّةُ الشَّدِيدَةُ .

(٣) فِي (١) : « عَاسِرَتُهُ » . وَفِي (ب) : « عَاسِرَتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا
النُّسخَتَيْنِ . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هِيَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي رَحَعْنَا لَهَا . وَالرَّهَقُ بِالتَّعْرِيكِ
السَّكَدُ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي تِلْكَ الْمَصَادِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ .

(٤) فِي (١) مَحَلٌّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

صَارَتْ خَيْرًا مَّا ، وَالنَّهْلَةَ ^(١) مِنَ السَّيْلِ رَجَمًا صَارَتْ بَحْرًا عَظِيمًا .

فَقَالَ ^(٢) : إِنَّمَا حَجَّبَ عَلِيٌّ بْنُ عِيسَى عَنْ وَثِيقٍ ^(٣) الرَّأْيِ هَذَا الْأَسْتَحْقَارُ
بِالْكَلَامِ ، وَالْأَقْتِدَارُ عَلَى اللَّفْظِ ، وَمَنْ صَدَّقَ فِكْرُهُ فِي طَلَبِ الرَّأْيِ النَّافِعِ ،
قَلَّ كَلَامُهُ بِالْمَذَرِ [الصَّائِعِ] .

(٢) وَقَالَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ : مَا رَأَيْتُ مِنْ بَنِي يَاحْصَاءَ وَجْوهٍ فَعِيلٍ وَمَوَاقِعِهَا ^(٤) .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : أَنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ ذَكَرَ عَشْرَةَ أَوْجُهٍ ، وَهِيَ أَكْثَرُ
مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَالْمُصَفِّحُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَرْبَعِينَ وَجْهًا وَزِيَادَةً . قَالَ : هَذَا أَغْرَبُ ^(٥)
مَا مَرَّ بِكَ مِنْهَا ؟ فَقِيلَ : فَعِيلٌ مَعْنَى فَعَلَ . فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَرِيبٌ ، فَيَا لِهَ
شَاهِدًا . فَقِيلَ : نَقَالَ مَكَانَ ^(٦) دَمِيثٍ وَدَمَثٍ ، وَيَقِينُ وَاقْمِنُ ، وَرَضِيفُ ^(٧)
وَرَضَفُ ^(٧) : وَالْمَعْرَسُ الْعَمِيدُ لِلْعَدُوِّ : الْعِنْدُ : وَالتَّقِيلُ ^(٨) مِنَ الْعَدُوِّ : نَقْلُ ؛
وَالْخَبِيطُ ^(٩) مِنَ الْمَرْقِ : حَمَطٌ : وَلِلْقَدِيمِ ^(٧) : قَدَمٌ ^(٧) : وَالْمَثَرُ التَّرْبِيعُ :
نَزَحٌ ، وَلِلْجِسْمِ الْعَمِيمِ : نَحْمٌ .

(١) فِي (أ) وَثَمَةٌ

(٢) وَقَالَ ، أَيْ الْوَلِيَّ .

(٣) فِي « ب » « وَثِيقٌ » : هُوَ لَمْ يَلْعَمِ يَسْتَعْمِلُهَا أَيْضًا

(٤) فِي (أ) « وَتَوَاقِعُهَا » : وَهُوَ - ب -

(٥) فِي (أ) « أَغْرَبُ مَا مَرَّ بِكَ مِنْهَا » : وَهُوَ حَرِيبٌ فِي كِتَابِ الْكَلَامِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، « مِنْ » : وَهُوَ - ب - سِوَاهُ مَا أَتَيْنَاهُ فِي « ب » .

(٧) كَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْمُسْتَحَبِّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَرْبَعُ اتِّفَاتٍ هَذَا لِقَمٌ ؛ وَلَمْ يَدْخُلْ
كِتَابُ الْأَعْيَانِ الَّتِي فِيهَا أُدْبِيَتْ ، فَيَدَّ أَنْهُ قَالَ فِي الْمَعْذَرَةِ رَضِيفٌ وَقَدِيمٌ رَضَفٌ أَوْ قَدِيمٌ يَنْتَحِرُكَ مِنْهَا ؛
وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حَرَمًا لَمْ يَهْتَدِ إِلَى سِوَاهُ بَعْدَ الْبَحْثِ الطَّوِيلِ .

(٨) الْقِيلُ : مَدَاوِمَةُ الْعَدُوِّ وَسُرْعَةُ نَقْلِ الْقَوَائِمِ .

(٩) الْخَبِيطُ : الَّذِي يَصْرَبُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ حَتَّى يَسْحَاتَ يَدُونُ أَنْ يَصْرَبَ ذَلِكَ مُأَصِلُ

الشَّجَرَةِ وَمَرْوَعُهَا .

وقال ابن الأعرابي : القَفِيلُ : الشَّوْكُ^(١) اليابس ، والجمعُ قَفْلٌ^(٢) . وقال أحمد بن يحيى : هو منى بَعْدَ أى بعيد ، والبَعْدُ يكون للجمع^(٣) والواحد^(٤) .
وعَجِبَ وقال : ينبغي أن يُعْنَى بهذه الوجوه كلها . فإنَّ^(٥) الزيادة على مثل الأحفش ظَفَرٌ حَسَنٌ ، وأَمْتِيَّازٌ فى الغَزَارَةِ جميل^(٦) ، وما تَفَاضَلَتْ^(٧) دَرَجَاتُ العلماءِ إِلَّا بِتَصَفِّحِ الأخيرِ قَوْلِ الأوَّلِ وأَسْتِيلَانِهِ على ما فاته .

وسأل — أبادَ اللهُ عِدَاهُ ، وَحَقَّقَ مُنَاهُ — وقال : هل يَسْلُمُ على أهلِ الدِّمَّةِ ؟^(٨)
وهل يُبْدَأُونُ ؟ فكان أبو البُخْتَرِيُّ الداودِيُّ حاصراً — فَحَكَى أَنَّ عُمرَ بن عبد العزيز سئِلَ عن هذا بَعَيْنِهِ ، فقال : يُرَدُّ عليهم السلام ، ولا بأسَ بأنَّ يُبْدَأُوا ، لقول الله عزَّ وجلَّ : (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) .

وحكى فى مَغْرِضِ حديثِ أنى^(٩) تكر قال : كتب مجنونٌ إلى مجنون :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمِظَكَ اللهُ ، وَأَبْعَاكَ اللهُ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَدِجْلَةً نَطْفَى ، وَسُفْنُ الْمَوْصِلِ هَاهُنَا ، وَمَا يَزِدُّ الدُّبِّيَّانِ إِلَّا شَرًّا ، وَلَا الْحِجَارَةُ إِلَّا كَثْرَةً ، مِثْلُكَ وَالْمَرْقُ فَإِنَّهُ شَرُّ طَعَامٍ فى الدُّنْيَا ، وَلَا نَبِيْتُ إِلَّا وَعِنْدَ رَأْسِكَ حَجَرٌ

(١) فى كتب اللغة « شجر » مكان « الشوك »

(٢) يلاحظ أن قفلا ليس جمعا فعيل ، بل هو جمع قفله يفتح القاف

(٣) نظيره فى الجمع حدم جمع حادم .

(٤) شاهده قول النامة فى مدح النعمان :

فَتِلْكَ نَمْلَعِي نَعْمَانَ إِنْ لَمْ يَضِلَّ عَلَى النَّاسِ فى الأذى وفى البعد

نالت ث وفى رواية : « والبعد » بصيتين .

(٥) فى (١) ، « قال » : وهو حريف .

(٦) فى (١) : « فامتاز فى العرارة جميل » ؛ وهو تحريف فى هذه الكلمات الثلاث

سواء ما أنشأ .

(٧) فى (١) « تفاضلت » .

(٨) يلاحظ أن هنا كلاما ساقطا من كانتا المسحبتين كما يظهر لنا إذ لم يتقدم ذكر

لأبي بكر هذا ولا حديث عنه .

أَوْ حَجَرَانِ ، بَانَ الْأَخْبَرُ^(١) يَقُولُ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) .
[وَكُتِبَتْ إِلَيْكَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ عَاشُورَاءَ سَنَةِ الْكِنَانِ] «
قَالَ : وَكُتِبَ مَجْنُونٌ آخَرُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَسُوءِ الْحِسَابِ ، وَتَقْدِيرِكَ
نَفْسِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

قَالَ : وَكُتِبَ [مَجْنُونٌ آخَرُ إِلَى مَجْنُونٍ مِثْلِهِ : وَهَبَ اللَّهُ لِي جَمِيعَ الْمَسْكَاةِ
فِيكَ ، كَتَانِي إِلَيْكَ مِنَ الْكُوفَةِ حَقًّا حَقًّا حَقًّا ، أَفْلَامِي تَحُطُّ ، وَالْمَوْتُ عِنْدَنَا
كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ سَلِمَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْمَمْتُ^(٢) لِمَعْرِفَةِ إِعْلَانِكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَصَحَّحَكَ — أَصْحَكَ اللَّهُ سِنَّهُ — حَتَّى أَسْلَقَنِي ، وَقَالَ : مَا أَلَذِي تَمَلُّغُ سَا
هَذَا الْأَسْتَطْرَافَ إِذَا سَمِعْنَا بِحَدِيثِ الْمُحَامِينِ ؟

فَقَالَ أَنَّ زُرْعَةَ : لِأَنَّ الْحُمُونَ مُنْشَارِكٌ لِلْعَاقِلِ فِي الْخَفْسِ ، وَإِذَا كَانَ مِنَ
الْعَاقِلِ مَا يُحْسَبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحُمُونَ كَرَّةً ذَلِكَ لَهُ . وَإِذَا كَانَ مِنَ الْحُمُونَ
مَا يُعْتَدُّ مِنَ الْعَاقِلِ تُعْجَبُ مِنْهُ ، وَالْعَقْلُ بَيْنَ أَسْبَاحِهِ ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِمَنْدَرٍ
ذَلِكَ يَتَعَاضِلُونَ التَّعَاضُلَ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى حَصْرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجُمُودُ بَيْنَ أَهْلِهِ
ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَنْفَعُونَ التَّنَافُوتَ الَّذِي لَا طَمَعَ فِي تَحْصِيلِهِ ،
وَكَمَا أَنَّهُ^(٣) يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْعَاقِلِ بَعْضُ مَا لَا يَتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْحُمُونَ كَذَلِكَ
يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْحُمُونَ بَعْضُ مَا لَا يَتَقَعُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ . وَلَا يُعْتَدُّ بِذَلِكَ وَلَا
بِهَذَا ، أَعْنَى أَنَّ الْعَاقِلَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ لَا يُرَى مَحْنُونًا ، وَالْحُمُونَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ

(١) ب « لَأَنَّ اللَّهَ » .

(٢) فِي (١) « احْتَبَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) : « وَكَأَنَّ إِذَا » . وَقَوْلُهُ : « إِذَا » رِيَادَةٌ مِنَ الْمَسَاحِ لَا مَعْنَى لَهَا فِي

هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٤) فِي (١) : « يَبْدُرُ » بِاللَّوْنِ فِي كَلَامِ الْمُوَسِّعِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لا يسمّى عاقلاً ، وإنما أُجتمعا في النادر القليل ، لأجتماعهما في الجنس الذي يعمّهما ، والنوع الذي يفصلهما ، وفي الجملة الإنسان عما هو به حيوانٌ سَبْعٌ وحار ، وبما هو | به | نفسٌ إنسان ، وبما هو به عاقلٌ نبيٌّ ومَلَكٌ ؛ وهذه الأعراض — وإن تداخلتْ لأنظامها في طينة واحدة — فإنها تتميز بقوة العقل في الصورة المخلوطة إما مفارقة ، وإما مواصلة . ومرّ^(١) له في هذا الموضع كلامٌ بليغٌ تامٌّ مكشوف .

كمل الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي
 حسب مجزئتنا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ويليه الجزء
 الثالث من هذا الكتاب وأوله : « تم تراعى
 الحديث إلى أمر المطمئنين والطاعمين »
 الخ . سأل الله المعونة
 وحسن التوفيق

(١) في الأصل : « ومن » بالتون ؛ وهو تحريف .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

(١)

ابن بهلول — ١٧١ : ٤ ، ١٧٣ : ١٣
 ابن البيطار — ١٩٢ : ١٦
 ابن ثوبة السكات — ١٣٧ : ٨ ، ١٣٨ : ٨
 ابن الحلاء الراهد — ٧٩ : ١
 ابن حجاج الشاعر — ١٧٢ : ٦
 ابن الحساس — ٦٦ : ٣ و ٤
 ابن حيويه — ١٧٤ : ٤
 امة الحسن — ٢٩ : ٥
 ابن الحلال البصرى — ٥٨ : ١٦
 ابن الحمار وهو الحسن بن سوار — ١٤ :
 ٣ : ٨٣ ، ١٦ : ٣٨ ، ٥
 ابن دأب — ١٤٤ : ٣
 ابن دكوان — ١٤٥ : ٤
 ابن الراوندى — ٢٠ : ١١
 ابن الرضى — ١٧٦ : ١
 ابن الفاء — ١٦٩ : ٣
 ابن درعه — ١٤ : ٥ ، ١٦ : ٣٨ ، ٢٠ : ٤ :
 ٨
 ابن السراج — ١٩٦ : ١٢
 ابن السماك الواعظ — ٦٤ : ٢٠ ، ١٢٠ :
 ١٠ ، ١٢٦ : ١٣ ، ١٢٧ : ١٨
 ابن سميون الصوفى — ١٧٣ : ١٣
 ابن سورين — ١٨٠ : ٦
 ابن سيرين — ٥٦ : ١
 ابن صالح — ٩٥ : ١

آدم عليه السلام — ١٢٧ : ١٥
 الآمدى الخلاوى — ١٦٩ : ١٥
 آمنة بنت وهب — ٨١ : ١٤
 إبراهيم بن آدم — ١٢٦ : ٩ ، ١١٨ :
 ٥
 إبراهيم بن الحيد — ٦٨ : ١١
 إبراهيم الخلال عليه السلام — ١٨ : ٢ ، ٦٩ :
 ٢
 إبراهيم السدى — ٦٦ : ١٢ ، ٦٧ : ١١
 إبراهيم بن العباس الصولى — ٥٤ : ٤ ،
 ١٤٥ : ٢
 ابن أبي طاهر — ٥٥ : ١١
 ابن أبي الموحاء — ٢٠ : ١٣
 ابن الأثير — ٧٨ : ٨
 ابن الأرقى الخرجرائى — ١٧٤ : ٥
 ابن إسحاق الطبرى — ١٧٢ : ١٧
 ابن أسيد اعاصى — ٦٥ : ١١
 ابن الأعرابى — ١٠٤ : ١٢ ، ١٤٦ : ٥ ،
 ١٩١ : ١٧ ، ١٩٢ : ٥ ،
 ١٩٣ : ٤ و ١٣ و ١٧ ، ١٩٧ : ١٧ ،
 ١٩٨ : ٤ ، ٢٠٢ : ١٣
 ابن الأبارى — ١٠١ : ٥

ابن صبر القاصي — ١٣٠ : ١٧١
 ابن طرارة — ١١ : ١٣٤
 ابن عباس رضى الله عنهما — ١٢ : ٦٠
 ١ : ٩٥
 ابن عبيد السكاتب — ١٦ : ١٤٦ ، ٩ : ٢
 ٧ : ٢٠١ ، ٩ : ١٩٢
 ابن عتبة — ١٨ : ٩٨
 ابن عرس — ٨ : ١٧٨
 ابن العصي — ١٠ : ١٧٥
 ابن عقيل — ٩ : ١٦٤
 ابن علوية — ١٤ : ١٦٥
 ابن عمر — ١٩ : ٩٨
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن
 العميد
 ابن العميد = أبو الفضل السكاتب
 ابن العوذى — ١١ : ١٧٠
 ابن العارى (الطبيب) — ٨ : ١٧١
 ابن غسان البصرى — ٣ : ١٦٩
 ابن غيلان البزار — ١٣ : ١٦٦
 ابن القرات — ١١ : ٥٤
 ابن فهم الصوفى — ٤ : ١٦٦
 ابن الكرمى — ٥ : ١٧٦
 ابن كعب الأصبهى — ٨ : ١٣٥
 ابن الكلبي — ٨ : ٧٤
 ابن المبارك — ٩ : ١٢٢ ، ٩ : ٦٦
 ابن المراحى — ١١ : ١٤٦
 ابن مسعود — ٩ : ١١٩ ، ٩ : ١٠٢
 ابن معروف — ١٣ : ١٧٢
 ابن المنى — ٤ : ١٦٦
 ابن المقفع — ١٦ : ٢٣
 ابن مكدم — ٤ : ١٢٩
 ابن مكرم — ١٣ : ٥٤
 ابن منظور — ٢١ : ٦٠
 ابن موسى — ٣ : ١٤٤
 ابن ميادة — ١٣ : ١٩٣
 ابن مياس — ٨ : ١٨١
 ابن نياقة — ١٦ : ١٣٦ ، ٧ : ١٧٠
 ١١ : ١٩٨
 ابن نصر العامل — ٦ : ١٦٩
 ابن هندو السكاتب — ٤ : ١٣٥
 ابن الوراق — ١ : ١٧٦
 ابن اليزيدى — ١٤ : ١٦٦
 ابن اليعقوبى — ١٦ : ٥٨
 ابن يوسف — ١٠ : ٢٦
 ابن يوسف صاحب ديوان السواد — ١٧٣ :
 ٥
 أبو أحمد المهرجاني — ١ : ٥
 أبو الأسود — ١ : ١١٤
 أبو إسحاق الصائى — ٢ : ١٤٥
 أبو أمامة — ١٤ : ٩٦
 أبو أيوب الأنصارى — ١٤ : ١٦٢
 أبو أيوب القطان — ٤ : ١٧٧
 أبو المعتزى لداودى — ٦ : ٢٠٣
 أبو بشر — ١٨ : ٣٥
 أبو بكر — ٩ : ٢٠٣
 أبو بكر الخراسانى — ١٣ : ١٧١
 أبو بكر بن حرم — ٩ : ٧٢
 أبو بكر الصديق — ١٧ : ١٠٠
 أبو تمام — ٨ : ١٨١
 أبو تمام البساسورى — ١٠ : ١٥
 أبو الجارود = ريباد بن أبي ريباد
 أبو جعفر المصور — ٦ : ٣٤
 أبو الحارث = شيبه
 أبو الحسن البصرى — ١٣ : ٥٣
 أبو الحسن الجراسى — ٢ : ١٦٨
 أبو الحسن العاصرى — ٨٤ : ٦ ، ٨٦ :
 ٤ : ٨٨ ، ٢٠
 أبو الحسن = على بن هارون الزنجاني القاضى

ابن صبر القاصي — ١٣٠ : ١٧١
 ابن طرارة — ١١ : ١٣٤
 ابن عباس رضى الله عنهما — ١٢ : ٦٠
 ١ : ٩٥
 ابن عبيد السكاتب — ١٦ : ١٤٦ ، ٩ : ٢
 ٧ : ٢٠١ ، ٩ : ١٩٢
 ابن عتبة — ١٨ : ٩٨
 ابن عرس — ٨ : ١٧٨
 ابن العصي — ١٠ : ١٧٥
 ابن عقيل — ٩ : ١٦٤
 ابن علوية — ١٤ : ١٦٥
 ابن عمر — ١٩ : ٩٨
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن
 العميد
 ابن العميد = أبو الفضل السكاتب
 ابن العوذى — ١١ : ١٧٠
 ابن العارى (الطبيب) — ٨ : ١٧١
 ابن غسان البصرى — ٣ : ١٦٩
 ابن غيلان البزار — ١٣ : ١٦٦
 ابن القرات — ١١ : ٥٤
 ابن فهم الصوفى — ٤ : ١٦٦
 ابن الكرمى — ٥ : ١٧٦
 ابن كعب الأصبهى — ٨ : ١٣٥
 ابن الكلبي — ٨ : ٧٤
 ابن المبارك — ٩ : ١٢٢ ، ٩ : ٦٦
 ابن المراحى — ١١ : ١٤٦
 ابن مسعود — ٩ : ١١٩ ، ٩ : ١٠٢
 ابن معروف — ١٣ : ١٧٢
 ابن المنى — ٤ : ١٦٦
 ابن المقفع — ١٦ : ٢٣
 ابن مكدم — ٤ : ١٢٩
 ابن مكرم — ١٣ : ٥٤
 ابن منظور — ٢١ : ٦٠
 ابن موسى — ٣ : ١٤٤

أبو الحسن الفرضي — ٧:١٥٥
 أبو الحسين = أحمد بن يحيى بن إسحاق
 الراوندي
 أبو حنيفة الإمام — ٤:١٢٣
 أبو حنيفة العمري — ١٥:١٩٢
 أبو حيان التوحيدى — ٦:٢٠٥
 أبو الخير بن يعيش — ٦:١٤
 أبو الدرداء — ٥:٩٨
 أبو ذر الغفارى — ١٠:٩٦ و ١٠:١٢٨
 ٤:١٣٠ و ١٦:١٥
 أبو زكرياء الصيمري — ٣:٨٤
 أبو زور — ٥:١٨٠
 أبو زيد البلخي — ٢٠:٣٨ و ٥:١٤
 أبو السائب القاسى = عتبة بن عبيد
 أبو سعيد — ١٣:١٩٧ و ٣:١٩٣
 أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطى
 ٢٦:٧٧
 أبو سعيد الرقى — ٤:١٨١
 أبو سعيد السكرى — ٣:١٩٥
 أبو سعيد السيرافى — ١٩١:١٢ و ٢:١٩١
 ٧:١٩٢ و ١٧
 أبو سعيد الصائغ — ١٥:١٧٦
 أبو سفيان صخر بن حرب — ١٦:٧٣
 ١٦:٧٥
 أبو سليمان المقدسى = محمد بن معمر
 البستى
 أبو سليمان المنطقى = محمد بن بهرام
 السجستانى — ٧:١٤ و ٢:٦
 ١٨:٤ و ٥ و ٨ و ٢٣:١ و ٢٤:
 ١٣:٤١ و ١٨:٣٨ و ١:٣٥ و ١٣:
 ١ و ٤٣:٥ و ٢:٤٤ و ٢٠:٤٥
 ٤٦:٣ و ١٥:٤٧ و ٢٠:١
 ٤٩:٤٤ و ٨٢:٤ و ٣:٨٣ و ٩٠:
 ٦:٩١ و ١:١٠٥ و ٦:١١٥
 ١٧ و ١٢:١١٧ و ٩:١٦ و ١٣٢:
 ١١ و ٧:٥٣
 ١٠:١٣٩ و ١٤:١٣٨ و ١٥:
 ١٤٠:١٧ و ١٤٣:١٨ و ١٥٣:
 ١٤ و ١٥٤:١٩ و ١٥٥:٣
 ١١:١٧٤ و ١١:١٦٠
 أبو صالح الهاشمى — ١٤:١٧٧
 أبو طاهر: ٥٣:١٤
 أبو طاهر = سليمان بن أبي سعيد الحسن
 ابن بهرام الجنابى
 أبو طاهر بن المقتنى المعدل — ٨:١٧٨
 ٨:١٧٩
 أبو طلحة الشاهد — ١٢:١٨٢
 أبو الطيب — ٧:٣٩
 أبو عائد الكرخى = صالح بن على
 أبو العالية — ١٣:١٢٨
 أبو العباس (غلام الأمراء المقتى) —
 ٧:١٧٤ و ٤:٧
 أبو العباس البخارى (تلميذ أبي سليمان المنطقى)
 ١٤:٦ و ١٠:١٦ و ١٩:١٥
 ١٦:٢٠ و ٩:٢١ و ١٦:١٦
 ٥:١٦١
 أبو عبد الله البصرى — ١٠:١٧٥
 أبو عبد الله المربابى — ٩:١٧٧
 أبو عبيدة — ١١:١٠١
 أبو العلاء الصيرفى — ١٤:١٧٩
 أبو على البصير — ٦:١٣٧
 أبو على الحياتى — ١٨:٧٧
 أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب
 أبو عمارة (قاضى الكوفة) ٥٦:
 ١٩
 أبو عمرو بن حفص بن النيرة — ١٠:١
 ١٤
 أبو عمرو الشيبانى — ٣:١٠٥
 أبو حمزة صاحب شرطة المختار بن عبيد —
 ١١ و ٧:٥٣

أبو الحسن الفرضي — ٧:١٥٥
 أبو الحسين = أحمد بن يحيى بن إسحاق
 الراوندي
 أبو حنيفة الإمام — ٤:١٢٣
 أبو حنيفة العمري — ١٥:١٩٢
 أبو حيان التوحيدى — ٦:٢٠٥
 أبو الخير بن يعيش — ٦:١٤
 أبو الدرداء — ٥:٩٨
 أبو ذر الغفارى — ١٠:٩٦ و ١٠:١٢٨
 ٤:١٣٠ و ١٦:١٥
 أبو زكرياء الصيمري — ٣:٨٤
 أبو زور — ٥:١٨٠
 أبو زيد البلخي — ٢٠:٣٨ و ٥:١٤
 أبو السائب القاسى = عتبة بن عبيد
 أبو سعيد — ١٣:١٩٧ و ٣:١٩٣
 أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطى
 ٢٦:٧٧
 أبو سعيد الرقى — ٤:١٨١
 أبو سعيد السكرى — ٣:١٩٥
 أبو سعيد السيرافى — ١٩١:١٢ و ٢:١٩١
 ٧:١٩٢ و ١٧
 أبو سعيد الصائغ — ١٥:١٧٦
 أبو سفيان صخر بن حرب — ١٦:٧٣
 ١٦:٧٥
 أبو سليمان المقدسى = محمد بن معمر
 البستى
 أبو سليمان المنطقى = محمد بن بهرام
 السجستانى — ٧:١٤ و ٢:٦
 ١٨:٤ و ٥ و ٨ و ٢٣:١ و ٢٤:
 ١٣:٤١ و ١٨:٣٨ و ١:٣٥ و ١٣:
 ١ و ٤٣:٥ و ٢:٤٤ و ٢٠:٤٥
 ٤٦:٣ و ١٥:٤٧ و ٢٠:١
 ٤٩:٤٤ و ٨٢:٤ و ٣:٨٣ و ٩٠:
 ٦:٩١ و ١:١٠٥ و ٦:١١٥
 ١٧ و ١٢:١١٧ و ٩:١٦ و ١٣٢:
 ١١ و ٧:٥٣

الأخفش — ١٣٩ : ١١٠ و ١١١ ، ٢٠٢ :
٣ : ٢٠٣ ، ٦
أرسطوطاليس — ١٦ : ٤١ ، ٤ : ١ :
١٩ : ٨٧ ، ٦ : ٤٥
أريوس — ٨ : ٣٦
أسامة بن زيد — ٨ : ٣٠ و ١٤
الأسدي — ٣ : ١٠٥
أسطفانس — ١٢ : ٣٦
أسقليوس — ٩ : ٤٥
الإسكندر — ٨ : ٣٣ ، ١٥ : ٢٢ :
٧ : ٤٦ ، ١ : ٣٧ ، ٥ : ٣٤
أصمة بن أبحر الجاشي — ١٦ : ٩٩
الأصمعي — ٩ : ٦٣ ، ٤ : ٥٦
أعشى باهلة — ١٢ : ١٩٨ و ٢٤ و ٢٢
الأمش — ٨ : ٦٩
أفلاطون — ٢٠ : ١٨ ، ٥ : ١٦ ، ١٥ : ٢٠ :
٤٥ ، ١١ : ٤٤ ، ١٤ : ٣٦ ، ٢٠ :
١٨ ، ٤٦ : ١٧ ، ٤٧ : ٤٨ و ١٨ :
٣ : ٤٩
أم حبيبة بنت أبي سفيان — ٩ : ٧٤
أم كلثوم زوجة عمر بن الخطاب — ٨١ :
٩
الأميين (الحليفة) — ٧ : ٢٠١
أنس بن مالك — ١٠ : ٦٩ ، ١١ : ٨١ ، ١٢ : ٧٧ :
١٤
الأصاري — ٨ : ١٣٧
الأطافي = أحمد بن حاصم
انكساعورس — ١٠ : ٣٥
الأوراعي — ٧ : ٦٨ ، ١ : ١٢٢ :
أوميروس — ١٥ : ٣٤

(ب)

بينة — ١٢ : ١٧٦

أبو العياد — ٥٤ : ١٣٧ ، ٦ : ٤٤ :
١٤ : ١٤٤
أبو فاتم الطيب — ٧ : ٢٣
أبو الفتح بن أبي الفضل بن الصيد السكات
٦ : ٣٩
أبو فرعون الشاشي — ٧ و ٦ : ٥٣
أبو الفضل بن الصيد — ١٥ : ١٤ ، ٣٩ :
٢٠ و ٦
أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة —
١٤ : ١٨١ ، ١٠ : ٥٧
أبو مسلم الخولاني — ٣ : ١٢٤
أبو موسى الأشعري — ٩٨ : ٢٠ ، ٩٩ :
١
أبو نصر = مالك بن عمارة النخعي
أبو الضر بن قيس — ١٤ : ٨٦ ، ١١ : ٨٨ :
١٠ : ٨٩
أبو نواس — ٤ : ٦٠
أبو هاشم بن أبي علي الهباني — ١٩ : ٧٧
أبو الهذيل الملاي — ٩ : ٩٠
أبو هريرة — ٥٥ : ١٧ ، ٩٦ : ١٢ :
٩٧ و ١١ ، ٩ : ٩٨ ، ١٠ : ١١١ :
١٦ : ١٢٠ ، ١١ : ٢٩
أبو الوزير الصوفي — ٦ : ١٦٧
أبو يوسف — ١٢ : ٥٦
أبان بن سعيد بن العاص — ١٧ : ٧٣
أبقراط — ١٤ : ٤٧
إبليس — ٢٠ : ١١٩ ، ٧ : ١٢٤ :
أبي بن كعب — ٢ : ٣٠
أحمد بن حرب — ١ : ١٢٤ :
أحمد بن حاصم الأنطاكي — ٤ : ١٢٧ :
أحمد بن محمد كاتب ركن الدولة — ١٣٥ :
١
أحمد بن يحيى — ١٩٧ : ٢٠٢ ، ١٣ :
أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي — ١٤ : ٧٨

(ح)

حاتم الراشد — ٦٨ : ١٤ ، ٦٩ : ٢ ،
١٢٠ : ١٧٥ ، ١٢٣ : ٨ ، ١٢٤ :
١٠ : ١٢٥ ، ١٤ : ١٢٦ ، ٤ :
١٢٨ : ٧٤ ، ١٢٠ : ٥

حاتم بن مريد الإباضي رأس الفرقة الحارثية
٢٦ : ٧٨

حافظ — ٥٧ : ٥

حباية جارية أفر تمام — ١٨١ : ٨

حبان الأصمدي — ١٠٢ : ١٤

حبش (البقال) — ١٨٠ : ٤

حباج بن هارون — ٦٥ : ١٨

الحجاج بن يوسف — ٦٤ : ٣

حذيفة — ٣١ : ١٤

الحريري الشاهد — ١٧٦ : ١٠

الحريري علام ابن طرارة — ١١ : ٥٥

١٢ : ٦ ، ١٤ : ١٣ ، ١٧ : ٣

حسان بن ثابت — ١٠٣ : ٤

الحسن بن بهرام الجبالي = أبو سعيد

الحسن بن علي — ٦٣ : ٥ ، ٦٤ : ١

١٦٤ : ٨

حسنون المجنون — ٥٠ : ٤

الحسين بن محمد التجار رأس الفرقة التجارية

٧٨ : ١٦ — ١٨٨ : ٢٠

الحصري — ٢٠ : ١٤

حفص بن القيرة — ١٠١ : ١٤

الحكم بن أبي العاص — ٧٤ : ١٣

الحكم بن هشام الثقفي — ٧٤ : ٨

حلية جارية أبي عائد الكرخي — ١٧٦ :

١٠

حزة بن عبد المطلب — ٧٥ : ١٧

البرداني — ١٦٥ : ١٣

بروع بنت واشق الأشجعية — ١٠٢ :

١١

بشار بن برد الشاعر — ١٨٠ : ١٣

بهر بن هارون — ٥٦ : ٨ ، ٥٣ : ١٤

بلور (جارية ابن الزبيدي) — ١٦٦ : ١٤

(ت)

ترف الصائفة المصيبة — ١٧٠ : ١١

(ث)

ثعلب اللقوي — ٥٧ : ١٦

الثوري — ١٢٣ : ١٨

ثيوديسيوس — ١٥٣ : ١٤

ثيودوروس — ٤٥ : ١٠

(ج)

جامع الصيدناني — ٥٧ : ١

جعظة — ٥٧ : ٨ ، ٥٦ : ١٢

جعي — ٥٧ : ١٠

الجراح بن عبد الله رواد — ٢٨ : ١١

١٢ و

جريح الراهب — ٩٧ : ١١ و ١٢ و ١٣

جرير الشاعر — ٢٨ : ١

جعفر بن أبي طالب — ٨١ : ٣

جعفر بن محمد الصادق — ٦٣ : ٦ ، ٧٧ :

١٦ ، ١٣٠ : ١٢ ، ١٨٨ : ١٩

الجبار — ٥٨ : ٦

جندب بن مكيث — ١٠٣ : ١٠

جندل بن صفر — ٢٨ : ٨

الدميرى صاحب حياة الحيوان — ٢٣: ١٠٤
ديوجانس — ١٦: ٣١ ، ٧: ٣٢ ، ٣٤ :
١٧ ، ١٠: ٣٦ ، ١٠: ٤٤ ، ٥: ٦ و ٩ ،
٤٥: ٣ و ٤ و ٥ ، ٤٦: ٩ و ١١ و ١٤ ،
٤٧: ١١ ، ٤٨: ٢٠

(ر)

رامع بن مكيث — ١٠: ١٠٣
الراوندى = أحد بن يحيى بن إسحاق
رؤبة بن المعراج — ٣: ٥٧
الربيع (حاجب المنصور) — ٧: ٧٦
الربيع بن خيثم — ٨: ٦٩
ربيع بن عامر بن مالك — ٨: ٢٧
الرشيد — ٦: ٥٨ ، ١٣٠ : ٥
الرقاشى — ١: ١٢٣
رقية بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)
٩: ٨١
رواد = المراح بن عبيد الله
روعة حارية ابن الرصى — ١: ١٧٦

(ز)

زرادشت — ٢٣: ٧٧
زريق (صانع نقاع بعداد) — ٥: ١٨٠
الزعمرانى (رأس الفرقة الزعفرانية) —
١٨: ٧٨
زكرياء (عليه السلام) — ٢: ١٨
زنجويه الجمال — ١١: ٩٠ و ١٤
الزهري — ٤: ١٧٧
زهير بن أبى سلى — ١٠: ١٤٤ و ١٢
زهير بن حذيفة — ٦: ٢٨ و ١٥ و ١٦
زهير بن عمرو — ١٩: ١٠١
زياد بن أبى زياد أبو الحارود (رأس الفرقة

حزرة الوراق — ٤: ١١

حميد بن الصيمرى — ١٦: ٦٢

حية بن نكار — ٤: ١٦٤

(خ)

الخاطف (الحارية المعية) — ٧: ١٧٠
خالد بن أسيد — ٢٠: ٥٢
خالد بن جعفر بن كلاب — ١٨ و ٤: ٢٨
خالد بن سعيد بن العاص — ١٦: ٧٣ ،
١١: ٧٤
خالد بن صفوان — ٨: ١٢٠ ، ٣: ٢٤
خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ٥: ٢٠
خالد بن عدى الحمى — ٧: ١٠٣
خالد الكاتب — ١٧: ٥٨
خالد بن الوليد — ١١: ١٠١ ، ١٤: ٩٢ ،
١٤ و
الخالم — ٢٠: ١٣٦
خات بن الأرب — ١٥: ١٠٣
خلوب (حارية أبى أيوب القطان) —
٤: ١٧٧
الخليل بن أحمد — ٢: ١٤٦

(د)

دارا — ١٧: ٢٢
الدارقطنى — ١٦: ١٦٧
داود (عليه السلام) — ٢: ١٨ ، ١٢٧ :
٦
دجاجة الخث — ٤: ٥٩
درة البصرية (حارية أبى بكر الجراسى) —
١٧: ١٧٣ ، ١٣: ١٧١
الدجاء بنت وهب — ٢٣: ١٩٨

السندواني ١٧٦ : ٥
سولون — ١٩ : ٤٦
السياني = أبو سعيد

(ش)

شداد بن حكيم — ١٨ : ١١٩
شريك بن عبد الله القاضي — ١٢ : ١٠٠
و ١٤

الشعي — ٧ : ١٢٦ ، ٤ : ٥٨ ، ٢٢ : ١٤
شعلة (مفتية) — ٤ : ١٦٨
شعيب (رأس الفرقة الشيعية) — ٢١ : ٧٧
شعيب النبي عليه السلام — ١٥ : ٨٠
شقيق — ١٢ : ١٢٢ ، ٤ : ١٢١
و ١٥

الشياني = أبو عمرو
شيبة أبو الحارث وهو عبد المطلب جد
رسول الله صلى الله عليه وسلم —
١٤ : ٨١

(ص)

الصابي = أبو إسحاق الكاتب
صالح بن عبد القدوس — ١٣ : ٢٠
صالح بن علي أبو عائد الكرخي — ١٣ : ٢٢
١٠ : ١٧٦ ، ١٤
صالح بن مسبار — ١٣ : ١١٩
صباية النائمة ببغداد ١ : ١٨٢
صخر بن حرب = أبو سفيان
الصولي = إبراهيم بن العباس
الصيمري = أبو زكرياء

الجارودية (— ١٢ : ٧٧
زياد الأعمى الشامي — ١٢ : ١٤٤
زياد بن عبد الله الحارثي — ٤ : ٦٥
زيد بن رقاعة — ١٣ : ٣
زيد بن علي بن الحسين — ٢٣ : ١٨٨
زيد بن عمر بن الخطاب — ٩ : ٨١
زيغوس — ١٣ : ٣٧ و ١٨ ، ٢٢ : ٣٨ و ٤
و ٨

(س)

سالم — ١٥ : ١٦٢
السروي — ١٤ : ١٦٥
السري — ١٥ : ١٢ و ٥٧
سعيد بن حير — ٥ : ٥٨
سعيد بن عامر — ٨ : ١٠١
سعيد بن عمرو الحرشي — ١٩ : ١٦٣ ،
١ : ١٦٤
سعيد بن القشب — ١٧ : ٧٣
السفاح (أبو العباس الخليفة) — ٣ : ٦٣
سقراط — ١٦ : ٥ ، ١٥ : ١٨ ، ٣٤ :
١٢ ، ٣٦ : ١٧ و ١٩ ، ٢٤ : ١ ،
٤٥ : ١٤ ، ٤٦ : ١ ، ٤٧ : ٦

السكري = أبو سعيد
السلامي — ٢٠ : ١٣٥
سلة — ٣ : ١٩٧
سلمة بن المحبق — ٨ : ٦٤ و ١٠
سلمى — ٦ : ١٩٨
سلمي — ٨ : ١٨٢
سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي
٢٩ : ٧٧
سليمان (عليه السلام) — ٢ : ١٨
سندس (جارية ابن يوسف صاحب ديوان
السواد) — ٥ : ١٧٣

عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي —
٢١:٥٢

عبد الله بن مسعود — ٥:١٠٣
عبد المطلب جد النبي = شيبة
عبد الملك بن مروان — ١٩:٥٢ ، ٧٠ :
٦٥٤ ، ١٤٤ : ٥٣
عبيدة — ٢ : ١٨١

عبيد الله بن جعش — ٨:٧٤
عبيد الله بن معمر التيمي — ٢١:٥٢
عتاب بن أسيد — ١٦:٧٣
عتبة بن عبيد أبو السائب القاسي — ١٠٠ :
١١ ، ١٩٥ : ٣٣

عتبة بن المنذر السلمى — ١٢ : ٨٠
عثمان بن أبي العاص — ١:٤٤
عروة بن الرير — ٤:٧٠
عزير — ١١:١٢١

عطاء السدي — ٩:٦٧
عقال بن عقيل — ٩:١٦٤
عقبة السلمى — ١٢:١٠٢
عقبة بن عامر الجهني — ١:١٠١
علوان المني (علام ابن عرس) — ١٧٨ :
١٣:١٨٠ ، ٨

علوة (حارية ابن علوة) — ١٣:١٦٥ ،
٥:١٧٨

علية (جارية مضية) — ١٣:١٧٢
علي بن أبي طالب — ١٣:٣١ ، ٦٣ :
١٤ ، ٧٥ : ٦٥٤ ، ٨:٧٧ ، ١٣ ،
٨١ : ٩ ، ٩٥ : ٢٥٥ و ٦٥٥ ، ١٨٨ :

٦
علي بن الحسن — ٣٠ :
علي بن عيسى بن ماهان الطائفة — ٢٠:١
١٤

علي بن عيسى الوير — ١٤٥ ، ١٠:٥٤
١٤ : ١٩٦

(ط)

طالوت — ١٧:٣٣
طاهر بن الحسين — ٨:٢٠١
الطبري — ١:٧٨
طيا ثاوس — ٥:٣٧

(ظ)

ظالم — ٨:١٤٥
ظالم جارية أبي سعيد الصائغ — ١٧٦ :
١٥

(ع)

العاص بن وائل — ١٣:٩٥
عاصم بن مالك — ٨:٢٧
العامري — ١٣:١٩٣
العامري = أبو الحسن
عائشة رضى الله عنها — ٥:٦٦
العباس بن الأحف — ١٧٧ ، ٦:١٤٥ :
١٠

العباس بن الحسن العلوي — ١٤:١٤٤
العباس الصولي — ٤:١٤٥ ، ٤:٥٤ :
العباس بن عبد المطلب — ٥:٧٥
عبد الحميد بن عبد العزيز — ١٠:١٢٨
عبد الحميد الكاتب — ١:٦٣

عبد الرحمن بن عوف — ١٤:٩٢ و ١٦
عبد الرحمن بن مدين — ١٣:٦٤
عبد الرازق المجهون صاحب الكيل يباب
الطاق — ١٢:١٦٦

عبد الله بن الجوشن النطفاني — ١١:٢٨
عبد الله بن خالد بن أسيد — ٢٠:٥٢

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم —
 ١٠: ٩٦ ، ١٠: ٨١
 فائق الغلام — ٨ : ١ ، ١٠ : ١٨٦
 فتح — ١ : ١٦٤
 الفتح بن خافان — ٧ : ٥٢
 الفرضي = أبو الحسن
 فضيل بن عباس — ١٢٢ : ٣ ، ١٢٨ :
 ١٨
 فيثاغورس — ١ : ٣٢ ، ٧ : ٤٥

(ق)

قابوس صاحب جرجان — ١٦ : ١١٧
 قاسم بن محمد — ١ : ١٢٦
 قبيصة بن ذؤيب — ٤ : ٧٠
 قبيصة بن الحارث — ١٠١ : ١٦ و ١٩ ،
 ٥ : ١٠٢
 قدامة بن جعفر — ١٤٥ : ١٣ و ١٥
 القعقاع بن عمرو — ٤ : ٧٥
 قلم القضيبية المعنية — ٧ : ١٦٧
 قنوة البصرية — ٦ : ١٧٢

(ك)

كبل البقال — ٤ : ١٨٠
 كسرى أو شروان — ٨ : ٢٤
 الكلبي — ١١ : ٢٨
 الكنانة القرية — ٦ : ١٨٢
 كنتس صوابه (لابقوس) الفاعر الإفريقي —
 ١٩ و ١٥ : ١٥٤ ، ١٥ : ١٥٣

علي بن المهدي الطبري — ١٨ : ٣٥
 علي بن موسى الرضا — ١٧ : ٧٧
 علي بن هارون الزنجاني القاضي — ١٥ : ٤ ،
 ١٣ : ١٥٧
 عمر بن أبي ربيعة — ١٤ : ١٧٢
 عمر بن الخطاب — ٩ : ٦٤ ، ١٠ : ٦٦ ،
 ٦ : ٧٢ ، ٨ : ٨١ ، ٩٥ : ١١ و ١٣
 ١٠٠ : ١٧ ، ١٠١ : ١٠ و ١٣ ،
 ١٦٢ : ٢١ ، ١٦٤ : ٤ و ٧٦
 عمرو بن الإطابة — ٨ : ٢٧ و ١٢
 عمرو بن العاص — ١ : ٢٧ ، ١ : ٧٤ ،
 ٩٥ : ١١ و ١٢ و ١٣ ، ١٨٥ : ٨
 و ١٨
 عمر بن عبد العزيز — ٧ : ٢٠٣
 العمى — ٨ : ١٧١
 عنان جارية الناطق — ٤ : ٦٠
 عيسى المسيح عليه السلام — ٩ : ١٠ ،
 ١٨ : ٢ ، ٤٤ : ١٥ ، ٦٩ : ٣ ،
 ٩٩ : ١٥ ، ١٢٣ : ١٨ ، ١٢٧ :
 ١٥ و ٩
 عيسى الورير — ٨ : ١٣٤

(غ)

غالوس — ٨ : ٣٧
 غانم — ١٥ : ١٦٢
 الغريب المخت — ١٢ : ٥٧
 الغراب (ماجن) — ١ : ٥٩
 غلام الأمراء = أبو العباس
 غلام بابا — ١٢ : ١٨٢

(ف)

فاطمة بنت الحسين — ٧٢ : ٥ و ٦ و ١٨

(م)

مالك بن دينار — ١٢٠ : ١٥٠ : ١٢١ :
٩ : ١٢٣ : ٢

مالك بن عبادة المافقي — ١٠٣ : ٥
مالك بن حمارة اللخمي — ٣ : ٧٠ : ١٥٥
٢٠ : ٧١

مانع — ٥٧ : ٤
ماني — ٧٧ : ٢٤
الأمون (الخليفة) — ٢٠١ : ٧
المبرد = محمد بن يزيد
التوكل (الخليفة) — ٥٢ : ٨
مجاهد — ٦٨ : ٨
محرز — ٥٧ : ٥

محمد بن أسلم — ١٢٤ : ٥
محمد بن بهرام = أبو سليمان المظني
محمد بن الحسن الجرجاني — ٥٢ : ٢
محمد بن الحسين البجلي (رأس الفرقة البجارية)
صواه الحسين بن محمد البحار
محمد بن ركرياه — ٢٣ : ٦

محمد بن سلام — ١٩٥ : ٢ : ٣
محمد بن العباس المقرئ — ١٠٠ : ١٢
محمد بن عيسى الملقب بـيرغوث رأس الفرقة
البرغوثية — ١٨٨ : ٢٠
محمد بن القاسم — ١٢٦ : ١٨
محمد بن المرزبان — ١٠٠ : ١١
محمد بن مسلمة — ٩٥ : ١١ : ١٢
محمد بن معمر البستي أبو سليمان المقدسي —
١٥ : ٤ : ٣ : ١١ : ١٦ : ١٦ —
٣١ : ٧

محمد بن المنكدر — ١٣٠ : ٣
محمد بن موسى — ١٨٨ : ١٩

محمد النبي صلى الله عليه وسلم — ٩ : ٦

١٨ : ٢ : ٢٦ : ١٧ : ٢٩ : ١٢ : ١٤
١٥٥ : ٣٠ : ١ : ٢ : ٥ : ٧ : ٨ : ١٠
١٢ : ١٣ : ٥٤ : ١٧ : ٦٦ : ٥
١٩ : ٢ : ٧٤ : ١٠ : ٧٧ : ١٣ :
٧٨ : ٦ : ٧٩ : ١٥ : ٨٠ : ١٢ :
١٤ : ٨١ : ١١ : ١٣ : ٩٢ :
١٠ : ١٢ : ١٤ : ١٧ : ٩٣ : ١ :
٣ : ٤ : ٩ : ١١ : ١٣ : ١٥ : ٩٤ :
١ : ٣ : ٦ : ٨ : ١٠ : ١٨ : ٩٥ : ٢ :
٤ : ٩ : ٩٦ : ١ : ٢ : ٩ : ١٦ :
٩٧ : ١٩ : ٩٨ : ١٢ : ١٥ : ٩٩ :
١ : ٦ : ١١ : ١٣ : ١٦ : ١٨ : ١٩ :
١٠٠ : ٢ : ١٠١ : ١ : ٥ : ٨ : ١٢ :
١٣ : ١٨ : ١٠٢ : ١ : ٥ : ١١ :
١٢ : ١٤ : ١٠٣ : ٣ : ٤ : ٥ :
٧ : ١١ : ١٣ : ١٥ : ١٦ : ١٢٢ :
٥ : ٦ : ١٢٣ : ١٢ : ١٥ : ١٩ :
١٢٩ : ٣ : ١٣٥ : ٨ : ١٢٢ :
١١ : ١٦٢ : ١٣ : ١٨٨ : ٢٥ :
١٩٥ : ٩ : ٢٠٥ : ٨

محمد بن محير — ٦٥ : ٨
محمد بن واسع — ١٢٠ : ٢٠
محمد بن يحيى البرمكي — ٥٨ : ٦
محمد بن يزيد المبرد — ١٩٦ : ١٣ : ١٩٧ :
١٣

المختار بن عبيد — ٥٣ : ٧ : ١١
الدائمي — ٦٨ : ٤
مذكورة جارية معينة — ١٨١ : ٤
مزة — ٥٥ : ١١

مرادويج الجيلي — ١٥ : ١١
المرزباني = أبو عبد الله
مروان بن الحكم — ٧٤ : ١٦

١٣ و ١٤ و ١٧ ، ١١٩ : ١٦

ميمون بن مهران — ٤ : ٥٤

ميمون بن ميمون — ٤ : ٦٩

(ن)

الناقة — ١٦ : ٢٠٣ ، ١٧ : ١١٣

ناقرة بن سمى — ١٠ : ١٠١

الناطقى — ٣ : ٨١ ، ٤ : ٦٠

نافع — ١٩ : ٩٨

نجاح الكاتب — ١٨ : ٦٥

النجاشى أصحمة بن أبجر — ١٠ : ٧٤ ،

٩٧ : ٣ و ٥ و ٦ و ٧ ، ٩٩ : ١٤

و ١٦

نصر — ١ : ١٦٤

نصير — ٩ : ٧٧

نضلة — ١٠ : ٥٨ ، ٩ : ٥٤

النظام — ٩ : ٩٠ و ١٢

النعمان بن بشير — ١٠ : ١٠٢ ، ١١٣ :

١٧

النعمان بن المنذر ١٦ : ٢٠٣

نهاية (جارية) — ٤ : ١٦٦

النوشجاني — ٧ : ١٤

اليسابورى = أبو تمام

(هـ)

هشام — ٢ : ٥٦

هشام بن سالم — ١٢ : ١٠٤

هشام بن عبد الملك — ١٢ : ٦٤ ، ١٦٣ :

١٩ ، ١٦٤ : ١ و ٢

هند بن أساء بن زنباع — ١١ : ١٩٩

هوميروس — ٥ : ٤٦

مزدك — ٢٤ : ٧٧

مزيد — ١٤ : ٥٥

مسكويه — ٣ : ٣٩ ، ٩ : ٢

مسلم (المحدث) — ٢٣ : ١٠٢

المسيح عليه السلام = عيسى

مشمشة الخنث — ٦٥ : ٥٤ و ٦٥

مكعب بن الزبير — ١٩ : ٥٢

مطر بن أبي القيث — ١٣ : ٢٠

مطرف بن محمد وزير سرداويج — ١٥ :

١١

مناوية بن أبي سفيان — ٦٤ : ١٥ ، ٦٤ :

١ ، ١٧ : ٧٤ و ١٨

ممن الدولة البويهي — ٢٣ : ١٨١

المعلم علام الحصرى — ٤ : ١٧١

معم — ١٢ : ١٢٠

المعيرة — ١٢ : ١٠٠

المعيرة بن شعبة — ١٨ : ١٨٥ و ١٨

المفضل الصيرفي — ١٨ : ١٨٨

المفضل بن عمرو — ١٧ : ١٨٨

المقداد بن الأسود — ٢ : ٩٥

المقدسى = محمد بن معمر البيسقي

أبو سليمان

المنصور بن وهب — ١٩٨ : ١٢ و ٢٢

و ٢٣ و ٢٥ ، ٢٠١ : ٢٣

المصور = أبو جعفر الخليفة

منصور بن مهران — ١٥ : ١٢٩

منقاريوس — ١٣ : ٣٧ و ١٥ و ١٧

المهاجر بن أبي أمية الخزوي — ١٨ : ٧٣

المهدي الخليفة — ٨ : ٣٤ و ١٠ ، ٤ : ٦٥

المهرجاني = أبو أحمد

مهمل بن ربيعة — ١٦ : ٥٣

موسى بن جعفر الصادق — ٧٧ : ١٦ ،

١٨ : ١٨٨

موسى النبي عليه السلام — ٢ : ١٨ ، ٨٠ :

يحيى بن أبي بلال — ١٦ و ٢ : ٧٢
 يحيى بن زكريا عليه السلام — ١٨ : ٢
 يحيى بن عدي النصراني — ١٨ : ٦ ، ٣٨ : ١٣
 يحيى بن علي — ١٤ : ٢٠١
 يحيى بن معاذ — ١٢٣ : ٢ ، ١٢٥ :
 ١٦ ، ١٢٦ : ١١ ، ١٢٧ : ١
 يعقوب بن الليثي — ٦٦ : ٦
 يوسف بن يعقوب : ٦٣ : ١٣

(و)
 الواسطي — ١٥ : ١٧٥
 واشق الأشجبي — ١١ : ١٠٢
 وهب (هو ابن منبه) — ١٠ : ١٣٠
 وهيب بن الورد — ١٠ : ١٢٣

(ي)
 ياقوت الحموي — ٢ : ١٨ و ٢٠ ، ٢٩ :
 ١٨ — ١٩٩ : ١٩

« تم فهرست الأعلام »

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(أ)

الأبلة — ٨ : ٦٤

الأبواء — ١٥ : ٨١

أحد — ١٥ : ٩٢

الأحساء — ٩ : ٧٨

أدى — ٤ و ١ : ٢٩

أرمينية — ٧ : ٩٨

أسفراين — ١٨ : ٥

الإسكندرية — ٧ : ٥٧

أصبهان — ١٢ : ١٦٩ ، ٢١ : ١٥٧

(ب)

باب القنابية — ٢٣ : ١٨٢

باب الطاق — ١٢ : ١٦٦ ، ٣ : ٢٦

البحرين — ١٧ : ٧٣ ، ٢٧ : ٧٧ ، ٧٨ : ١٠

بدر — ٢ : ٩٥

البصرة — ١٣ : ٤ ، ١٠ : ٥٠ ، ٦٥ : ١٣

بنداد — ٢٠ : ١٧٦ ، ١٨ : ٣٥ ، ٢٢ : ١٨٢ ، ١٦ : ١٨١ ، ٢٣ : ١٨٠

بيت الله الحرام — ٨ : ٢٠١ ، ٥ : ١٨٨

بيت الله الحرام — ٢٩ : ٧٧

بيسق — ٢١ : ٤

بين السورين — ٩ : ١٧١

(ت)

تبرك — ١٩ و ١٥ : ٢

تثليث — ٣ : ١٩٩

ترماع — ١٦ : ٢

تغار — ٢٠ و ١٩ و ١٥ : ٢

(ج)

حرجان — ١٦ : ١١٧

جرش — ١٨ : ٧٣

الجفرة — ١٩ و ١١ : ٥٠

جبابة — ١٢ : ٧٨ ، ٢٧ : ٧٧

حى — ١٥ : ١٥٧

(ح)

الحجاز — ١٩ : ١٩٩ ، ١٢ : ٧١

حجر — ١٧ : ٥٣

الحديبية — ١٠ : ١٠٣

الحرم — ٩ : ٧٨

حنين — ١٥ : ١٠٢ ، ١٠ : ٩٣

السندية — ١٧٦ : ١٩
سوق المطش — ١٨٢ : ١٢ و ٢٢
سوق عكاظ — ٢٨ : ١٦

(ش)

شاش خراسان — ١٨١ : ١٤
الشام — ٧٢ : ١٦ ، ٨١ : ١١ ، ٩٢ : ٩٩
٢٠

شطا — ١٧٩ : ٢١
شهرستان — ١٥٧ : ٢٢

(ص)

الصراة — ٥٩ : ١٤ و ٢١
صريمين — ١٨٠ : ٦
صفين — ٦٣ : ١٥
صماء — ٧٣ : ١٦
الصين — ١٠٨ : ١٧

(ط)

الطائف — ٧٤ : ٢

(ع)

العراق — ٣٤ : ٧ ، ٤٨ : ١٧ ،
٥٩ : ٢١ ، ٧١ : ١٢ ، ٧٢ : ٢٠ ،
١٣٤ : ١١
عقبة مهذا — ٢٠١ : ١٢
صان — ٧٤ : ١

(ف)

فدك : ٢٩ : ٤ ، ٩٣ : ١ و ١٨

(خ)

خراسان — ١٥ : ٦ ، ٦٤ : ١٣ ،
١٨٠ : ٥
خير — ٩٣ : ١٨

(د)

دار القطن — ١٦٧ : ٦
دار الكتب المصرية — ٦٤ : ٢٢
ديق — ١٧٩ : ٢٠
دجلة — ٢٠٣ : ١٠
درب الزعفراني — ١٧١ : ١٤
درب السلق — ١٦٥ : ١٤
الدهناء — ٢ : ٢١
ديار بكر — ١٩٢ : ٢٠

(ذ)

ذو الخلصة (الكعبة النجاة) — ١٩٨ : ٢٥

(ر)

الرصافة — ١٧٦ : ١ ، ١٨٢ : ٢٣
الري — ٤ : ٢٢ ، ٢٣ : ٧ ، ٣٩ : ٦ ،
٧٨ : ١٨ ، ١٥٧ : ١٤ ، ٢٠١ : ٩

(ز)

زباله — ١٠٦ : ١ و ١٧

(س)

سجستان — ٤٨ : ١٥

مطرق — ١:٢٩ و٤

المغرب — ١٥:٢٢

مكة — ١٦:٧٣ ، ٢٩:٧٧ ، ١:٧٩ ،

١٩:١٩٩ ، ١٧:١٥٦ ، ١٦:١٥٨

مهرجان — ١٨:٥

مهرجان قذق — ١٨:٥

مى — ١٢:١٨٦

الموصل — ١١:٢٠٣

(ن)

نجد — ١٦:١٩٩

نجران — ١٧:٧٣

نهر المولى — ٢٢:١٨٢

نيسابور — ١٥:١٥

(هـ)

هضبة النباغ — ١٥:١٩٩

الهند — ١:١٠٨ ، ١٢:٦٣

(و)

الوراقين — ٥:١١

(ى)

يبرين — ٨:١٩٥

الجماعة — ١٨:٢٩

اليمين ١١:٦٣ و١٢

اليهودية ٢٢:١٥٧

(ق)

القادسية — ٧:١٥٧

القاهرة — ١٩:١٩٢

قزوين — ٨:١٦

القطيف — ٩:٧٨

قف النخلتين — ٦:٣٠

قلعة الجبل — ١٩:١٩٢

(ك)

الكرخ — ٦:١٦٦ ، ١٠:٥٨ ،

٤:١٨٣ ، ٤:١٨٠ ، ٧:١٦٨

٢٠:١٧١

الكعبة — ٩:٧٨

الكعبة اليمانية = دو الخليفة

كلواذى — ١٣:١٦٩

الكوفة — ١٩:٥٦ ، ٤:٥٠ ،

١٣:١٠٠ ، ٢٣:٦٤

(م)

ماوراء النهر — ٢٠:١٨١

المدينة — ١١:٩٤ ، ١٥:٨١ ، ٤:٧٢

٦:١٦٧ ، ١٤:١٦٢ ، ١٦:١٢٨

المربد — ١٧:٥٨

مرو — ١٤:٧٨

المعرق — ١٦:٢٢

مصر — ٢١ ، ٢٠:١٧٩ ، ١٣:٦٣

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى

سو عدى بن الجبار — ٨١ : ١٦
سو عقيل — ١٦٤ : ١٠
سو الصبر — ٢ : ١٩
بو فهر — ١٠٢ : ٢
سو كلاب — ١٥٦ : ١٤
سو لُهب — ١٦٤ : ١٩
بو مروان — ٧٣ : ٧
سو نغيل بن عمرو بن كلاب — ١٩٩ : ١
١٧ و ١٠ : ٢٠١
بو هاشم — ٧٤ : ٥ ، ٧٣ : ٦
البهشية — ٧٧ : ١٩

(ت)

تميم — ١٧١ : ١٩

(ج)

الجارودية — ٧٧ : ١٢
الحائية — ٧٧ : ١٨
الجبرية — ٧٨ : ٢١
حشم — ١٩١ : ١٨
جهينة — ٢٧ : ٢ و ١

(١)

آل أبي طالب — ٧٣ : ٣
آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم —
١٣ : ٧٢ ، ١٧٦ : ٣ و ٥ ، ٢٠٥ : ٨
الإباضية — ٧٨ : ٢٦
الائثا عفرية — ٧٧ : ١٥
أشجع — ١٠٢ : ١٠
الأشجعية — ٧٧ : ١٠
الأشعرية — ٧٧ : ١٨
الإماميون — ١٨٨ : ١٠ و ١٧
الأصار — ٣٠ : ٦ و ١١ و ١٥ ،
٩٩ : ٥
أهل الذمة — ٢٠٣ : ٥
أهل السنة — ٧٧ : ٢٠ و ٢٢ ، ٧٨ : ١٦

(ب)

البرغوثيون — ١٨٨ : ٩
بو إسرائيل — ١٢٤ : ١٣
بنو أمية — ٧٣ : ٧ و ١٨
بنو تغلب — ٦٣ : ١٤
بنو الحارث بن كعب — ١٩٩ : ١١
بنو عامر — ٩٤ : ١٠ و ١٥
بنو عبد مناف — ١٠٢ : ٢

الشيعة — ٩ : ١٢ ، ١٠ : ١١ ، ٧٧ : ٧٧
٨ ، ١٨٨ : ١١ و ١٧

(ص)

الصابئون — ١٤ : ٥
صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم —
٧٧ : ١٣
الصدق — ٧٤ : ١
الصوفية — ١٥٥ : ١٦ ، ١٧١ : ٤

(ط)

الطبريون — ١٨٨ : ٨
طى — ٢٨ : ٢ ، ٢٩ : ٤

(ظ)

الظاهرية — ٧٨ : ٢٤

(ع)

العجم — ٧٦ : ١٣ و ٦
العرب — ٢٧ : ١٠ و ١٤ ، ٧٧ : ٢٧ ،
٩٤ : ١٤ ، ١١٣ : ٤ و ١٧ ،
١٣٩ : ٩ و ١١ ، ١٤٦ : ٤ ،
١٦٤ : ٢٢
الم — ١٧١ : ١٩
الموذ — ١٧٠ : ٢٣

(ف)

الفرس — ٧٧ : ٢٣
الفلاسفة — ٩ : ١٣ ، ١١ : ٨ ،
٧٧ : ٢٣

(ح)

الحارثية — ٧٨ : ٢٦
الحكماء — ٢٧ : ٤ ، ٦٤ : ١٢ ،
١١٣ : ٩ ، ١١٧ : ٧ ، ١٣٦ :
١٧
الحنبلية — ١٨٨ : ٨

(خ)

الخازمية — ٧٧ : ٢٢
الخوارج — ٩ : ١٣ ، ٧٧ : ٢١

(ر)

الرافضية — ٧٨ : ٢
الراوندية — ٧٨ : ١٤
الروم — ١٣٩ : ١٤

(ز)

الزعفرانية — ٧٨ : ١٨
الزنادقة — ٧٧ : ٢٣
الفرنج — ١٣٩ : ١٤
الريديّة — ١٥ : ٦ ، ٧٧ : ١٢ ، ١٨٨ :
١٠

(س)

السيّة — ٩ : ١٣

(ش)

الشيعية — ٧٧ : ٢١

المتزلة — ١٢:٩ ، ١٥:٧٨ ، ٢٧:٧٨
المتزلة البصرية — ١٩:٧٧
المفضلون — ٩:١٨٨
المهابة — ١٠:٥٠

(ن)

الناحون — ٧:١٦
التجارية — ١٦:٧٨ و ١٨ و ٢٥ ،
١٩:١٨٨
الحويون — ١٧:١٣٦
الصاري — ٩:١٠ ، ٥٩:٧ ، ٤:٧٨
الصيرية — ٨:٧٧
نيل بن عمرو بن كلاب = نو نيل

(هـ)

المهريون — ٧:١٦
هوازن — ٥:٢٨

(ي)

اليهود — ٣:٧٨ ، ١٤:١٦٧
يوتان — ٨:٢ ، ١٨:١ و ٦ ، ٢٢:٧٢
٩ ، ١٥٣:١٥ ، ١٥٤:١٠

(ق)

القدرية — ١٩ و ١٧:٧٨
القرامطة — ٢٣:٧٧
قريش — ١٢:٦٦ ، ٧:٧١ ، ٧٤:٧
١٠
القطبية — ١٥:٧٧

(ك)

كندة — ١:٧٤

(ل)

اللفويون — ١٧:١٣٦
لهب = نولهب

(م)

المجوس — ٩:١٠ ، ٣٣:٣ ، ٤:٧٨
المرجة — ١٢:٩
المستمركة — ٢٥:٧٨
السلحون — ٣:٧٨
مضر — ٤:١٩٩

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

(ر)

رسائل لإخوان الصفاء وخلان الوفاء —
٩ : ١٣ ، ٩ : ٥
السماء والعالم — ٨٧ : ١٠ و ١٩

(ش)

شرح القاموس = تاج العروس
شعر أعشى باهلة — ١٩٨ : ٢٤ ، ١٩٩ :
١٦

(ع)

عقد الجمان — ٧٧ : ٢٥
العقد الفريد — ٩٥ : ١٩ و ٢٠ و ٢٣ ،
١٩ : ٩٦

(ق)

القاموس المحيط — ١٩ : ٦٤ ، ٨١ : ١٧

(ل)

لسان العرب — ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ١٦٢ :
٢٠ ، ١٦٤ : ١٧ ، ١٩٨ : ١٥

(١٥)

(ا)

أخبار أبي نواس — ٦٠ : ٢١
الإصابة في تحريد الصغابة — ٦٤ : ١٨
الألفاظ الفارسية المعربة — ٨٥ : ١٩
الامتاع والمؤانسة — ٢٠٥ : ٦

(ب)

بلوغ الأرب — ٢٨ : ١٩

(ت)

تاج العروس — ٧٨ : ١٢ ، ١٧١ : ٢٣

(ح)

حياة الحيوان — ١٠٤ : ١٥ و ٢٣ ،
١٨ : ١٠٥

(خ)

خبيثة الأكوان — ١٨٨ : ٢١
خزانة الأدب — ١٩٨ : ٢٣ ، ١٩٩ :
١٦

و ١٩٩ ، ١١٠ : ٢٣
الملل والنحل — ١٨٨ : ٢١

(ن)

نهاية الأرب — ١٧٩ : ٢٤
الوأميس لأفلاطون ٢٠ : ٢٠

(م)

مجمع الأمثال — ١٤٨ : ١٩
المصباح المنير — ١٦٧ : ١٢
معالم الدين — ١٨٨ : ٢٢
معجم البلدان — ٧٨ : ١٧
مفردات ابن البيطار — ١٠٨ : ١٦

فهرست قوافی الآیات

الواردة فی الجزء الثانی من کتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبی حیان التوحیدی

١٥ : ٥٣	أبا عبد الإله	القلادة
١٢ : ١٧٥	أسبت	وردر
٦ : ١٥٣	بارئ	الحقد
١٨ : ١١٣	وأسكنت	بهاهدر
٥ : ٦٥	أنا	بجيدر

(ر)

٥ : ٢٨	بل كيف	أحراراً
١ : ١٧٣	يا ذا الذي	ناراً
١٥ : ١٧٢	أنيرى	الفجر
١ : ١٩٩	إني أننى	سحر
٧ : ١٦٨	لو أن	السكدر
٦ : ١٧٧	إذا أردت	بمنتصر
٥ : ١٧٤	قد أشهد	حصراً
٨ : ١٨٢	مهود العبا	الذكر
٨ : ١٨٥	وقد يتماي	أو عمرو
٩ : ١٧٢	يا ليتى	عمري
١٠ : ١٩٨	يكفبه	الضر
١٣ : ٢٨	شفيت	وظاهر
١ : ٢٨	رأيت	وصدور
١٧ : ٥٣	فلولا	بالق كور
٥ : ١٨١	سررت	سروراً
١ : ١٥٣	من القليل	حكبير
١٢ : ٢٧	وساهي	كثير
٢ : ١١٤	لمرثك	شريره

(ب)

١ : ١٦٧	بالشاب	أعط
١١ : ١٧٢	فأعيا	حيي
٢٥ : ١٠٥	الكرب	أكذب
١٣ : ٦٢	حاب	وليس لنا
١٦ : ١٥٢	محدث	الخير

(ت)

٤ : ١٥٣	وفاته	من
٤ : ١٦٩	محياته	وحياة
١ : ١٧٤	شهادتي	ولو طالب
٢ : ٥٣	حجرتي	أنا
٨ : ٦٠	قوتنا	روحو
٥ : ٦٠	يمونا	لو

(ح)

١٢ : ١٨٦	ماسح	ولما قضينا
٩ : ١٨١	فاضح	صدنا
١ : ١٧٧	جريحاً	ميا لك

(د)

١٠ : ١٧١	والإباد	يلقى
----------	---------	------

٤ : ١٥١	الزلل	قد يدرك
٦ : ١٧٨	الرسول	أروغ
٦ : ١٧١	ما تقول	وقال لي
٩ : ٢٨	وعقول	وما فك
٦ : ١٩٨	الغليل	أمر

(م)

١١ : ١٨٠	المدام	ما العيش
١١ : ٥٠	بالطعام	أصحت
١٥ : ٥٦	بسلام	لست مي
٨ : ١٦٩	كلام	هب الشراء
١١ : ١٤٤	والدم	لسان الفقى
٢ : ١٥٣	ندم	من باع
٦ : ١٧٥	كالعالم	عرفت
١٤ : ١٣٩	والروم	ما زال
٧ : ١٤٥	ملوء	نحلى
١٠ : ١٤٧	ولو	الدهر

(ن)

١٤ : ١٨٢	لك عانى	ليت شمري
٣ : ١٧٦	الأمانى	وحق
١ : ١٨١	العوانى	ألا يا قوم
٤ : ١٠٥	تساناً	إن كنت
١٨ : ١٥٢	سلطانة	من سلم
١٥ : ١٧١	تننى	لست أنسى
٩ : ٥٦	إذن	إن أياموسى
٥ : ١٦٨	الحزن	لا بد
٨ : ١٧٤	عى	أبو العباس
٩ : ١٧٣	بجولين	مجلس

(هـ)

٨ : ١٧٠	تقصاها	تتهب
---------	--------	------

(س)

٧ : ٢٧	القابس	لاح
--------	--------	-----

(ص)

٤ : ١٧٠	تخلامى	إذا
١٤ : ١٩٣	القبس	عطاؤكم

(ط)

٣ : ١٥٣	الشاحط	قد يحرم
---------	--------	---------

(ع)

٧ : ١٤٠	ابندعوا	ماذا لقيت
٥ : ١٥٣	ما ترعه	المال
٦ : ١٦٦	مطلعه	أستودع

(غ)

١٧ : ١٥٢	ر سكوت أدمغ	رب
----------	-------------	----

(ق)

٢٠ : ٥٨	من عشفوا	أحرم
١٠ : ١٦٧	النائق	أقول لها

(ك)

١ : ١٧١	لها كا	لب الهوى
١٢ : ١٧٦	أوكا كا	قالت
١٥ : ١٦٥	ظلمك	بالورد

(ل)

٦ : ١٧٦	الحال	هبرتنى
---------	-------	--------

فهرست أنصاف الآيات

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

١١ : ١٥٠ ما العلمُ الصدرُ
٥ : ١٤٨ ومن يلكِ اعتذرُ
٨ : ١٤٨ رُبَّ صغيرُ
٩ : ١٥٠ فنُ الأميرُ

(س)

١١ : ١٤٧ وأكثُرُ اليأسِ
٦ : ١٤٨ إنَّ المطامعُ اليأسُ

(ض)

١٤ : ١٤٧ ليس المقلِّ براعى
١٥ : ١٤٨ وحاجةُ لا تنقضى

(ع)

٣ : ١٥١ كلُّ امرئٍ ساعى
٩ : ١٥٢ ولكنَّ أوجعُ
١٤ : ١٥٠ إنَّ الشفيقَ مولعُ

(ل)

١٢ : ١٥٠ إنَّ الكريمَ ذو المالِ
٧ : ١٤٩ المرءُ لا الحالةُ

(ب)

٨ : ١٥٠ ولربما كذبه
١٥ : ١٤٩ إنَّ الشجاعةَ المطبُ
١ : ١٤٩ ومن يسألُ مداهبه
١٤ : ١٥٢ وللعمرُ نصيبُ

(ت)

٧ : ١٥٣ البحرُ الممراتِ

(ح)

٧ : ١٥٢ ولبَّ رياحا

(د)

٩ : ١٤٩ الموتُ المبادُ
١٤ : ١٤٨ عندَ الأحقادُ
١٠ : ١٥٠ إذا فزعَ رقادُ

(ر)

١٦ : ١٤٩ إنَّ السَّكرامَ صبرُ

٧ : ١٤٨	والأمرُ	ينى	١٣ : ١٥٠	الأجل	إنَّ الفرارَ
١٠ : ١٤٨	وقدُ يستجهلُ	الحليمُ	١١ : ١٤٨	يُفعلُ	وإذا مضى
(ن)			(م)		
٨ : ١٥٢	والمدُّ	بأعماقِ	٩ : ١٤٨	الأفهامِ	ذَهَبَ
			١٦ : ١٤٧	وتلما	وحسبكَ

استدراك

اطلع الأستاذ محمد كرد علي على الجزء الثاني من الامتاع والمؤانسة بعد طبعه فأرسل إلينا بالملاحظات الآتية .

صفحة	خطأ	صواب
٥	المَوْفَى	العوقى (كذا يرى حضرته)
١٤	الصائبون	الصائبون
١٤	ابن الخمار	ابن خمار (وكذلك يصحح ما جاء في ص ٢٨ و ٨٣)
٢٠	الحصرى	الصيّمرى
٢٤	باستقامنا	باستقامتنا
٣٠	حتى ترعو	حتى ترغو
٣١	شباط	شباط
٣٢	الأمراض والأغراض	الأمراض والأعراض
٤٠	بالوفى والخرق	بالرفق والخرق
٤٨	وهما سوس	هما سوس
٤٨	الدولة مقبلة	والدولة مقبلة
٥٥	مزيد	مزيد (كحدث)
٩٣	صبر باب	صير باب
٩٩	الكافر خب صب والمؤمن	في الأساس : ويقال المؤمن دعب
	دعب لعب	لعب والمنافق عيس قطب

صفحة	خطأ	صواب
١٠٥	أجبن من صقر	أجبن من صفرِد (وكذلك ما ورد في الصفحة التالية ، وفي القاموس هو ابو المليح وهو طائر جبان)
١١٧	أطفأ نائرتها	أطفأ نائرتها
١٢٤	أن يكن معكم	إن لم يكن معكم
١٣٥	بالنير المخطط	بالمئير المخطط
١٤٨	الموت القادح	في أمثال الميداني : ظمأ قامح خير من رى فاضح
١٤٦	غير ما	غير ما
١٥٥	أبو الحسن الفرصى	الفرصى ؟
١٧١	بين السورين	بين السورين (في الحاشية وقد وردت صحيحة في صلب الكتاب)
١٧٩	فراستی من فَراسة	فراستی من فِراسة

إلى هنا انتهت ملاحظات الأستاذ كرد على بك

استدراكات أخرى عثرنا نحن عليها في هذا الجزء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	٢	منهم	مُتَّهَم
٢٨	١٢	رواد	روّادا
١٣٢	١٤	أبو عابد	أبو طائد
١٥٠	٩	يعدل	يُعْدَى

To: www.al-mostafa.com